



مَدِينَةُ الْهَمُوفِ

مَدَّ خَلِّ حَضْرَائِي لِدْرَاسَةِ مَظَاهِرِ الْحَيَاةِ فِي مَدِينَةِ الْهَمُوفِ
بِمُحَافَظَةِ الْإِحْسَاءِ

١٤٣١ هـ

مُؤَسَّسَةُ دَارِ الْقُرْآنِ
لِلدِّرَاسَةِ وَاللِّتْقَانِ

د. محمد جواد الخرس



مدينة الهفوف

مدينة الهفوف

مدخل حضاري لدراسة مظاهر الحياة في مدينة الهفوف
بمحافظة الأحساء في المملكة العربية السعودية
قبل اكتشاف النفط وبعد اكتشافه
وفي عهد الطفرة الاقتصادية

د. محمد جواد الخرس

الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ

مؤسسة الأسفار



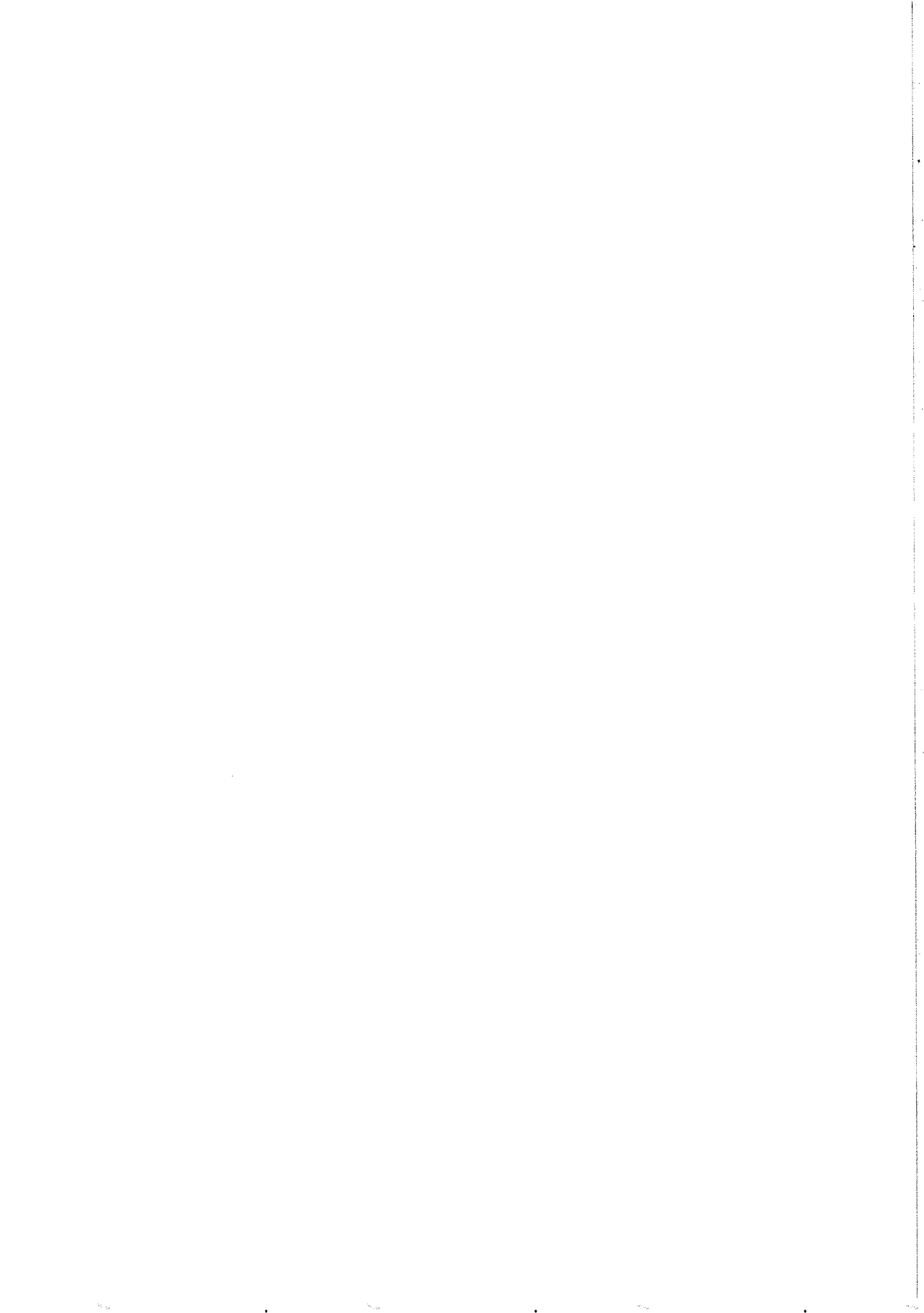
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



مؤسسة الأسفار للنشر والتوزيع
طباعة - نشر - توزيع

لبنان - بيروت - الكفارات - شارع الإمام علي عليه السلام

ص.ب: ٢٤/١٤٥ المستودع هاتف: ٠٠٩٦١٣٤١٧٠٦٨



الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

تتعرف خلال هذا الفصل على منهجية الدراسة من حيث الآتي:

مشكلة الدراسة.

هدف الدراسة.

أهمية الدراسة ودواعيها.

حدود الدراسة.

جمع بيانات الدراسة.

فصول الدراسة.

مشكلة الدراسة:

تعتبر الأحساء من أبرز الحواضر الإسلامية في الجزيرة العربية، وقد تميزت خلال تاريخها القديم والحديث بأنها منطقة جذب حضاري، حركت همم الباحثين لرصد العديد من معالمها الحضارية وقد تخصصت بعض الكتابات في رصد اكتشاف النفط عليها؛ لكونه عاملاً مهماً، أحدث انعطافة كبيرة على مسيرتها الحضارية ومن أبرز تلك الدراسات ما يلي:

١- فريدريك شميد فيدال، في كتابه واحة الأحساء، وذلك عام ١٩٥٢م^(١).

٢- إبراهيم بن عبد الله العلاوي، في كتابه أثر اكتشاف الزيت على المراكز العمرانية في واحة الأحساء، وذلك عام ١٩٧٦م^(٢).

٣- عبد الله بن ناصر السبيعي، في كتبه الثلاثة، اكتشاف النفط وأثره في الحياة الاجتماعية في المنطقة الشرقية، واكتشاف النفط وأثره في الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، اكتشاف النفط وأثره في الحياة العلمية في المنطقة الشرقية وذلك عام ١٩٨٩م^(٣).

وقد اتسمت الكتب السالفة الذكر برصد العديد من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية

(١) - واحة الأحساء، "رسالة دكتوراه ١٩٥٢م"، لفيدريكو شميد فيدال، تحدث فيها عن الأحساء جغرافياً من حيث الموقع والمعنى ومكونات الواحة من سهول وهضاب وسبخات ومناخ، واجتماعياً من حيث مدنها وقرائها وحصونها، واقتصادياً من حيث إنتاجها وملكية أراضيها ونظام الري فيها وزراعة النخيل والعناية بها، وثرواتها الحيوانية والأوزان و المقاييس والعملات المتداولة فيها، كما قام بتحليل للوضع الاقتصادي فيها والحرف والصناعات التي احترفوها، كما قام بمسح لآثارها. وقد ترجم أغلب مواد الكتاب عبد الله بن ناصر السبيعي.

(٢) - أثر اكتشاف الزيت في المراكز العمرانية في واحة الأحساء، "رسالة دكتوراه ١٩٧٦م" لإبراهيم بن عبد الله العلاوي، وقد تناول فيها الخلفية التاريخية لمدن الشرق الأوسط قبل الإسلام وبعده، ومدنها الحديثة بعد اكتشاف النفط فيها والتطورات التي جرت عليها، هذا وقد ركزت الدراسة على الواقع الجغرافي والجيولوجي لواحة الأحساء، وأثر اكتشاف النفط فيها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الواحة.

(٣) - اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاجتماعية في المنطقة الشرقية ١٣٥٢ - ١٣٨٠هـ، لعبد الله بن ناصر السبيعي.

- اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية ١٣٥٢ - ١٣٨٠هـ، لعبد الله بن ناصر السبيعي.

- اكتشاف النفط وأثره على الحياة العلمية في المنطقة الشرقية للدكتور ١٣٥٢ - ١٣٨٠هـ، لعبد الله بن ناصر السبيعي.

والجغرافية في الأحساء بشكل عام، وذلك وفقاً لمنهجية دراساتهم، ولكن على الرغم مما قدمته تلك الدراسات من استيعاب للعديد من مظاهر الحياة فيها، إلا أنها أخذت طابع الشمولية والتعميم في الأحكام والرؤى على كامل مدن وقرى محافظة الأحساء، دون أن تعطي لنفسها الفرصة بالتعمق في واحدة من تلك المدن أو القرى لخصوصيتها ببعض الجوانب المميزة والمضيئة في تاريخها، لذا فإن من الأهمية بمكان أن تُسبر أغوار حواضر محافظة الأحساء في دراسات متعددة وذلك لطابع الخصوصية في بعض الحواضر عن الأخرى، تطلعا إلى جمع أكبر كم من رصيدها الأنثروبولوجي، حيث يراد بالإنثربولوجيا « كل ما يرث المجتمع من أجياله السابقة، باستثناء الصفات الحياتية الطبيعية، من نظم وقيم، ومعتقدات اجتماعية وفكرية ودينية، وأنماط سلوكية، ومهارات فنية، يسيطر بها على بيئته وكيف نفسه لها، ويستطيع بواسطتها إشباع احتياجاته الحياتية والاجتماعية، وغيرها من جيل إلى الجيل الذي يليه^(١)».

لقد أجمعت الدراسات المشار إليها سابقاً أن لإكتشاف النفط أثراً كبيراً على واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية على الأحساء ولكن لم تستعمل تلك الدراسات الا عرض أثر الموجة الأولى من اكتشافه، بينما في واقع الأمر هناك موجة أخرى على واقع الواحة الاحسائية متمثلاً في ارتفاع اسعاره عالمياً، وزيادة العائدات المالية من تسويقه، من يستدعي رصد أثر تلك الموجة على واقع الأحساء. وهذه الدراسة تحاول أن تسبر واقع مدينة الهفوف كواحدة من أبرز مدن محافظة الأحساء، مسلطة الضوء الوصفي والتحليلي على أبرزها دورا وأكثرها حضورا تاريخيا مؤثرا.

(١) - شاكراً مصطفى سليم، قاموس الإنثربولوجيا، "الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨١م"، الطبعة الأولى، ص ٢٣٠.

هدف الدراسة :

تسعى الدراسة لرصد مظاهر التغير في الواقع الاجتماعي والاقتصادي والعلمي في مدينة الهفوف خلال تاريخها المعاصر مع إعطاء مزيد من التأكيد على المنعطفات الزمنية بما حوته من مؤثرات اقتصادية حادة ساهمت في تشكيل وصياغة مجتمع الأحساء في صورته المعاصرة، وقد يكون من الملائم الإشارة إليها عبر ثلاثة أدوار زمنية هي:

مرحلة ما قبل اكتشاف النفط.

مرحلة ما بعد اكتشاف النفط.

مرحلة الطفرة الاقتصادية الأولى عام ١٤٩٠ / ١٣٩١ هـ، والثانية عام ١٤٢٤ / ١٤٢٥ هـ.

وهذا التقسيم الزمني سبق وأن استخدمه كلا من فيدال في بحثه المعنون بـ « واحة الأحساء، والذي كتبه في عام «١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م» وكذا إبراهيم العلاوي في بحث كتبه باللغة الإنجليزية عن الأحساء ونال به درجة الدكتوراه من جامعة دورهام «University of Durham» في بريطانيا وذلك عام «١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م»، وهو بعنوان «أثر اكتشاف الزيت على المراكز العمرانية في واحة الأحساء»، وبحوث أخرى صدرت لعبدالله السبيعي عام ١٩٨٩م، أحدها بعنوان « اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاجتماعية في المنطقة الشرقية» وآخر بعنوان «اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية» غير أن من الملاحظ على تلك البحوث أنها التزمت ببحث أثر النفط على ملامح الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأحساء، وبهذا قيد أولئك الباحثين آفاق دراساتهم عن الأحساء بقيد زمني مرتبط بالنفط من حيث زمن اكتشافه بـ «قبل اكتشافه، وبعد اكتشافه»، غير أن ما يلاحظه الباحث هو

أن مرحلة ما بعد النفط تلتها مرحلة هامة ساهمت بتشكيل جزء من واقع الحياة التي تعيشها الأحساء، وهي فترة الطفرة الاقتصادية، والمتمثلة في ارتفاع سعر النفط في الأسواق العالمية، الأمر الذي أدى إلى زيادة موارد الدولة، وترتب عليه زيادة حجم الإنفاق على مشروعات البنية التحتية وغيرها من المشروعات التنموية، وهذا أدى إلى تغيير كبير في حياة الأفراد على واقعهم الاجتماعي والاقتصادي والعلمي، لذا يرى الباحث أن من الأهمية بمكان أن تضاف تلك الفترة في إطار البحث، توخيا لدقة رصد التأثيرات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يلاحظ أن البحوث الثلاثة عالجت الواقع الأحسائي بشكل عام، وخصت الهفوف في البعض منها، غير أن الباحث يرى أن الهفوف لما تمتاز به من مركزية الحكم الإداري للمحافظة فيها، ولكونها تمثل محركا اقتصاديا لواقع الواحة خاصة في الجانب التجاري، والحرفي، يؤمها أهل القرى من جميع أنحاء الواحة، وكذا أهل البادية، ولما تمتاز به في الواقع العلمي، فإن من الملائم أن يفرد لها دراسة خاصة تقوم برصد أثر النفط على المظاهر الحضارية فيها، وهو ما ستحاول هذه الدراسة أن ترصده، وعليه فإنها ستسعى إلى الإجابة على العديد من الأسئلة التي تخص واقع مدينة الهفوف بعينها، ولكون أن هناك مشتركات عامة لكل حواضر الواحة الأحسائية في بعض المظاهر، فإن من الملائم للدراسة أن تشملها بالإجابة أيضا عليها وإن كانت ستأخذ الحكم العام على الواحة وليس الهفوف فقط، كما هو الحال في السؤال الأول، والسابع على سبيل المثال، أما أبرز التساؤلات تلك فهي كما يلي:

١- ما هو تعريف الحضارة وما معناها لدى علماء الانثربولوجيا، وما هي مظاهر تفاعل الأحسائيين مع بيئتهم من أجل السيطرة على مواردها الطبيعية وتطويعها لصالحهم وما مدى انسجام ذلك مع شروط الحضارة من وجهة نظر علماء الجغرافيا الحضارية؟

- ٢- أين تقع مدينة الهفوف، ومتى تأسست، وما هي مراحل تطور أحياء المدينة؟
- ٣- ما هي الخصائص العامة التي شكلت الأحياء السكنية فيها.
- ٤- ما هي أوجه التغير في الواقع الاجتماعي خلال الفترات المذكورة، من حيث مفردات البيئة المنزلية في مساكن المدينة؟ وما هي العادات والتقاليد المتبعة في بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فيها كمناسبات الزواج، والوفاة، وعادات الشراء، والضيافة؟ وما هي الألعاب الشعبية الشائعة الانتشار بين أطفالهم؟ وما هي اللهجات العربية السائدة في أوساطهم؟
- ٥- كيف كان اقتصاد المدينة قبل اكتشاف النفط وبعده وفي عهد الطفرة الاقتصادية؟
- ٦- ما هي العملات والأوزان والمقاييس المتعامل بها في أسواق المدينة؟ وما هي أسواقها الرئيسية؟ وما تاريخ نشأتها قبل اكتشاف النفط وبعده وفي عهد الطفرة الاقتصادية؟
- ٧- كيف كان واقع الحياة الزراعية فيها؟ وما هي الأعمال الرئيسة في الحيازات؟ وما هي مرافق الخدمات في الحيازات؟ وما معدات الفلاح فيها قبل اكتشاف النفط وبعده وفي عهد الطفرة الاقتصادية؟
- ٨- ما هي الحرف والمهن التي مارسوها بشكل عام؟ وأي منها كانت أكثر انتشارا وأي العوائل كانت تقوم بها، وإلى أي البلدان هاجروا لاكتساب معيشتهم من خلالها؟ كذا أي الصناعات الخدمية مارسوا؟
- ٩- ما هي الأسباب الكامنة وراء تلاشي بعض الحرف عن مسرح الحياة في الأحساء، وصمود البعض الآخر؟

أهمية الدراسة :

تتضح الأهمية العلمية للدراسة مما يلي:

١- وضع لبنة في صرح الإنثربلوجيا الثقافية الأحسائية، وذلك من خلال استعراض ملامح طبيعة الحياة المعيشية لمجتمع مدينة الهفوف.

٢- مواصلة مسيرة رصد واقع مدينة الهفوف، بشكل يكمل جهود من تعرض لتاريخها في العقود الماضية، من حيث أثر النفط على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية فيها لاسيما منهم فيدال في عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، وإبراهيم العلاوي في عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، وعبد الله السبيعي في عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ومواصلة المسيرة هذه ليست على نحو رصد تطورات أثر اكتشاف النفط فقط، بل يتعداه إلى حالة المدينة في عهد الطفرة الاقتصادية الأولى في عام ١٣٩١/٩٠هـ، والثانية في عام ١٤٢٥/٢٤هـ، حيث ارتفعت أسعار النفط في الأسواق العالمية إلى مستوى قياسي مقارنة بغيرها من فترات التسويق.

فما بين عام ١٣٩١/٩٠هـ و ١٤٢٥/٢٤هـ تغير نسبة إسهامات الإيرادات النفطية في مجموع الإيرادات العامة للدولة وفقا للتغير الذي حدث في أسعار النفط في الأسواق العالمية، ففي عام ١٣٩١/٩٠هـ (١٩٧٠م) بلغت الإيرادات النفطية ٧,١ بليون ريال، والتي كانت تشكل نسبة ٨٩,٧٪ من مجموع الإيرادات العامة آنذاك، ثم بدأت قيمتها في الانخفاض المطلق والنسبي خلال عقد الثمانينات وتصل على حدها الأدنى في عام ١٤٠٩/٠٨هـ (١٩٨٨م) حيث بلغت ٤,٤ بليون ريال، أي ما يعادل ٥٧,٢٪ من مجموع الإيرادات العامة والبالغة حوالي ٨٤,٦ بليون ريال حينذاك، ومنذ ذلك الوقت وحتى عام ١٤٢٤/٢٣هـ (٢٠٠٣م)، تأرجحت قيمة الإيرادات النفطية بين الارتفاع والانخفاض النسبي لترتفع بقوة من جديد في عام ١٤٢٥/٢٤هـ (٢٠٠٤م)

حيث وصلت قيمتها إلى ٣٣٠ بليون ريال أي ما يعادل ١, ٨٤٪ من مجموع الإيرادات العامة^(١)، وعليه فإن لكل من الطفرتين آثاراً كبيرة على واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدينة الهفوف، وستسعى الدراسة إلى رصد ما أمكن ذلك منها.

٣- محاولة سبر واقع مدينة الهفوف بتكوينها القديم، وتبسيط أدوات البحث الوصفية والتحليلية للأدوار التاريخية التي مرت عليها بشكل تفصيلي، متخلصة من واقع التعميم في الأحكام والرؤى على كامل مدن وقرى محافظة الأحساء، كما هو حاصل في العديد من الدراسات والأبحاث المطروحة على الساحة الثقافية والتي سيرد ذكرها في الفصل الثاني من هذه الدراسة، حيث تلك الدراسات لم تمنح لنفسها الفرصة بالتعمق في واحدة من مدن الأحساء أوقراها على الرغم من خصوصية بعضها لجوانب مميزة ومضيئة في تاريخها، كما هو الحال في مدينة الهفوف، عدا بعض منها مثل دراسة الدكتور عبدالله بن أحمد الطاهر لمدينة المبرز، ومدينة الجفر للأستاذ عبداللطيف بن سعد العقيل، ومدينة الطرف للأستاذ عبدالله بن حمد المطلق، وقرية الجبيل للمهندس عبد الله الشايب ومن الجدير بالذكر أن جميعها لم تأخذ بمنهجية رصد أثر النفط عليها كما هو الحال في هذه الدراسة، وإنما تطرق له في ثنايا البحث بشكل أو آخر.

٤- المساهمة في تعزيز التوجهات الثقافية الحديثة من حيث المحافظة على التراث والأصالة بالتأريخ له من مصادره الأولية الآمنة، قبل أن تمتد له يد التشويه عند محاولة تأريخه في فترات لاحقة.

٥- المساهمة في إثراء المكتبة العربية في مجال البحوث والدراسات عن المدن الإسلامية، من حيث عمرانها وسكانها، وتقاليدها، واقتصادياتها، وعلومها.

(١) - وزارة الاقتصاد والتخطيط في المملكة العربية السعودية، منجزات خطط التنمية حقائق وأرقام، "الرياض: وزارة الاقتصاد والتخطيط، ١٤٢٦هـ" الإصدار الثاني والعشرون، ص ٢٥.

حدود الدراسة :

الحدود المكانية: تستوعب الدراسة أحياء مدينة الهفوف بأحيائها الخمسة وذلك بشكل رئيسي وهي الكوت، والرفعة«الشمالية والوسطى والجنوبية»، والنعائل، والصالحية، والرفيقة، كمراكز عمرانية أساسية انبثق من رحمها أحياء أخرى سوف تأتي الدراسة على ذكر بعض تفاصيل الحياة فيها وفقا لتداعي المعلومة ولزومها، غير أن من الأهمية بمكان التأكيد مرة أخرى هنا إلى أن الكثير من مظاهر الحياة الموصوفة في الدراسة عن الجانب الاجتماعي والاقتصادي ليس من مختصات مدينة الهفوف لوحدها، بل تشارك الهفوف بقية حواضر الواحة كمدينة المبرز والقرى الشرقية، وما إدراجها في دراسة تعنى بدراسة مدينة الهفوف إلا للتأكيد على وجود تلك في المظاهر في حياة هذه المدينة كما هو الحال في ذكر العديد من السلع، والعملات المتداولة في أسواق الواحة، والأوزان المستخدمة في قياس البضائع، وأساليب العلاج المستخدمة في علاج بعض الأمراض، وغيرها الكثير من المظاهر، كما تم التنويه بذلك سابقا.

الحدود الزمانية: ستناول الدراسة حياة مدينة الهفوف خلال الفترة الممتدة من بداية الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨هـ وحتى تاريخ عام ١٤٢٩هـ.

منهجية الدراسة: ستعتمد هذه الدراسة إلى توظيف منهجيتين دراسيتين لرصد معالم الحضارة في مدينة الهفوف هما:

١- منهجية وصف تفاصيل الحياة التي يحيها شعب واحد، أو شعوب عدة، بما تضم من نظم في الحكم، وسبيل في تحصيل المعاش، وعلاقات اجتماعية، ومعرفة نظرية وعلمية، وقواعد سلوكية، وسواها من المقومات التي تتمثل بها تلك الحياة، وهو ما سيمكن الدراسة من دراسة مفردات البيئة الاجتماعية في مجتمع مدينة الهفوف، من خصائص تكوين أحيائهم، و وصف مفرداتهم المنزلية، كأثاث المنازل، ومصادر توفير المياه، وتكييف المنازل، و مفردات

حيازاتهم الزراعية، وأسواقهم وما تنطوي عليه من العديد من مفردات كعملات و موازين، و سلع، كما يخدم هذا المنهج وصف حياتهم العلمية من حيث أماكن تعليمهم و القائمين على التعليم، والوسائل التعليمية المستخدمة لديهم.

٢- منهجية جون ستيورات والتي تعنى بدراسة مظاهر سيطرة الإنسان على إمكانيات بيئته، وتوظيفها في صالح معيشتة، وهو ما سيمكن الدراسة من تفسير العديد من الممارسات التي تمت في مدينة الهفوف، كحالة من مظاهر سيطرتهم على إمكانيات بيئتهم، وتوظيفها في صالح معيشتهم، منها على سبيل المثال لا الحصر: تسوير كامل المدينة بسور منيع لحماية مساكنهم وأسواقهم من سطوات البدو، وعن السبب الذي دعى أبناء محلة الرفاعة من الرفعة الوسطى، ابتكار لغة تخاطب خاصة بهم، وذلك من خلال توظيف مفردات عربية مهجورة، تسهل عليهم التفاهم فيما بينهم أثناء ممارستهم لأعمالهم التجارية بشكل لبق، لا يفهمه المتسوقون، وغيرها من الحالات الجديرة بالرصد.

و محصلة مجموع هذين المنهجين سيفضي بالدراسة إلى تكوين لبنة في صرح الانثروبولوجيا الأحسائية فيما يخص مدينة الهفوف وفقا للمعنى الذي وضعه الأستاذ مصطفى سليم في قاموسه الانثروبولوجي السابق ذكره، والذي يعرف فيه الانثروبولوجيا ب: « كل ما يرث المجتمع من أجياله السابقة، باستثناء الصفات الحياتية الطبيعية، من نظم وقيم، ومعتقدات اجتماعية وفكرية ودينية، وأنماط سلوكية، ومهارات فنية، يسيطر بها على بيئته ويكيف نفسه لها، ويستطيع بواسطتها إشباع احتياجاته الحياتية والاجتماعية، وغيرها من جيل إلى الجيل الذي يليه^(١)».

وبهذا فإن الدراسة ستنهج المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي، وفق المنهجين المذكورين سابقا على الترتيب.

(١) - شاعر مصطفى سليم، قاموس الإنثروبولوجيا، "، مصدر سابق، ص ٢٣٠.

بيانات الدراسة :

اعتمدت الدراسة على مصادر مكتبية وأخرى ميدانية، حيث المكتبية تتمثل في الكتب والدراسات، والمقالات التي تناولت الأحساء، أما الميدانية فتتمثل في المقابلات الشخصية التي قام بها الباحث مع العديد من رجال الفكر، والمسنين، مضافاً إلى ملاحظات الباحث الشخصية التي دونها عن تلك المدينة لكونه أحد أفراد سكانها، ما أهله أن يرصد ما انفتحت عيناه على مكوناتها وما جرى عليها من تغيير وتطوير منذ نعومة أظفاره.

فصول الدراسة :

وقد قُسمت الدراسة إلى ستة فصول تناولت فيها ما يلي:

الفصل الأول: وقد خصصه الباحث للحديث عن خطة البحث، والأهمية الداعية إلى وضعها، والهدف المتوقع تحقيقه من وجودها ضمن الدراسات الانثروبولوجية، كما ذُكرت فيه الحدود الزمانية والمكانية للدراسة، والمصادر المعتمدة في جمع البيانات وتحليلها.

الفصل الثاني: ويتضمن تعريف بالمصطلحات، ومعاني الكلمات العامة التي وردت في الدراسة، والدراسات السابقة لمظاهر الحضارة في الأحساء.

الفصل الثالث: وتم البحث فيه عن واحة الأحساء بشكل عام من حيث موقعها الجغرافي، وطقسها، وتضاريسها، هذا بالإضافة إلى مظاهر التفاعل الحضاري في الواحة بشكل عام باعتبار أن الهفوف أحد مكوناتها الرئيسية، وسوف يتم تحليل ذلك التفاعل وفقاً لوجهة نظر الاختصاصيين في مجال الجغرافيا الحضارية.

الفصل الرابع: ويتناول ملامح الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الهفوف،

من حيث الخصائص العامة التي شكلت أحياء مدينة الهفوف القديمة كما تم التعرض فيه لمفردات البيئة المنزلية في مساكن مدينة الهفوف من مصادر مياه، وتكييف، ومستودعات، وأثاث، إلخ. عبر ثلاثة أدوار تاريخية مرت على سكان المدينة أولهما قبل اكتشاف النفط حيث بساطة الحياة فيها أبان دور الماء كمحرك لآلية الاقتصاد فيها، كما تم رصد التغيرات التي طرأت على حياتهم الاجتماعية بعد اكتشاف النفط كمرحلة أولية لوصف تأثيره مواصلا التتبع له في عهد الطفرة الاقتصادية الأولى والثانية، هذا وقد تم التعرض إلى مجموعة من التقاليد الاجتماعية في العديد من المناسبات كتقاليد الزواج، والعزاء، والتجارة والضيافة، كما تم عرض مناسبات الأفراح وألعابهم الشعبية، وتم إنهاء الفصل بالحديث عن لغة سكان المدينة واللهجات العربية المتداولة فيما بينهم وقد رجعت الدراسة إلى أصول تلك اللهجات لدى علماء فقه اللغة والمختصين بهذا الشأن.

الفصل الخامس: ويشتمل على ملامح الحياة الاقتصادية لمدينة الهفوف حيث تعرض فيه الباحث لملامح اقتصاد محافظة الأحساء قبل عهد النفط وبعد الأكتشاف و الطفرة الاقتصادية الأولى والثاني التي تعيشها البلاد، كما تم التعرض لملامح الحياة الاقتصادية لسكان مدينة الهفوف بشكل خاص من حيث الآتي:

-النشاط التجاري، حيث تم الحديث فيه عن العملات، والأوزان، والمقاييس في أسواق مدينة الهفوف وأسواقها الرئيسية فيها ك«القيصرية، سوق الخميس، عمارة السبيعي، السويج، الصاغة».

-النشاط الزراعي، وقد تم الحديث فيه عن تقسيم الحيازات الزراعية، وأعمالها، ومرافق الخدمات فيها، ومعدات الفلاحة فيها.

-النشاط الصناعي، وفيه تم الحديث عن الصناعات السلعية ك«البشوت، والذهب،

والفضة، الأثاث، والمعدات الخفيفة». والصناعات الخدمية ك«الحج، البنوك، الصحة، النقل، التصوير، الصيانة»

الفصل السادس: ويتضمن عرضاً لملامح الحياة العلمية لسكان مدينة الهفوف خلال انتشار الكتابات كـمركز للتعليم، كما يتعرض لمفهوم المذهبية لدى سكان مدينة الهفوف، في ظل تعدد المذاهب فيها، والمدارس الدينية لكل مذهب.

وفي الختام يتقدم الباحث بالشكر الجزيل لكل من تجشم عناء مراجعة هذه الدراسة في مراحلها الأولية والإفادة بالعديد من المعلومات، وإن كان الباحث في مقام الشكر لكل من ساهم بالدعم المعلوماتي لهذه المحاولة الهادفة لرسم صورة معبرة عن واقع مدينة الهفوف، وفي واقعها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، فإنه في الوقت ذاته يلتمس العذر لما احتتمل ما سقط سهواً من معلومات كان يجب أن تذكر، لأن هذا الجهد يضل قاصراً عن الكمال مهما حاول الباحث إكمال جوانبه، وسد نقائصه، لسبب أولي وهو قصور مؤلفه عن الكمال لأن الكمال لله وحده، ولكن مما يخفف وطأة عدم الإحاطة وتامامها، هو أن محاولات تدارك النقص لازالت قائمة في الإصدارات القادمة بإذن الله تعالى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يدعو الباحث من لهم حظ في البحث، وقدرة على التتبع، المساهمة في استكمال جنبات الدراسة، والإضافة عليها، وإبراز ما لديهم من معلومات في هذا الميدان.

الفصل الثاني

مصطلحات الدراسة،

وكتب رصدت مظاهر محافظة الأحساء

يشتمل هذا الفصل على المبحثين التاليين:

المبحث الأول: مصطلحات الدراسة.

المبحث الثاني: الدراسات والكتب التي رصدت مظاهر الحضارة في محافظة

الأحساء.

تمهيد:

حاول الباحث أن يقترب من واقع مدينة الهفوف قدر الإمكان فكان لا بد له من تطعيمها بمفردات دارجة في البيئة المحلية للأحساء لكونها تعكس جانب من ملامحها الانثروبولوجية، وهو ما ينسجم مع واقع الدراسة التي جعلت الحضارة على تعدد مناهجها مدخلا لدراسة واقع المدينة كما هو مقرر في منهجية البحث، كما أن من موارد القرب من واقع هذه المدينة كمركز لمحافظة الأحساء سعى أن يرصد واقع الأحساء في عيون من اهتم بمعالمها في دراساته وأبحاثه، أو تعرض لها ضمن سياقات معرفية في مؤلفات ليست خاصة بالأحساء ولكن أفرد لها ذكرا يستحق التعريف بنتاجه ضمن قائمة الدراسات والكتب التي ذكرت الأحساء، لذا سيهتم هذا الفصل برصد تلك المصطلحات التي وردت في سياق الدراسة من المفردات الدارجة في المجتمع الأحسائي، وبيان للمعنى المراد منها، وحصر للدراسات والكتب التي رصدت مظاهر الحضارة في محافظة الأحساء وذلك في حدود معرفة الباحث واطلاعه، وذلك عبر المبحثين التاليين:

المبحث الأول: مصطلحات الدراسة.

المبحث الثاني: الدراسات والكتب التي رصدت مظاهر الحضارة في محافظة الأحساء.

المبحث الأول

مصطلحات الدراسة

اشتملت الدراسة على العديد من المصطلحات الدارجة في البيئة الأحسائية وفيما يلي عرض لها حسب الترتيب الأبجدي لها، وتحديد لمعانيها ما لم يتضمن السياق معنى آخر لها.

١- **أَعْقَبَه**: حزمة من البرسيم.

٢- **البارقة**: الجزء المسقوف من حظيرة الحيوانات المنزلية، والتي تدعى في اللهجة الأحسائية بـ «السمادة».

٣- **التُّخْت**: كرسي صغير يصنع من الخشب للجلوس عليه.

٤- **الثُّبْر**: مصرف زراعي كبير يستقبل مياه الصرف القادمة من مصرف زراعي أصغر منه يدعى في اللهجة الأحسائية بـ «المنجى».

٥- **الجِبلي**: «الجبلي» أصلها في العربية «القبلي» نسبة إلى اتجاه القبلة في مكة المكرمة، ويدعى بذلك «الفريج» إذا كان باتجاه القبلة، تمييزاً له عن «فريج آخر» على اتجاه مغاير للقبلة، وكذا الدار، أو الباب، أو النافذة، أو الممر.

٦- **الجَت**: وهو القت أو البرسيم.

٧- **الجحيشة**: عصا غليظة مأخوذة من خشب الأثل، معقود بطرفيها حبل غليظ يطوى على القدمين، وهما مجموعان إلى بعضهما بين الحبل والعصا؛ إعداداً لضرب القدمين.

٨- **الجص**: معروف وليس هو الجبس المستخدم في أعمال الديكور في زماننا

الحالي.

٩- الجص الخكري: يتكون من جص أبيض، ورواسب طينية، يستخرج من جداول مياه الري، ويستخدم في أعمال البناء لتغطية الجدران، تشكل منه كتل على هيئة الطوب تحرق ثم تدق، فينتج عنها مادة شديدة المقاومة للماء والرطوبة، وتستخدم هذه في بناء جدران آبار المياه. كما يبنى منها جدرانها الخارجية التي على مستوى سطح الأرض.

١٠- الجصة: مستودع للتمر المخزن في البيوت للاستخدام اليومي، وسميت بالجصة لأن جدرانها الداخلية مغطاة بطبقة من الجص.

١١- الجلوات: قصائد تنشد بصوت له إيقاع جميل يحدث الفرحة في نفس سامعه.

١٢- الجندوج: مستودع للتمر المعد للبيع والتجارة، وهو أكبر بكثير من الجصة.

١٣- الحب: وعاء خزفي كبير لحفظ الماء وتبريده.

١٤- الحساس: سمك صغير، يتم من خلاله إعداد وجبة غذائية شعبية شائعة بين أهالي الأحساء قديماً تدعى «الودمة» وتكاد أن تكون الزاد الأكثر ملائمة وتناولاً من حيث الكلفة لفئات الطبقة القليلة والمتوسطة الدخل، ويتم إعدادها من خلال تكسير الحساس إلى قطع صغيرة، ويعصر عليها الليمون، و الاترح، ويوضع عليه حسب الرغبة شيئاً من حب الرمان، وعادة ما تؤكل هذه الوجبة مع أوراق الفجل التي يتعارف عليها البعض بـ «الرويد» و شيئاً من التمر أو الرطب.

١٥- الحوي: فناء البيت، والمتنفس الطبيعي لساكنيه، فهو مفتوح إلى عنان السماء.

١٦- الخرّس: إناء كبير لحفظ الماء أو الحبوب.

١٧- الخكري: الرديء.

١٨- الدار: غرفة داخل المسكن، يدخل إليها من فناء البيت «الحوي».

١٩- الدافور: جمعها دوافير، أداة طبخ تصدر نارا، وهي تعمل بالكيروسين والهواء المضغوط.

٢٠- الدواخل: حيازات زراعية داخل واحة الأحساء.

٢١- الدوسة: طريق صغير يفصل بين المساحات المزروعة تسمح بمشي الفلاح عليها أثناء تنقله داخل المساحات المزروعة.

٢٢- الرأع: وحدة قياس الطول وتعادل ٥٠ سنتمتر، كما تستخدم كوحدة قياس لحزم البرسيم الكبيرة الحجم.

٢٣- الرسمة: مجرى لمياه الصرف داخل الحيازات الزراعية.

٢٤- الرقي: البطيخ الأحمر.

٢٥- الزبيل: زنبيل مصنوع من سعف النخيل.

٢٦- الزكرتية: من يهوى السياحة والاستمتاع من الرجال.

٢٧- الزري: خيط مطلي بماء الذهب أو الفضة، يستخدم في تزيين ألبسة رجالية تدعى بالبشوت.

٢٨- السلّة: وعاء لحفظ الرطب أو التمر.

٢٩- السّمادة: حظيرة الأغنام والبقر والدجاج، سواء كان في البيت أو الحيازة الزراعية.

٣٠- الشُّرُوب: مفردُها شَرَبٌ، وهي المساحات المزروعة بالنخيل، وهي على هيئة أحواض تسمح ببقاء الماء فيها دون انتقاله إلى شَرَبٍ آخر مجاور له.

٣١- الصُّخِين: المسحاة، وقد تستخدم كوحدة قياس لحيازة زراعية تقدر بـ ٣٠ متر مربع.

٣٢- الصُّنْفِي: خشب له رائحة عطرية عن حرقه، يجلب من بعض البلدان الآسيوية، كالهند أو مدينة جاوة الإندونيسية أو تايلاند.

٣٣- الضُّواحي: أحواض زراعة الأرز، وهي أراضي منخفضة عن مستوى سطح الأرض المجاورة كي يسمح ذلك بوصول الماء إليها.

٣٤- الطُّوَارِف: حيازات زراعية في أطراف واحة الأحساء.

٣٥- الطُّوايِح: ماء الصرف الزراعي، المنسكب في جدول مائي مخصص له يدعى بـ «المنجى».

٣٦- العَمَار: عملية تسميد الأرض الزراعية.

٣٧- الغُبُوبَة: الأكل المتبقي من عشاء ليلة البارحة، ويوكل عادة في الصباح.

٣٨- الغَرْف: طريقة لري الحيازات الزراعية، تستخدم فيها الحمير لسحب دلاء الماء من البئر.

٣٩- الفَاتِحَة: مجلس عزاء يعقده أهل الميت في أول أيام وفاته، وسميت بالفاتحة، لكثرة ما يقرأ فيها من القرآن الكريم على روح المتوفى، وسورة الفاتحة بشكل أخص.

٤٠- القَارِي: عربة يجرها الحمار من خلفه.

٤١- القاز: وقود الكيروسين.

٤٢- القلة «المحصن»: كيس مصنوع من السعف يستخدم لتعبئة التمر وهو يتسع لـ ٦٠ كجم. كما يخاط أعلاه بسعف النخيل.

٤٣- الكبت: جمعها كبتات، وهي تعود إلى أصل لغوي انجليزي.

٤٤- الكبسة: طبخة شعبية، تعد من الرز، وأي نوع من أنواع اللحوم، مضاف إليه البصل والبهارات والطماطم.

٤٥- الكر: حزام يصنع من الليف والخرق والحبال، يجمع به الفلاح نفسه إلى جذع النخلة: حيث يسند ظهره عليه، وأقدامه على الجذع، ولا يزال يدفع بطرفه المصنوع من الحبال على الجذع في مرات متتابة، وهو يتابع صعوده عليها. وقد تم تطويره في مراحل متقدمة مستخدمين الأسلاك الحديدية المجدولة بدلا من الحبال خصوصا منها الجزء المستند إلى جذع النخلة.

٤٦- الجندل، الكندل، الدنجل: جميعها تطلق ويراد بها معنى واحد، وهو خشب يستخدم في بناء أسقف المباني.

٤٧- الكندية: غرفة يصعد لها من خلال درج وتكون غرفة واسعة نسبيا.

٤٨- الجولة، الكولة: وسيلة طبخ تصدر نارا تعمل بالكيروسين، والفتائل المنسوجة.

٤٩- اللوان: غرفة يدخل لها من داخل «الدار» وهي أصغر من غرفة تدعى بـ «المربعة».

٥٠- المحش: أداة زراعية يستخدمها الفلاح في قص عذق النخلة أو سعتها أو الحشائش أو بعض الثمار.

- ٥١-المِخْمَاس: أداة حديدية شبيهة بالملقعة الكبيرة يحمص فيها البن على النار.
- ٥٢-المِخْرَف: زنبيل مصنوع من السعف يستخدم لوضع الرطب فيه حال جنيه.
- ٥٣-المُدَّة: حصير مصنوع من أعواد الأسل الدقيقة وحبال الليف.
- ٥٤-المُرْبَعَة: غرفة أضلاعها متساوية تقريبا، يدخل لها من الحوي.
- ٥٥- المَرْحَلَة: زنبيل مصنوع من السعف يستخدم في نقل المنتجات الزراعية كالتمر، والترنج، والرمان.
- ٥٦-المَرَش: إناء نحاسي، مثقب أعلاه يستخدم لرش ماء الورد.
- ٥٧-المِشَاعِيب: أحواض طولية لزراعة الخضار.
- ٥٨-المَطْعَم: المكان الذي يوضع عليه علف الماشية في داخل حظيرة الحيوانات.
- ٥٩-المِكْبَة: قفص يصنع من جريد النخل لحفظ الطيور والدجاج.
- ٦٠-المِلاَس: ملقعة معدنية طويلة الذراع في طرفها الذي يغرف به ثقوب عديدة تسمح بمرور السوائل.
- ٦١-المُنْجَى: مصرف خارج الحيازة الزراعية تستقبل مياه الصرف القادمة من مصرف آخر أصغر منه يدعى بـ «الرسمه».
- ٦٢-المَنْز: سرير للأطفال يصنع من جريد النخل.
- ٦٣-المِنْسَف: غرابيل مصنوعة من جريد النخل ورقائق منزوعة من عذوق النخل.

٦٤- المِنْفَاخ: أداة يدفع من خلالها الهواء تجاه الحطب لإضرام النار فيه.

٦٥- المَهْفَافَة: وجمعها «مهفات» مروحة يدوية تصنع من السعف وجريد النخل.

٦٦- النَّاصِفَة: ليلة منتصف الشهر، وإذا أطلقت بدون تقييد شهر بعينه، عندئذ

يراد بها ليلة النصف من شعبان.

٦٧- النَّطْع: قطعة من الجلد الطبيعي، المدبوغ والمنزوع عنه الشعر له عدة

استعمالات منها، إناء شرب الجمال، يثبت على فروع من الشجر المشذب ومنه يصنع مهد الطفل عند البدو.

٦٨- الهَرَيْسَة: طبخة شعبية تعد من حب القمح واللحم البقري، بعدها يهرس حب

القمح بخشبة تدعى «مَحْرَكَة» حتى يتجانس مع اللحم، ثم «تُصَطع» أي يسوى أعلاها بالملاس، مع صنع تجويف في منتصف الطبق الذي توضع فيه يملأ بدهن البقر.

٦٩- الهَيْب: قضيب مصمت حديد طوله أكثر من متر، أحد طرفيه مدبب والآخر

عريض.

٧٠- الهَيْز: نوع من الأسماك طوله يتراوح بين ٥-١٠ سم يستخدم كعلف للماشية،

وتسميد النباتات.

٧١- الوُجَاغ: مكان تشعل فيه النار باستخدام الحطب، ويعد فيه القهوة العربية،

وكثيرا ما يكون في صدر المجلس.

٧٢- أيام أول: تعني الأيام التي سبقت تاريخ اكتشاف النفط.

٧٣- التَلْيِيس: تغطية الجدران بطبقة من الجبس، أو الأسمنت.

٧٤- التَمْعِيس: نقل فسائل النخل من جنب أمهاتها.

٧٥-التَيْلَة: كرة زجاجية صغيرة ملونة تستخدم في ألعاب الأطفال.

٧٦-الجَدُوم، القُدوم: أداة حديدية طويلة الذراع في طرفها حديدة عريضة حادة تستخدم في تكسير الخشب وجذوع النخيل.

٧٧-الجِنِيْبَة: عدة حزم من البرسيم.

٧٨-الدَّبَّة: وعاء معدني يوضع فيه اللبن، أو الدهن.

٧٩-الدَكَّة: جلسات من البناء، ممتدة تبني في المنازل، خاصة في مداخلها ودهاليزها، وأحيانا في الطرقات، كما تبني الحيازات الزراعية وبالتحديد إلى جوار مكان للاستراحة يدعى بـ «العريش».

٨٠-السَّحَّارَة: صندوق خشبي لحفظ الأشياء، والبعض يحفظ فيه ملبسه إذا كان لا يملك خزانة، أو صندوقا معدا لحفظ الملابس.

٨١-السُّلُوق: رطب من نوع «شبيبي»، يسلق، ثم يجفف بأشعة الشمس، اشتهرت به واحتي الأحساء والقطيف.

٨٢-سُلَيْسِل: نهر عظيم في الأحساء يسقى العديد من نخيل الأحساء الواقعة في قراها الشرقية تسهم عين الخدود والحقل في تغذيته بكميات كبيرة من الماء، وتنتهي أطرافه في الطرف الشرقي من الواحة.

٨٣-صَقْعَة: ضربة، وهي مسمى أ . ألعاب الأطفال التي تستخدم فيها الكرات الزجاجية المسماة بـ «التيلة».

٨٤-صندوق السَّيْسَم: صندوق خشبي لحفظ الثياب، وكان في زمانه من أرقى وسائل الحفظ، وهو مصنوع من شجر السمس.

٨٥- الطَّاسَة: اناء معدني للشرب.

٨٦- عَطِيفَة: حظيرة لتربية الحمير.

٨٧- فَرَش: قوالب تصنع من الجص تستخدم في البناء وخاصة لتغطية مجاري المياه والصرف الصحي.

٨٨- فَرِيح: أصلها في العربية «فريق»، وهي تعني في استخدامها السكاني تجمع مساكن أفراد من جنس واحد تجمعهم روابط اجتماعية تجعلهم كالفريق الواحد.

٨٩- كَرَب: قاعدة سعف النخيل المتصلة بجذعها.

٩٠- كَرْفَايَة: سرير النوم.

٩١- مَخِيشَة: حيز مكاني صغير جدا تقعد داخل «الليوان» أو «الدار»، وهي غالبا ما تستخدم كمستودع لحفظ الأشياء.

٩٢- مَدْعَكَة الحَفَة: قطعة حجرية سوداء، كبيرة المسامات تستخدم لتنظيف القدمين أثناء السباحة، وهي خفيفة الوزن.

٩٣- مِصْحَنَة: جرة ماء لها قاعدة تمكنها من الاستقرار في وضع منتصب، وذلك خلافا للجرار المعروفة في بلاد الحجاز، حيث أن تلك ليس لها قاعدة، بل تثبت بواسطة كرسي خاص في وسط فتحة تسمح بدخول الجرة إلى حد معين وتستقر عنده على الكرسي المذكور.

٩٤- مَعْرَب المَخَايِطَة: مالك مجلس خياطة البشوت، الذي يقوم بتوظيف الخياطين لديه.

المبحث الثاني

الدراسات والكتب التي رصدت مظاهر الحضارة في الأحساء

عُرِفَ الساحل الشرقي للجزيرة العربية بأنه مهد حضارات كما دل على ذلك خبراء الآثار، فقد سكنها الإنسان الأول ببدايته وحجارته في العصر القديم والأوسط والحديث، ومنذ أن تعرف عليها كمستوطنة بشرية لم ينفك عنها أبداً لما تمتاز به من موقع جغرافي متميز بين قارات العالم، لإطلاله على خليج بحري قادر على إيصال ساكنه إلى أي نقطة يرغبها في العالم، كما يتميز بخصوبة أراضيها، ووفرة مياهها. ولا يزال متميزاً كذلك لاحتضانه أكبر مصيدة نفط على وجه الأرض. فلا كثير عليها أن تكون مهداً لحضارة الفينيقيين قبل أن يستقروا على سواحل البحر الأبيض المتوسط، وإن رحلوا عنه لتوسع تجارتهم وتعاضم طموحهم العالمي فلم ينسوا أن يأخذوا نخلتها رمزاً على مسكوكاتهم النقدية وقد وضعوا إلى جوارها حروف الكتابة «اختراعهم الإنساني الكبير»، عرفاناً، وتخليداً لها كمحطة حضارية شامخة ظلت على مر الزمان تودع حضارة وتستقبل أخرى.

وممن خلفهم فيها قبيل الإسلام بني عبد القيس كقوة ضاربة حلت فيها بعد نزوحهم من جنوب الجزيرة العربية^(١)، تلاهم بعد ذلك في العهد الإسلامي القرامطة كقوة حكمت العالم الإسلامي^(٢)، من الأحساء، وبالتحديد من بلدة «البطالية» إحدى قراها الماثلة للعيان.

إذا أرادت الدراسة التعرف على حضارة الأحساء من واقع رصيدها الحضاري المتشكل من تعاقب كل هذه الحضارات سوف يطول بها المقام فضلاً عن صعوبة

(١) - انظر كتاب: قبيلة بني عبد القيس منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي، رسالة ماجستير، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، للدكتور عبد الرحيم بن يوسف آل الشيخ المبارك.

(٢) - أنظر كتاب: أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن، دار الإحسان عام ١٤٠٢هـ، للدكتور سهيل زكار.

فرز إضافة كل حضارة على من سبقها، لندرة المصادر بل لانعدامها في أغلب موارد الطرح، خصوصاً المتقدم تاريخياً في العصور القديمة. لكن في الأمر فسحة، لو تم تتبع بعض مظاهرها من خلال المنظور القريب فهناك العديد من الدراسات والمؤلفات التي استوعبت تلك المظاهر الحضارية في ميدان الاجتماع، والاقتصاد، والثقافة، والأدب، وقد تناولت الدراسة عرض تلك المؤلفات عن الأحساء بشكل عام مع تعريف موجز بها، هذا المطبوع منها فقط، أما ماهو في أدرج الباحثين، وما قامت بطباعته المجالات التخصصية العديد من الدوريات الصادرة في الجامعات، والمراكز البحثية، أو الدوريات التي تعنى برصد ثقافة منطقة الخليج مثل: مجلة الواحة، ومجلة الساحل، فلم تتسع الدراسة لمتابعة كل ذلك، وعليه سيتم عرض تلك الدراسات المذكورة ومؤلفيها من أصحاب العلماء، والأكاديميين، و الباحثين، و الأدباء، مع حفظ الألقاب، وذلك عبر المطالب التالية^(١):

المطلب الأول: أبحاث باللغة العربية.

المطلب الثاني: أبحاث أجنبية مترجمة.

المطلب الثالث: أبحاث بلغة أجنبية.

المطلب الرابع: تراجم لشخصيات أحسائية.

المطلب الخامس: أبحاث عن حياة العلماء والأدباء.

(١) - تمكن الباحث من رصد أغلب عناوين الدراسات، والكتب الواردة في هذا المبحث من موقع مشهد الفكر الأحسائي. WWW.almashad.net

المطلب الأول

أبحاث باللغة العربية

وفيه عدة فروع:

الفرع الأول: في مجال التاريخ.

وفيه ما يلي:

* أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن، للدكتور سهيل زكار، حيث قام بجمع المصادر الرئيسية اللازمة للبحث عن القرامطة فهو يضم كتب وبحوث كلاً من ثابت بن سنان بن قرّة الصبائي، وعلي بن عبدالله العباس العلوي، وأحمد بن إبراهيم النيسابوري، وعبد الجبار الهمداني، وناصر خسرو، ومحمد بن مالك اليماني، و عبدالرحمن الجوزي، وعلي بن ظافر الأزدي، والصاحب كمال الدين بن العديم، وأحمد بن عبد الوهاب النويري، وأحمد بن علي المقرزي، وعلي بن الحسن الخزرجي. والكتاب صادر عن دار الإحسان عام ١٤٠٢هـ.

* الأمن الداخلي في الأحساء والقطيف و قطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ - ١٣٣١هـ: دراسة وثائقية، «الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ»، للدكتور عبدالله بن ناصر السبيعي، وقد أوضح فيه تكوين جهاز الأمن الداخلي في لواء الأحساء في فترة حكم العثمانيين، وكفاءة القوات العسكرية فيها، وموقف قبائل اللواء من السلطة العثمانية وردة فعلها وكيف كانت تعبت تلك القبائل بالأمن، هذا بالإضافة إلى تناوله أهم القضايا التي حاول العثمانيون معالجتها، ومساهمة الجنود العثمانيين في تقدم العلاج للأهالي لوفرة الأطباء لديهم، هذا وقد أشار إلى عدم كفاية المخصصات المالية للأمن.

* الدولة العيونية في البحرين، للدكتور عبدالرحمن بن مديرس المديرس، وهو كتاب يلقي الضوء على منطقة شرقي الجزيرة العربية المسماة بالبحرين في فترة قيام الدولة العيونية الواقعة بين تاريخي ٤٦٩-٦٣٦هـ.

* تاريخ ولادة العيونيين، للحسن بن شذقم، وهو كتاب مخطوط، يوجد في دار الكتب المصرية «المكتبة التيمورية» والكتاب جزء من كتاب زهر الرياض وزلال الحياض.

* القرامطة، للأستاذ إسماعيل مير علي، وقد تناول فيها الحركة القرمطية بالتحليل من حيث تأسيسها والعوامل الاجتماعية والاقتصادية التي ساهمت في تطور الحركة القرمطية ونموها، والفرق بين البابكية والقرمطية. والأسباب الرئيسية لوقوع الخلاف بني القرامطة والفاطميين، والأسباب التي أدت إلى انهيار القرامطة.

* القضاء والأوقاف في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ - ١٣٣١هـ: دراسة وثائقية «الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ»، للدكتور عبدالله بن ناصر السبيعي تناول فيها القضاء في الفترة العثمانية والمحاكم الشرعية في كل من الأحساء والقطيف وقطر، وأهمية الوثائق الشرعية التي نتجت عن هذه المحاكم في دراسة تاريخ المنطقة، كما تعرض للأوقاف في الأحساء خاصة، معرفاً بجملتها.

* الحملة العسكرية والعثمانية إلى الأحساء والقطيف وقطر ١٢٨٨هـ: أسبابها ونتائجها - دراسة وثائقية، للدكتور عبدالله بن ناصر السبيعي، تحدث فيها عن التطلعات العثمانية نحو المنطقة، وسيرهم نحوها، والزيارة التي قام بها مدحت باشا إلى الأحساء والقطيف.

* الدولة العيونية، «رسالة ماجستير غير منشورة ١٤٠٤هـ»، للأستاذ عبدالرحمن بن مديرس المديرس.

* تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨ - ١٩١٣م، للدكتور محمد عرابي نخلة «رسالة ماجستير، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ»، تناول فيها ثلاثة أدوار سياسية رئيسية تعاقبت على الأحساء، وهي: الدولة المصرية في عهد محمد علي، والدولة السعودية الثانية، والدولة العثمانية منذ ١٨٧١ - ١٩١٣م.

* قبيلة بني عبد القيس منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي، «رسالة ماجستير، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ»، للدكتور عبدالرحيم بن يوسف آل الشيخ المبارك. وقد تناول فيها قبيلة عبد القيس قبل الإسلام وموقفها منه لما بزغ فجره في غرب الجزيرة العربية، وكيف كانت مشاركاتهم في الفتوحات الإسلامية، وحضورهم السياسي في عهد الرسالة والخلافة وما بعدها من خلفاء بني أمية، كما أفرد فصلاً لإسهاماتهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

* تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري «شرق الجزيرة العربية»، للدكتور محمد بن ناصر بن أحمد الملحم «رسالة ماجستير، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ» وقد استوعب فيها الحالة التي كانت عليها البحرين قبل الإسلام من وضع سكاني وأحوال سياسية ودينية، وتناول وضع البحرين في ظل الإسلام والحالة السياسية لها في صدر الإسلام وما جرت فيه من حروب وأحداث دامية.

* الحكم الإداري في الأحساء والقطيف، وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ - ١٣٣١هـ: دراسة وثائقية، للدكتور عبدالله بن ناصر السبيعي تحدث فيها عن التنظيم الإداري العثماني في لواء الأحساء والمتصرفون الذين تتابعوا في إدارته وأبرز القضايا التي أداروها، كما تحدث عن الجهاز الإداري في دائرة الأملاك السنوية والبلدية، كذلك النظام الإداري في القضاء، هذا بالإضافة إلى الوظائف الأخرى في اللواء كالميناء، والجمارك، والحجر الصحي، السجن، والبريد والبرق، والنفوس،

كما تناول المجالس الإدارية المنتخبة فيه، والإدارة العامة في اللواء من معارف وصحة وبريد وبرق.

* الأحساء في مئوية التوحيد والبناء، لكل من الدكتور صالح علي العيدان والمهندس عبدالله محمد العرفج والمهندس سعيد عبدالله الخرس.

* تاريخ هجر، للشيخ عبدالرحمن بن عثمان الملا، وقد تتبع فيه تاريخ هجر قديماً من حيث سكانها والهجرات التي تشكلت إليها، ودلائل الاستيطان المبكر في المنطقة، والحضارات التي قامت عليها، كما عرف بالمدن والقرى الدارسة والمفقودة فيها والعامرة بأهلها حالياً، هذا وقد تناول جميع مظاهر الحياة فيها كالزراعية وصيد اللؤلؤ والغوص والتجارة والصناعة، كما أفرد جزءاً كبيراً من كتابه تحدث فيه عن تاريخ هجر قبل ظهور الإسلام، وكيف كان تفاعلها مع الإسلام في أيام الرسالة والخلافة، وما جرى عليها بعد ذلك من أحداث سياسية في عهد القرامطة، والعثمانيين، والعهد السعودي.

* تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، للشيخ محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر، وقد تناول فيه مواضيع متعددة من تاريخ الأحساء من مظاهر طبيعتها، ومدنها وهجرها ومواقع مشهورة فيها، وعيونها ومنتجاتها الزراعية، كما تناول الأحداث السياسية التي دارت على أرضها، وتعرض إلى ذكر نزر يسير من عوائل مدينتي الهفوف والمبرز وشقاً من ملامح الحياة العلمية والأدبية في الأحساء.

* الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء، للدكتور محمد بن موسى القريني، رسالة دكتوراه رصد فيها الباحث تاريخ الإدارة العثمانية في الأحساء، وما جاورها من أواخر القرن الثالث عشر وحتى الرابع عشر الهجري.

- * خمسون عاماً في جزيرة العرب، لحافظ وهبة.
- * صحيح الأثر في تاريخ هجر، للشيخ جواد بن حسين الرمضان.
- * شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، لخير الدين الزركلي.
- * تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري، للدكتور محمد بن ناصر الملحم.
- * الأحساء في وثائق الأرشيف العثماني، للدكتور سهيل صابان، يستعرض العديد من الوثائق الأحسائية في الأرشيف العثماني ذات الطابع الديني، والثقافي، والإداري، والمالي والاقتصادي، والعسكري والأمني، والسياسي، والاجتماعي.
- * صفحات من تاريخ الأحساء، للأستاذ عبدالله بن أحمد الشباط، وهو كتاب يضم مقالات تتحدث عن الأحساء في بعض أدوارها التاريخية.
- * تحفة الألباء في تاريخ الأحساء، للمؤرخ سليمان بن صالح النجدي، تناول فيها شتى مظاهر الحياة الأحسائية.
- * آل عصفور أسرة حكمت الخليج مائة وخمسين عاماً، للأستاذ خالد النزر، يتناول الكتاب تاريخ أسرة العصفور التي حكمت منطقة الأحساء والقطيف وجزيرة أوال» البحرين حالياً»، و آل عصفور هم من بني عامر أصحاب بادية البحرين كما أطلق عليهم المؤرخون وكانوا من أشد أنصار القرامطة.
- * العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية «إيالة الحسا»، للدكتور عبدالكريم بن عبدالله المنيف الوهبي، تناول في دراسته الحكم العثماني في منطقة شبه الجزيرة العربية «الحسا» ما بين سنتي ١٠٨٢-٩٤٩هـ، وتكمن أهمية الدراسة في أن بداية فترتها من الفترات الحرجة بالنسبة للمشرق العربي حيث كان المد البرتغالي في أوج قوته خاصة في غرب الخليج العربي.

* المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية: حضارة وتاريخ «الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، للأستاذ محمد علي الشرفاء، تناول موقع المنطقة الشرقية والأسماء التي أطلقت عليها على مر التاريخ، وأبرز تاريخها كمهد حضارات قديمة للساميين، وقد حاول أن يتتبع الآثار التاريخية المكتشفة فيها كما أشار إلى الحركة الدينية بعد الإسلام، وبسط الكلام عن الحركة القرمطية والدول التي خلفتها كاليونانيين والعصفوريين، هذا وقد تحدث عن التاريخ السياسي للدولة السعودية الأولى والثاني والثالث.

* التصدي السعودي للحكم العثماني للأحساء والقطيف ١٢٨٨ - ١٣٣١: دراسة وثائقية، للدكتور عبدالله بن ناصر السبيعي، تحدث فيه عن آل سعود والعثمانيين والمفاوضات التي جرت بينهما حول المنطقة، والمحاولات التي بذلها آل سعود لإجلائه منها.

* القرامطة بين المد والجزر، للدكتور مصطفى غالب، تناول فيه الكثير من الحقائق عن الحركة القرمطية وصراعها الطويل مع الخلافة العباسية.

* ساحل الذهب الأسود، للأستاذ محمد بن سعيد المسلم، كتاب تاريخي، يعتبر أول كتاب على شكل بحث علمي لساحل الخليج العربي، وقد استوعب كامل المنطقة الشرقية ومن ضمنها الأحساء.

* تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمى إقليم بلاد البحرين في ظل الدويلات العربية، للدكتور محمد محمود خليل، حيث سلط الضوء على إقليم بلاد البحرين خلال الفترة ٣٦٩-٩٦٣هـ / ١٠٧٦-١٥٥٥م، وقد شملت تلك الدويلات: العيونيين، والعصفوريين، وبني جروان، وسلطنة هرمز، والجبور.

* القرامطة، للشيخ باقر بن الشيخ موسى بوخمسين.

* تاريخ الأحساء السياسي، للدكتور محمد عرابي النخلة، تناول تاريخ الأحساء السياسي في الفترة ١٨١٨-١٩١٣م.

* سواحل نجد في وثائق الأرشيف العثماني، لكل من الدكتور زكريا كورشون، والدكتور محمد بن موسى القريني، وهو يضم العديد مما احتفظ به الأرشيف العثماني في اسطنبول من وثائق ومكاتبات رسمية للدولة العثمانية تخص الأحساء.

* القرامطة بين الدين والثورة، للأستاذ حسن بزون، تسائل فيه الباحث عن الحركة القرمطية هل كانت ثورة فعلية أم أنها كانت مجرد حركة انفصالية تخريبية ضد الإسلام؟ وهل كان القرامطة ملحدين أم كفارا فاسقين؟ أم أنهم كانوا فرقة إسلامية جديدة، اخترقت الفكر الأيديولوجي، وتمردت عليه واستبدلته بأيديولوجية جديدة؟ وقد توصل الباحث إلى أن القرامطة حركة فلاحية دعت إلى ثورة اجتماعية وقدمت مشروعاً نموذجياً لنظام موعود، أما قرامطة البادية فقد روعوا الدولة والبلاد والعباد لسنوات طويلة من دون أن يقدموا مشروعاً واضحاً.

* تاريخ أخبار القرامطة، لثابت بن سنان الصباي، حققه الدكتور سهيل زكار، وقد تناول فيه تاريخ أخبار القرامطة في كل من الأحساء والشام واليمن.

* القادم إلى هجر: مسرحية تاريخية، للأستاذ إبراهيم بن عبدالله الخميس، أصدرت بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة ومئوية التوحيد.

* شخصية المنطقة الشرقية في التاريخ والجغرافيا، للأستاذ محمد علي الشرفاء، تحدث فيه بشكل عام عن المنطقة الشرقية موقفاً ومدناً غير أنه خص القطيف بالتفصيل لمدنها وقراها، كما تناول الأحساء كذلك لكن بنحو محدود، هذا وقد أفرد باباً عن المنطقة الشرقية في العصر الحديث والنمو العمراني في عصر النفط.

* القارة تاريخ ورجال، للأستاذ أحمد بن عبدالمحسن البدر، تناول فيه تاريخ قرية القارة أحد أبرز حواضر الأحساء عراققة وشهرة، كما أن للمؤلف العديد من الكتب حول الأحساء، غير أنها لم تطبع.

الفرع الثاني: في مجال الجغرافيا.

وفيه ما يلي:

* هجر وقصباتها الثلاث: المشقر، والصفاء، والشعبان ونهرها محلم، للأستاذ عبدخالق الجنبي، طرح فيه الباحث اكتشافه للتل الذي يقوم فوقه حصن المشقر، وتوأمه حصن الصفا، كما تعرف على العين التي كانت تعرف في السابق باسم عين محلم الشهيرة، بعدها أعقبه البحث بالتعرف على موقع أهم مدينة عرفت هذه المنطقة وأبعدها ذكرا في التاريخ والأدب العربيين، ألا وهي مدينة هجر العظمى.

* جره.. مدينة التجارة العالمية القديمة، للأستاذ عبدخالق الجنبي، بحث أجراه عن مدينة «هجر» التاريخية الواقعة في مدينة الأحساء، واستنتج فيه أن مدينة هجر هي ذاتها مدينة «جره» التاريخية المختلف في موقعها بين مؤرخين ورحالة غربيين، والتي ورد ذكرها في العديد من كتب التاريخ اليونانية والإغريقية القديمة على أنها مدينة ذات أهمية تجارية كبرى تربط بين الشرق والغرب، وتشكل جزء من حضارة دلمون القديمة التي كانت تشمل كامل إقليم البحرين القديمة من البصرة شمالا حتى عمان جنوبا وليست مقتصرة على جزيرة أوال «البحرين حاليا» كما هو الاعتقاد السائد.

* العلاقات المكانية والزمنية للأسواق الأسبوعية وخصائص الجغرافيا في واحة الأحساء بالمملكة العربية السعودية، للدكتور محمد بن طاهر اليوسف، وهي

دراسة تتناول جوانب تفصيلية للأسواق الدورية في الأحساء مثل سوق الخميس، سوق الجمعة، وسوق السبت... إلخ، حيث تقوم بتحليل الخصائص والعلاقات المكانية والزمنية لتوزيع الأسواق الأسبوعية في الواحة.

* مركزية القرى وحركة التسوق في واحة الأحساء بالمملكة العربية السعودية: دراسة في التفاعل الحضري- الريفي، للدكتور محمد بن طاهر اليوسف، وهي دراسة علمية محكمة من جامعة الملك سعود بقسم الجغرافيا، استهدفت ما يلي:

- وصف وتحليل الأنماط السلوكية لحركة التسوق في قرى واحة الأحساء.

- وتحديد العوامل المؤثرة في الأنماط المكانية لحركة التسوق في قرى واحة الأحساء.

* الموسوعة الجغرافية لشرق البلاد العربية السعودية، للشيخ عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد.

* البوابة الجنوبية للأحساء: الطرف في ماضيها وحاضرها «الطبعة الأولى ١٤١٣هـ»، للأستاذ عبدالله بن حمد المطلق، وقد تضمن لمحة مختصرة عن الأحساء بشكل عام، ثم توجه بشكل تام إلى كشف النقاب عن مدينة الطرف من حيث جغرافيتها، وتاريخها القديم والحديث خاصة منه في العهد السعودي الثالث، من حيث عمرانها والمرافق الحكومية والخاصة والحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والأدبية بشكل تفصيلي.

* «الجبيل» قرية سعودية، للمهندس عبدالله الشايب.

* المعجم الجغرافي، المنطقة الشرقية «البحرين قديماً»، للأستاذ حمد الجاسر،

١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

* المنطقة الشرقية: ذاكرة مصورة، للأستاذ عبدالعزيز خالد العياف، وهو كتاب يضم صور عن المنطقة الشرقية قديماً وحديثاً.

* الأحساء: دراسة جغرافية، للدكتور عبدالله بن أحمد بن سعد الطاهر، تعرض فيه إلى جملة من المواضيع المتصلة بجغرافية الأحساء من حيث الموقع، والمناخ، والتربة، والزراعة، والمياه، والخصائص الديموغرافية لسكانها.

* أثر اكتشاف الزيت على المراكز العمرانية في واحة الأحساء، «رسالة دكتوراه ١٩٧٦م» للدكتور إبراهيم بن عبدالله العلاوي، وقد تناول فيها الخلفية التاريخية لمدن الشرق الأوسط قبل الإسلام وبعده، ومدنها الحديثة بعد اكتشاف النفط فيها والتطورات التي جرت عليها، هذا وقد ركزت الدراسة على الواقع الجغرافي والجيولوجي لواحة الأحساء، وأثر اكتشاف النفط فيها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الواحة.

* مدينة المبرز، للدكتور عبدالله بن أحمد الطاهر، تناول فيها تاريخ مدينة المبرز من حيث النشأة والدول التي حكمتها، كما أفرد جانباً منه للحديث عن الكتلة العمرانية القديمة والحديثة وتحديث عن السكان والنشاط الاقتصادي، وختمه بالحديث عن الجانب العلمي فيها.

* الأوضاع الراهنة لسكان والمساكن في قرى «الجرن والقرين وجليجلة» بمحافظة الأحساء بالمنطقة الشرقية، للدكتور عبدالله بن حسين الخليفة، والدكتور سعد بن عبدالعزيز السعران، والدكتور مانع بن قراش الدعجاني، والدكتور عبدالله عبدالعزيز اليوسف.

* الأداء الحراري للبيئة المبنية التقليدية في المناخ الحار الجاف، للمهندس حسين بن عمران الحرز، وهو رسالة أكمل فيها متطلبات الحصول على درجة الماجستير، في قسم العمارة وعلوم البناء بكلية العمارة والتخطيط، تناول فيها عدة موضوعات

ومنها تكيف الأفراد مع عناصر البيئة المحيطة به، و الكاتب أحسائي استوحى الكثير من مفاهيم الرسالة من واقع العمارة الأحسائية، وكيف تمكن سكان الأحساء من التعايش مع واقع بيئتهم الحارة الجافة.

* طراز المسجد القبة في المدينة المنورة والهفوف، للدكتور محمد حمزة إسماعيل الحداد، أبرز فيه الجانب الوصفي والتاريخي للمساجد الموجودة في كل من المدينة المنورة ومدينة الهفوف لما لها من أثر في العمارة الإسلامية عامة والعمارة الإسلامية في الجزيرة العربية والمملكة العربية السعودية خاصة.

* درة الأحساء: المنيزة بين الحاضر والماضي، للأستاذ إبراهيم حسين البراهيم.

* الوضع الزراعي في واحة الأحساء، للدكتور محمد بن عبد اللطيف الجبر، تناول في دراسته العوامل المؤثرة على الزراعة في واحة الأحساء في الحاضر والمستقبل في ظل التغير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي مرت به الأحساء، كما أشار إلى معوقات جمة واجهت ولا زالت تواجه عملية التنمية الزراعية فيها.

* الجغرافيا الحيوية، للدكتور عبد الله بن أحمد الطاهر.

* صحراء الربع الخالي والإدارة في ضوء المتغيرات الحديثة، للأستاذ زاهر بن علي المسعري، حيث صحراء الربع الخالي تتبع إداريا لمحافظة الأحساء.

* الجفر ماضيها وحاضرها، للأستاذ عبداللطيف بن سعد العقيل.

* العقير ميناء هجر وجنوب نجد، إعداد خالد أحمد الفريدة، ووليد عبدالله الحسين، وقد شاركت بهذا الكتاب إمارة المنطقة الشرقية في مهرجان الجنادرية رقم ١٣.

- * الخليج العربي وإستراتيجية الحياة الحضرية المبكرة، للأستاذ عبدالرحمن بن عثمان الملا، وهو من إصدارات النادي الأدبي في الأحساء، تناول مظاهر الحياة الحضرية في الخليج العربي، وهو مزود بالخرائط والصور.
- * المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية: حضارة وتاريخ، للأستاذ محمد علي الشرفاء، استعرض في جانب منه تاريخ الأحساء وحضارتها.

الفرع الثالث: في مجال الأسواق، والنقود، التنمية الاقتصادية، وصناعة السياحة، والخدمات.

وفيه ما يلي:

- * اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية «دراسة في التاريخ الاقتصادي» ١٣٥٢ - ١٣٨٠هـ، للدكتور عبدالله بن ناصر السبيعي.
- * النقود والموازين والمقاييس في سنجق الحسا في العهد العثماني ١٨٧١ - ١٩١٣م، للدكتور عبدالفتاح حسن أبو عليه، ١٩٨٤م.
- * الأسواق الشعبية في الأحساء، للأستاذ أحمد عبدالهادي محمد صالح.
- * اكتشاف الأحساء، صادر عن الهيئة العامة للسياحة والآثار، من جهاز التنمية السياحية والآثار بالأحساء، وهو دليل مصور يمكن السائح من الاستمتاع والاستفادة بكامل فترة إقامته بالأحساء.
- * الأحساء الإمكانيات الترفيهية على المستوى الإقليمي، «رسالة ماجستير، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ» للمهندس عبدالله بن عبدالمحسن الشايب، حيث قام الباحث بتعيين إمكانيات الترفيه الخارجي في منطقة الأحساء عن طريق حصر وتعيين نوعية

وكمية ومواقع المصادر الطبيعية والتاريخية الموجودة منها، بعدها قام بتصنيف وتخصيص الأنشطة الترفيهية بموجب إمكانيات الموقع.

* اقتصاد الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني ١٢٨٨ - ١٣٣١: دراسة وثائقية، للدكتور عبدالله بن ناصر السبيعي، تعرض فيه لطبيعة اقتصاد المنطقة وفعاليتها من زراعة وغوص وتجارة وصناعة محلية وصيد أسماك ولؤلؤ، كما بين أنواع العملات المتداولة فيها، وكيف كانت طبيعة عمل الإدارة المالية العثمانية في اللواء، وأنواع الضرائب والرسوم التي تأخذها.

* عين نجم بالأحساء: عمران مكان وسياحة استشفاء، للمهندس خالد بن أحمد بن داوود المغلوث، تناول فيه أهمية عين نجم سياحياً، واستشفائياً، وكيف كانت ملتقى لرحلة الحجاج، وعمقها في ذاكرة التاريخ.

* دور شركة الزيت العربية الأميركية «أرامكو» في تنمية المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، للدكتور عبدالرحمن بن عبدالله الأحمري، وهي دراسة في تاريخ التنمية.

* الأحساء معالم حضارية، من إصدار غرفة الأحساء التجارية والصناعية، وهو إصدار باللغة العربية والانجليزية، يستهدف إبراز وجه الأحساء الحضاري من الناحية التاريخية، وإمكانياته الترفيهية.

* دراسات في النظام المالي والخدمات لبعض جمعيات الحج في الأحساء، للأستاذ سلمان بن حسين الحجوي، رصد فيه تاريخ مؤسسات وشركات حجاج الداخل خلال قرن من الزمن مع دراسة مكتبية لنظامها المالي.

* نقود الدولة العيونية، للأستاذ نايف بن عبدالله الشرعان وهو بحث صادر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

* النقود العربية والإسلامية المضروبة في شرق الجزيرة العربية، للأستاذ محمد أبو الفرج العث، تناول في شق من دراسته تاريخ النقود في الأحساء، وقدمه في مؤتمر دراسات شرق الجزيرة العربية بالدوحة في دولة قطر.

* سوق الحميدية، للدكتور سلطان القحطاني، أرخ فيه لسوق الحميدية الأحسائي في مدينة الهفوف، خاصة وأن الاسم يتشابه مع سوق الحميدية السوري، وأوضح بأن سوق الحميدية الأحسائي أسبق من الأخير.

* سوق الخميس، للأستاذ خليل الفزيع، وهو عبارة عن مجموعة قصصية، اشتملت في ثناياها على جانب ثقافي من أسواق واحة الأحساء.

* الخطة التنموية لحاضرتي الهفوف والمبرز، للأستاذ راشد الحسن في عام ١٩٩٩م وهو كتاب صادر عن جامعة الملك فيصل.

الفرع الرابع: في مجال الزراعة.

وفيه ما يلي:

* الأساسيات التاريخية الفطرية التي اشتملت عليها واتصفت بها بيئة واحة الأحساء، للأخصائي الزراعي لعبد العزيز حسن الحسيني، والباحث الحيواني وصالح ناصر الحميدي، والباحث في الثروة الحيوانية عبدالعزيز محمد الملحم «الطبعة الأولى ١٤١٣هـ». وقد تناولوا فيه البيئة الفطرية في واحة الحساء تعريفاً ووصفاً للأسس التاريخية الفطرية لطبقات الأرض وللمياه ولأنظمة الري والأراضي المزروعة، والطرق التقليدية الزراعية في الأحساء، وكذا الأسس التاريخية الفطرية للأحياء الحيوانية والنباتية. وقد صدر الكتاب عن حماية البيئة الفطرية الزراعية

بالمركز الإقليمي للأبحاث الزراعية التابع لوزارة الزراعة والمياه.

* الوضع الزراعي في واحة الأحساء، للدكتور محمد بن عبداللطيف الجبر، تناول في دراسته العوامل المؤثرة على الزراعة في واحة الأحساء في الحاضر والمستقبل في ظل التغير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي مرت به الأحساء، كما أشار إلى معوقات جمة واجهت ولا زالت تواجه عملية التنمية الزراعية فيها.

* الانجازات العلمية والفنية بالمركز الوطني لأبحاث النخيل والتمور، لكل من: المهندس علي الجبر، والمهندس نبيل الوصيبي، و الدكتور عبدالله بن عبدالله كبير خبراء الفاو، والدكتور منير البلاج خبير الزراعة النسيجية من جانب منظمة الأمم المتحدة للأغذية الزراعية.

* الثروة المائية في المملكة العربية السعودية، للأستاذ أبو الفضل أحمد عز الدين خلف الله، استعرض فيه أهمية المياه وندرته في المملكة العربية السعودية، ومصادرها.

الفرع الخامس: في مجال التعليم.

وفيه ما يلي:

* مصطلحات علم الكلام عند الشيخ أحمد الأحسائي، للأستاذ أحمد بن عبدالهادي محمد المحمد صالح، حاول فيه تتبع المصطلحات الكلامية التي ذكرت في رسالة حياة النفس وحضيرة القدس للشيخ أحمد الأحسائي، وتوضيح معناها بناء على ما ذكر في إحدى مؤلفات الشيخ الأحسائي، وفي حالة عدم توفرها أورد معناها من كتب غيره من العلماء والمفكرين الذين لا يتفقون معه في منهجه.

* كانت أشبه شيء بالجامعة: قصة التعليم في مقاطعة الأحساء في عهد الملك عبدالعزيز، للدكتور محمد بن عبداللطيف الملحم، وقد تناول فيه المؤلف وضع المدرسة من الناحية التأسيسية، والثقافية والتدريسية والتاريخية.

* الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية ١٣٦٠ - ١٣٨٠هـ، للدكتور عبدالله بن ناصر السبيعي «الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ». تعرض فيه للوضع الثقافي في المنطقة عبر العصور التاريخية: الجاهلي والإسلامي والحديث، موضحاً أنماط المدارس من كتاب ومدارس للوعظ والإرشاد وأربطة علمية ومساجد ومجالس علمية قبل توحيد المملكة العربية السعودية. كما تعرض لفعاليتها بعد التوحيد من فتح للمدارس والمكتبات والنوادي الأدبية والصحافة والإعلام والنشر، وما ترتب على ذلك من حركة تأليف علمية.

* لمحات من الحياة التعليمية في الأحساء من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر الهجري، للأستاذ عبداللطيف بن عثمان الملا، تحدث فيه عن التعليم الديني والكتاتيب وأبرز المدارس في هذا المجال، كما تعرض للحياة التعليمية الحديثة والمتمثلة في المدارس والمعاهد والجامعات.

* الأحساء والكتاتيب: مدرسة وشيخ، للأستاذ أحمد بن محمد الملحم، تحدث فيه عن ملامح حضارية في الأحساء، وتاريخ الكتاتيب في الأحساء، كما أفرد فصلاً خاصاً عن مدرسة الشيخ سعيد الملحم التي أنشأت قبل ٢٠٠ عامٍ وبعضاً من أعمال أسرة الملحم الخيرية.

* التعليم التقليدي: المطوع في الأحساء، للشيخ محمد بن علي الحرز، تحدث فيه عن تاريخ التعليم عبر الكتاتيب المسماة بـ «المطوع» في الاصطلاح الأحسائي.

الفرع السادس : في مجال الاجتماع.

وفيه ما يلي:

* اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاجتماعية في المنطقة الشرقية ١٣٥٢ - ١٣٨٠هـ «دراسة في التاريخ الاجتماعي»، للدكتور عبدالله بن ناصر السبيعي.

* عائلة الخرس: حالة دراسية لمجتمع الأحساء بالمملكة العربية السعودية، للدكتور محمد بن جواد الخرس، استعرض فيه الملامح الثقافية لعائلة الخرس كحالة دراسية، من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، بهدف تأصيل منهجية مبتكرة من قبل الباحث تهدف إلى تشييد علاقات الرحم، و أطراف النسب والمصاهرة مهما غاصت في أعماق التاريخ، وذلك تحت شعار«لنتحف أبناءنا ببعض سير آبائنا: اجتماعيا واقتصاديا وعلميا»، الأمر الذي سيفضي له هذا المنهج عند التوسع في استخدامه بين الكتاب حول العوائل، جمع مفردات ثقافة المجتمعات وتكوين صورة حضارية عنه، صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

* مهرجان الزواج الجماعي الثامن عشر بالحليّة، للجنة المنظمة بالحليّة أحد القرى الأحسائية.

* المشروع الخيري للتبرع بالدم: مسيرة عطاء، للأستاذ عبدالوهاب الحمد، والأستاذ عبدالمحسن بوحمد، وهو من إصدارات مركز بر الفيصلية بالهفوف، حيث يسلط الضوء على تجربة التبرع بالدم في محافظة الأحساء، وأهدافها وإحصائيات عن نتائج المشروع.

* هذه بلادنا: الأحساء، للأستاذ عبدالله بن حمد بن مبارك المطلق، تناول الكتاب تاريخ الأحساء ونهضتها العمرانية وتراثها وثقافتها، وحضارتها.

الفرع السابع: في مجال الفكر والأدب.

وفيه مايلي:

* تاريخ الحركات الفكرية واتجاهاتها في شرق الجزيرة العربية وعمان، للأستاذ عبد الرحمن الملا، حيث تعرض فيه لبعض المذاهب الفكرية التي اعتنقت في الساحل الشرقي من مجوسية والأسبذية «عبادة الخيل» ويهودية ومسيحية على المذهب النسطوري، بعدها جاء المذهب الإسلامي.

* التحولات الفكرية والاجتماعية في الأحساء، للدكتور أحمد بن محمد اللويم، وهو كتاب يضم مقالات كتبت على مراحل مختلفة من التحولات والتغيرات الفكرية في الأحساء.

* تاريخ تطور الأغراض الخطابية في المنبر الحسيني عبر أدواره الثلاثة: حاضرة الأحساء في المملكة العربية السعودية حالة دراسية «منذ واقعة الطف وحتى تاريخ ١٤١٣هـ، للدكتور محمد أبوعلي، تناول فيه الباحث الأدوار الرئيسية التي مرت فيها الخطابة الحسينية: من دور تأسيس، وروائي، وآخر تفسيري، كما فصل في الدور الأخير حيث أوضح بأن من رحمه ولدت مدرستان: المدرسة التاريخية لمؤسسها الشيخ كاظم السبتي، والمدرسة العلمية لمؤسسها الشيخ الدكتور أحمد الوائلي، وقد سعى إلى معرفة دور الأحساء خلال هذه الأدوار الثلاثة، ماذا أخذت؟ وماذا قدمت؟ ومن أبرز الرواد من الأحسائيين في كل دور؟ وما هي إسهاماتهم الكتابية في المجالس الحسينية أيضا في كل دور، هذا وسعى إلى رفع مصداقية الرصد من خلال دراسة ميدانية اعتمدت منهجية العينة الإحصائية العشوائية وذلك بغرض تقليل نسبة التحيز في عرض الآراء عندما أراد أن يرصد واقع الخطابة في الوقت الراهن.

* منطقة الخليج العربي: بيئتها وشعراؤها في الجاهلية، للدكتور محمد بن عثمان

الملا.

* درة من الأحساء، رواية عن جانب من الواقع الأحسائي، للأستاذة بهية بنت عبدالرحمن بوبشيت.

* حركة التأليف والنشر بالأحساء والمنطقة الشرقية، للشيخ عبدالرحمن الملا، وهو كتاب صادر عن جامعة الملك فيصل.

* دراسة في الأدب النسائي، للأستاذ أحمد بن إبراهيم الديولي، والدكتور بسيم عبدالعظيم عبدالقادر، تناولا جانباً من النتاج الأدبي النسائي في محافظة الأحساء بالمملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية.

* قراءة في تراجم حسن الشيخ، للأستاذ علي محمد علي، تناول بالتحقيق فن الترجمة وأسلوبها لدى الأستاذ حسن الشيخ.

* حافلة الأحساء، وولادة فارس قبيلة المطاريد، والفوارس، مجموعات قصصية للأستاذ حسن الشيخ، تضمنت العديد من ملامح الثقافة الأحسائية.

* المشهد الثقافي في الأحساء، منتدى المعيلي نموذجاً، للأستاذ سلمان بن حسين الحجري، حاول فيه أن يوثق لنشاط وفعاليات منتدى المعيلي الثقافي بالأحساء.

* الأحساء في عيون الشعراء، للأستاذ عبداللطيف بن سعد العقيل، حاول أن يرصد الأحساء في عيون الشعراء، حيث أطلقوا العنان لمواهبهم الشعرية فالتحمت مع آفاقها الحضارية وتغنوا بجمالها التي تحكيه سعفات النخيل، وأنهار المياه، وسجايا السكان.

* الأحساء: أدبها وأدباؤها المعاصرون، للأستاذ عبدالله بن أحمد الشباط، تناول فيه روافد الحركة الثقافية في الأحساء، والسبل التي طرقتها أدباؤها ومنهجهم في التعبير. كما خص كتابه بفصل أورد فيه قراءات نقدية سبق نشرها على صفحات

الجرائد، وفصل آخر بمعجم أبجدي لأدباء الأحساء الذين عاصرهم المؤلف. ثم عرض نماذج مختارة من أدب المقالة، ونصوصاً شعرية، وختم كتابه بالحديث عن الفنون المعاصرة.

* ظمأ اليراعة، للأستاذ عادل الرمل، دراسة تحليلية في أحد جوانب الشعر الأحسائي المعاصر.

* مواهب كتابية، للشيخ صبحي موسى العبد رب النبي، ويعنى الكتاب بكتابات شباب حي الملك فهد بالهفوف بالأحساء، وقد تضمن مجموعة من المقالات في مواضيع متفرقة.

الفرع الثامن: في مجالات ثقافية متنوعة.

وفيه ما يلي:

* الأسرار الخفية في معالم الأحساء الأثرية، للأستاذ إبراهيم بن حسين البراهيم، حاول فيه استكشاف فن وطرز العمارة الإسلامية المختلفة بالتطبيق على الأحساء كحالة دراسية.

* من الألعاب الشعبية في الأحساء، للأستاذ أحمد عبدالهادي محمد صالح.

* بن مقرب بين الحسا وعمان، حكايات شعبية عمانية، وهو يحكي واقع الشاعر الأحسائي في التراث العماني.

* قاموس الأمثال والكلمات السائرة في الأحساء، للمهندس عبدالله الشايب.

* مقالات في تراث الأحساء، للمهندس عبدالله الشايب.

* ٥٠٠ سؤال وجواب عن الأحساء للأستاذ ابراهيم البراهيم، والأستاذ عبد الله حسين البراهيم. تناول تاريخ الأحساء: حاضرها وماضيها، وأهم العادات والتقاليد، والشواطئ، والصحاري، والزراعات والصناعات، والثقافة والفنون، وأهم المدن والقرى والهجر.

* العامية الفصيحة في لهجة أهل الأحساء، للدكتور محمد الملحم، حيث جمع فيه ٣١٩ كلمة متداولة في الأحساء يحسبها غالبية الناس من اللهجة العامية، بيد أن أصلها كلمات فصيحة، وهو من إصدار النادي الأدبي في الأحساء.

* الشباب والمسرح في الأحساء، للأستاذ يوسف صالح الخميس، تناول فيه تاريخ العمل المسرحي في الأحساء خلال ربع قرن.

* الأمثال الشعبية في الأحساء، للدكتور فهد بن حمد المغلوث، «الطبعة الثانية ١٤١٩هـ»، ضمن فيه المؤلف ١٥٠٠ مثل شعبي وقول سائر وحكمة واردة على السنة الأحسائيين، ولم يكتفِ بذكره بل أوضح موارد استخدام كل منها.

المطلب الثاني

أبحاث أجنبية مترجمة

من الأبحاث الأجنبية التي تعرضت لتاريخ الأحساء مايلي:

* دليل الخليج، للويمر، مكون من جزأين عن منطقة الخليج العربي أحدهما جغرافي أنجزه سنة ١٩٠٨م، والثاني تاريخي أنجزه عام ١٩١٤م، وقد صنف وصوب وعلق على الجزء الخاص بتاريخ المملكة العربية في هذا الدليل الدكتور سعيد بن عمر آل عمر، كَوّن منه كتاب بعنوان: تاريخ المملكة العربية السعودية في دليل الخليج، «الطبعة الأولى ١٤١٧هـ».

* في شبه الجزيرة العربية المجهولة، لروبرت إرنست تشيزمان، دَوّن فيه الكاتب وقائع رحلته إلى الأحساء حيث دخلها من ميناء العقير واستقر بمدينة الهفوف، وخلال إقامته فيها رصد الكثير من ملامح الحياة الاجتماعية فيها آنذاك «١٩٢١م»، بعدها توجه إلى صحرائها الجنوبية حيث يبرين، ثم أقبل راجعاً إلى الهفوف مرة أخرى، هذا وقد تضمن كتابه رسداً دقيقاً للعديد من الحياة الفطرية فيها الحيوانية والنباتية.

* واحة الأحساء، «رسالة دكتوراه ١٩٥٢م»، لفيدريكو شميد فيدال، تحدث فيها عن الأحساء جغرافياً من حيث الموقع والمعنى ومكونات الواحة من سهول وهضاب وسبخات ومناخ، واجتماعياً من حيث مدنها وقراها وحصونها، واقتصادياً من حيث يبايعها وملكية أراضيها ونظام الري فيها وزراعة النخيل والعناية بها، وثرواتها الحيوانية والأوزان و المقاييس والعملات المتداولة فيها، كما قام بتحليل للوضع

الاقتصادي فيها والحرف والصناعات التي احترفوها، كما قام بمسح لآثارها. وقد ترجم أغلب مواد الكتاب الدكتور عبد الله بن ناصر السبيعي.

* سفر نامة، لناصر خسرو، وهو كتاب لرحالة فارسي، اجتاز واحة الأحساء وسجل ملاحظاته، وهو من أقدم المصادر عنها، ترجمه إلى العربية يحيى الخشاب، في معهد اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م.

* رحلة إلى الجزيرة العربية، لجورج سادليير، ترجمه الدكتور عيسى أمين، وهو كتاب يتضمن مذكرات فرانسيس لوخ وجورج سادليير، استعرض فيه تاريخ الخليج العربي والظروف السياسية التي أدت إلى اتفاقية عام ١٨٢٠م للأمن البحري والتي وقعتها بريطانيا مع شيوخ الخليج العربي والبحرين، وقد تناول فيه جانباً من ملامح حياة الأحساء آنذاك.

المطلب الثالث

أبحاث بلغة أجنبية

- * THE ARAB OF THE CESERT، H. R. P. DICKSON، LONDON «1949».
- * THE HEART OF ARABIA، PHILBY، H. ST. J. B. 2 VOLS. NEW YORK، LONDON.
- * THE EASTERN PROVINCE OF SAUDI ARABIA، WILLIAM FANCEY.
- * THE INFLUENCE OF UPON SETTLEMENT IN AL-HASA OASIS، IBRAHIM S. AL-ABDULLAH AL-ELAWY.

المطلب الرابع

تراجم لشخصيات أحسائية

طبع العديد من كتب التراجم لمن درج على أرض الأحساء من رجال العلم والأدب ومن تلك الكتب ما يلي:

* فجر العمران، للأستاذ عبدالمحسن المطوع، جمع فيه مجموعة قصائد من شعراء مدينة العمران الأحسائية.

* قلائد الدرر ونفائس الأثر في أحوال علماء وأدباء هجر، للشيخ جواد بن حسين الرمضان، استعرض فيه شخصيات هجرية و بعض نتاجهم الأدبي.

* أعلام هجر، للسيد هاشم الشخص كتاب موسوعي اشتمل على تراجم لعلماء وأدباء من الأحساء وقد طبع منه عدة أجزاء.

* أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف و الأحساء والبحرين، للشيخ علي بن الشيخ حسن البلادي.

* الأحساء، للدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، تضمن العديد من أعلام الأحساء نشر في دائرة المعارف الشيعية للسيد حسن الأمين.

* الفهرس المفيد في تراجم أعلام الخليج، للأستاذ أبو بكر عبد الله بن محمد الشمري.

* شخصيات رائدة من بلادي، للأستاذ معاذ بن عبد الله المبارك.

- * شعراء هجر، للدكتور محمد الحلو.
- * مطلع البدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والبحرين، للشيخ جواد بن حسين آل الشيخ علي آل رمضان.
- * منتظم الدررين في تراجم علماء وأدباء القطيف و الأحساء والبحرين، للأديب الحاج محمد علي آل نشرة التاجر البحراني.
- * أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف و الأحساء والبحرين، للشيخ علي بن حسن البلادي البحراني.
- * أعلام من الأحساء، للأستاذ عبدالرزاق بن عبدالله البابطين، ترجم فيه لشخصيات ساهمت في الحركة السياسية والثقافية والاجتماعية في منطقة الأحساء من القرن الخامس وحتى القرن الرابع عشر الهجري.
- * من أعلام مدينة المبرز، للأستاذ عبدالله بن عيسى الذرمان، سلط الضوء فيه على العديد من الشخصيات البارزة في مدينة المبرز من حيث الجانب العلمي، والحضور الاجتماعي.
- * أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي في القرن الثالث عشر الهجري، للأستاذ أحمد عبدالهادي محمد المحمد صالح، حاول فيه أن يرصد الأعلام الذين تتلمذوا على الشيخ أحمد الأحسائي، ومن تتبع وأيد منهجه الفكري والفلسفي.
- * هكذا وجدتهم، للأستاذ سلمان بن حسين الحجري، تناول فيه ١٣٠ شخصية، خص الأحساء فيه ب ١٢٧ شخصية، من علماء دين وخطباء وأطباء، ومهندسين ومعلمين ووجهاء وشخصيات عامة.
- * شعراء قادمون من الأحساء، للأستاذ ناجي بن داوود الحرز، عرض فيه لأجمل وأهم عشر تجارب شعرية أحسائية من أعضاء منتدى الينابيع الهجرية الأدبي.

المطلب الخامس

أبحاث عن حياة العلماء والأدباء.

هناك أبحاث تناولت تراجم متعددة لشخصيات أحسائية، صدرت أيضا دراسات متخصصة في حياة بعض الشخصيات العلمية والأدبية الأحسائية منها ما يلي:

* أرجوزة في حياة الشيخ الأوحى الأحسائي: للسيد محمد رضا السلطان، تناول فيها جوانب عديدة من الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي.

* عندما يغيب الملاك: قبسات من سيرة الشيخ حسين بن محمد الخليفة المتوفي عام ١٤٢٦هـ، للسيد محمد رضا السلطان، وجاء الكتاب على هيئة منظومة شعرية، تم التعليق على آياتها بالعديد من التفصيلات الهامة حول الشيخ في حياته وبعد رحيله.

* ابن المقرب: حياته وشعره، للأستاذ عمران بن محمد العمران «الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ».

* التجربة الشعرية عند ابن المقرب: للأستاذ محمد العياشي، الطبعة الأولى ١٩٧٦م.

* علي بن المقرب العيوني: حياته وشعره، للأستاذ علي الخضير.

* ابن المقرب العيوني: شاعر الخليج في عراقياته، للأستاذ رزوق فرج رزوق، قدم بحثه في جامعة البصرة.

- * علي بن المقرّب العيوني: حياته وشعره في المصادر العربية والأجنبية، للدكتور صلاح كزار، صادر عن مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
- * الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي: قدوة العلم والعمل، للشيخ موسى بن عبد الهادي بوخمسين «الطبعة الأولى ١٤١٣هـ».
- * الشيخ باقر أبو خمسين: علم وعطاء وأدب، للشيخ محمد بن علي الحرز «الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ».
- * هزاز الأحساء، وبلبلها الغريد: حماد الراوية الثاني الشيخ عبد الله أبو شبيب، للدكتور محمد بن عبد اللطيف الملحم.
- * شاعر الخليج النبطي: حمد العبد اللطيف المغلوث، للمهندس خالد بن أحمد المغلوث «الطبعة الأولى ١٤١٨هـ».
- * الشيخ علي البلادي القديحي: للشيخ حسن بن موسى الصفار «الطبعة الأولى ١٤١٠هـ».
- * الشيخ علي الرمضان: طائر الأحساء المهاجر، للشيخ محمد بن علي الحرز.
- * سيرة آية الله الشيخ محمد الهاجري: لسلمان بن حسين الحجّي كتاب مؤلف من ثلاثة فصول، تناول المؤلف فيه حياة الشيخ منذ ولادته، وسفره لطلب العلم الشرعي، والإجازات العلمية الدالة على اجتهاده، كما تعرض إلى علاقاته الاجتماعية، وصدى وفاة الشيخ، كما زود الكتاب بمجموعة من الصور الفوتوغرافية.
- * ملا علي بن فايز بن سلمان الحجّي: كتاب الكتروني للأستاذ سلمان بن حسين الحجّي، أثبت فيه نسب الخطيب الشهير الملا علي بن فايز إلى أسرة الحجّي والتي ترجع إلى عائلة الغريري، كما حدد مسقط رأسه في حارة الرفعة الشمالية من مدينة الهفوف.

* شاعر بني خالد ولسانهم الفصيح: مهنا أبو عنقاء الخالدي، حياته وشعره، للأستاذ خالد أحمد داوود المغلوث.

* شرح ديوان طرفة بن العبد: للدكتور سعيد الضناوي، ألقى فيه الباحث الضوء على ملامح البيئة التي عاش فيها طرفة بن العبد أحد شعراء هجر، كما شرح ديوانه.

* حمد المغلوث: الشاعرية والعذرية، للأستاذ فهد بن حمد المغلوث، تناول فيه حياة شاعر أحسائي، وشعره.

* محمد العلي: شاعرا ومفكرا، للأستاذة عزيزة فتح الله، تناولت فيه الأستاذ محمد العلي كناقذ ومفكر وأديب، وأب للحركة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية، وهو من أعلام الأحساء.

* الشيخ أحمد بن علي بن الشيخ مبارك رائد الأدب الأحسائي الحديث: حياته وأدبه، للأستاذ خالد بن قاسم الجريان، والأستاذ عبد الله بن عيسى الذرمان.

* قبسات من حياة الشيخ عبد الوهاب الغريري: كتاب جمعه سلمان بن حسين الحجري، وأعدده الملا علي العساكر يتناول أهم المفاصل الأساسية في حياة الشيخ عبد الوهاب الغريري، خلال قرن من الزمن.

* عدة بحوث عن حياة الشيخ أحمد الأحسائي وتلامذته: وبعض الشخصيات العلمية الدينية في الأحساء، وعن الأسر العلمية في الأحساء، ومن اهتم بدعم الحركة العلمية في الأحساء من نساخ الكتب، للأستاذ أحمد بن عبد الهادي محمد محمد صالح، وهي منشورة في عدة مجلات دورية منها مجلة الواحة والساحل والفقاهة، ومن عناوين تلك البحوث، التلامذة والمجازون من الشيخ الأحسائي، ومصادر ترجمة

الشيخ أحمد الأحسائي، وكشكول الأحسائي، وإجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ محمد إبراهيم الكلباسي، والأسر العلمية في الأحساء من كتاب «أعلام الأحساء» للمؤرخ الشيخ جواد الرضمان، رسالة في صلاة الجماعة للشيخ طاهر أبو خمسين، رسالة في نسب آل السيد سلمان الأحسائيين، مسألة في كفارة النذر والعهد للشيخ أحمد بن مال الله الصفار القطيفي الأحسائي، كما حقق في كتاب مستقل مسألة حول الحقيقة المحمدية للشيخ أحمد الأحسائي.

* منهج التأليف اللغوي عند الدكتور عبدالهادي الفضلي: للأستاذ علي محمد علي.

* الدكتور الفضلي: يفتح أوراقه للحوار، للأستاذ حسين بن منصور الشيخ، كتاب يتجول في حياة الشيخ الخاصة وبيدأها من رحلته العلمية من البصرة إلى النجف الأشرف.

* علي الحمراي: حياته وشعره، للشيخ حسن بن جعفر البناي.

* حبيب بن الشيخ: ذاكرة قلم أحسائي، للأستاذ يحيى بن عبدالهادي بن حبيب العبد اللطيف.

* سيرة ثقافية في حياة رجل: دراسة موضوعية في حياة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الملا وجهوده الثقافية، للأستاذ عبدالرحيم محمد سعيد برمبو.

الفصل الثالث

المظاهر الحضارية في مدينة الهفوف

تتعرف خلال هذا الفصل على الهفوف أحد أبرز مدن محافظة الأحساء وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: جغرافية محافظة الأحساء.

المبحث الثاني: تاريخ تأسيس مدينة الهفوف في محافظة الأحساء.

المبحث الثالث: أحياء مدينة الهفوف.

المبحث الرابع: مظاهر التفاعل الحضاري في واحة الأحساء، وتحليلها من وجهة نظر الاختصاصيين في مجال الجغرافيا الحضارية.

المبحث الأول

جغرافية محافظة الأحساء^(١)

في سياق الدراسة نطاقان جغرافيان، أحدهما يقع في دائرة الأخرى هما: محافظة الأحساء، وواحة الأحساء، فالمحافظة هي النطاق الأكبر وما الواحة إلا أحد مكوناتها، فما بين دائرتي عرض ١٧ - ٢٦ وخطي طول ٤٨ - ٥٥ في الجزء الجنوبي من المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية، ترتمي واحة الأحساء بين أحضان طبيعة غناء، تعانق فيها النخيل أشجار اللوز، والنبق، والتين، والعنب، والليمون، والأترنج، على ضفاف العديد من عيون المياه الجوفية المتدفقة عبر قنوات ري كبيرة، كانت في ماضيها البعيد يصطلىح عليها بالأنهار العظيمة.

تقدر مساحة محافظة الأحساء بـ ٥٣٠ ألف كم مربع، ممثلة بذلك نسبة ٢٤٪ من مساحة المملكة، حيث تشتمل هذه المساحة على مدينتي «القفوف»، و«المبرز»، وثلاث مدن صغيرة هي: «الجفر»، و«العمران»، و«العيون». ويتبع المدن الخمس ٢٢ قرية، مضافاً إليها مساحة رملية شاسعة خالية تصهر حباتها الذهبية أشعة شمس ملتتهبة، تصل أطرافها إلى حدود قطر، والإمارات العربية، وعمان، واليمن، تدعى بـ«صحراء الربع الخالي» وتقدر مساحتها بـ ٦٤٠ ألف كم مربع، وصحراء من الناحية الغربية تدعى بـ«صحراء الدهناء» تقدر مساحتها بـ ٨٠ ألف كم مربع، وبذا تشكل الصحراء ٤٠٪ من مساحة المحافظة.

والواحة منها تضم المدن، والقرى المذكورة، وحيازات زراعية واسعة، كل هذا على

(١) صالح علي العيدان وعبدالله محمد العرفج وسعيد عبدالله الخرس، الأحساء في مئوية التوحيد والبناء "الأحساء: ١٤١٩هـ" الطبعة الأولى ص ٧٣ - ٨٢.

أرض منبسطة في معظمها، تبدأ كمنخفض مفاجئ من الغرب، والجنوب، ثم تبدأ بالانحدار التدريجي نحو الشرق، والشمال، بمعدل ١٥م لكل كيلومتر، و ٣٠م لكل ٢٠ كيلومتر، على التوالي. طولها من الغرب إلى الشرق ١٥ كيلومتر، بعرض ٦ - ٨ كيلومتر، وطولها من الجنوب إلى الشمال ٢٥ كيلومتر، بعرض ٥ - ٦ كيلومتر، هذا وترتفع عن سطح البحر في بدايتها بمعدل ١٥٠م من الغرب والجنوب، و ١٣٠م - ١٢٠م في الأطراف الشرقية والشمالية على التوالي^(١).

تتوفر الينابيع المتدفقة طبيعياً في واحتها عن طريق تكوين النيوجين في معظمها، وهي مياه قادمة من الجهة الغربية والجنوبية الغربية، ويمكن تصور سبب تجمع المياه في هذه المنطقة بالذات إذ عُلِم أن صدع الغوار الشهير، يحيط بالواحة بشكل هلالى تقريباً، بحيث يبدأ من الجنوب الغربي ابتداءً من جبل الخرماء جنوب الواحة ٢٠ كيلومتر، ثم يتجه شمالاً مع انحراف قليل للشرق ثم يتجه شمالاً مع انحراف قليل للغرب إلى أن ينتهي شمالاً عند بالدلايس على بعد ٢٠ كيلومتر من الواحة. فهذا الصدع تقريباً يحتضن معظم هذه المياه في هذا المكان بالذات^(٢). ولذا يلاحظ أن ينابيع الأحساء الشهيرة تقع في منطقة محدودة وشريط متتابع من الجهة الغربية للواحة بحيث يبدأ من الجنوب الشرقي مجموعة عين برابر «اللومي، أم الخيس، بهجة، ثعلبة، أم الليف، المشيطية وغيرها» ثم يتجه غرباً ليضم «عين الخدود، وأم جمل، والحقل» ثم يتجه شمالاً ليضم «عين باهلة، والجوهريّة، ثم يخرج من الواحة بالاتجاه الشمالي الغربي ليحتضن مجموعة «عين الحارة، ومنصور، وأم سبعة، والحويرات»، و من يتتبع أماكن تواجد ينابيع الأحساء يستطيع أن يحدد مكان هذا الصدع^(٣).

(١) Mohammad A. Al-jabr. Agriculture in Al-hsaa Oasis Saudi Arabia Areviewo of Development. (١) 1984. p 64 - 85 - 93

(٢) واكوتي، دراسة مائية وهندسة زراعية، "أرامكو: ١٩٦٣م" الجزء ٤، ص ٣-١٦.

(٣) وزارة الزراعة والمياه، الأساسيات التاريخية الفطرية والزراعية التي اشتملت عليها واتصفت بها بيئة محافظة الأحساء، ص ٤١.

تسهم في تشكيل تضاريس محافظة الأحساء هضبتي الدبدبة والصمان وصخور بحرية على ساحل البحر هذا بالإضافة إلى سبخات شاسعة أهمها «الأصفر» وتقدر مساحته بـ ٦٠٠٠ هكتار، و«الصراة» تقدر مساحته بـ ٥٠٠٠ هكتار، وهما مرفقان تبدو أهميتهما في استقبال مياه الصرف الزائدة عن حاجة الزراعة، فقد كان ولا يزال سهلها الساحلي خصباً للزراعة، غير أن مساحتها الزراعية في حالة تناقص كبيرة، حيث كانت تضم قديماً ٣٠ ألف هكتار، وتقلصت عام ١٣٨١هـ إلى ١٦ ألف هكتار، وفي وقتنا الراهن لا تزيد على ٨ آلاف هكتار، هذا وتطل المحافظة على الخليج العربي عبر بوابتين بحريتين إحداهما كانت عروساً للخليج أيام زينتها، تعبر منها الخيرات على شتى ألوانها التجارية، والصناعية، والزراعية، والعمالية، من البر إلى البحر، والعكس صحيح، تدعى «العقير» وبوابة أخرى تدعى «سلوى»، وكما أن المحافظة لم تخل من السهول الزراعية والسبخات، والصحاري، فهي كذلك تضم هضبتين كبيرتين هما: الدبدبة، والصمان، وحافات صخرية في كل من العقير، وسلوى، وهي بشكل عام تبعد عن البحر ٤٠ كم إلى الشرق منها، و ١٥٠ كم جنوبي الدمام، و ٣٢٠ شرق الرياض، وتلتقي من أطرافها حدود المملكة مع جارتها في الخليج بكل من: قطر، والإمارات العربية المتحدة وعمان، كما تلتقي بركانها الجنوبي الغربي مع اليمن.

المناخ في الواحة قاري، شديد التطرف، صيفاً وشتاءً، صعوداً وهبوطاً، حيث تتراوح درجة الحرارة فيه ما بين ٤٤م - ١٥,٥م، والصيف فيها طويل يبدأ في شهر أبريل مستمراً حتى شهر نوفمبر، أما الشتاء فيتواصل فيها لمدة ثلاثة أشهر، هي: ديسمبر، ويناير، وفبراير، غير أن الثاني منها أشدها برودة، حيث تمر بها موجات الصقيع في ساعات الصباح الباكر، وليس للمنطقة من ربيع غير شهر مارس وشطراً من شهر أبريل، حيث تبدأ في نهايته ارتفاع درجة الحرارة بشكل سريع، والخريف فيها لا يعدو الشهرين أيضاً أحدهما في أكتوبر، حيث تكثر فيه السحب التي تجود أحياناً بزخات

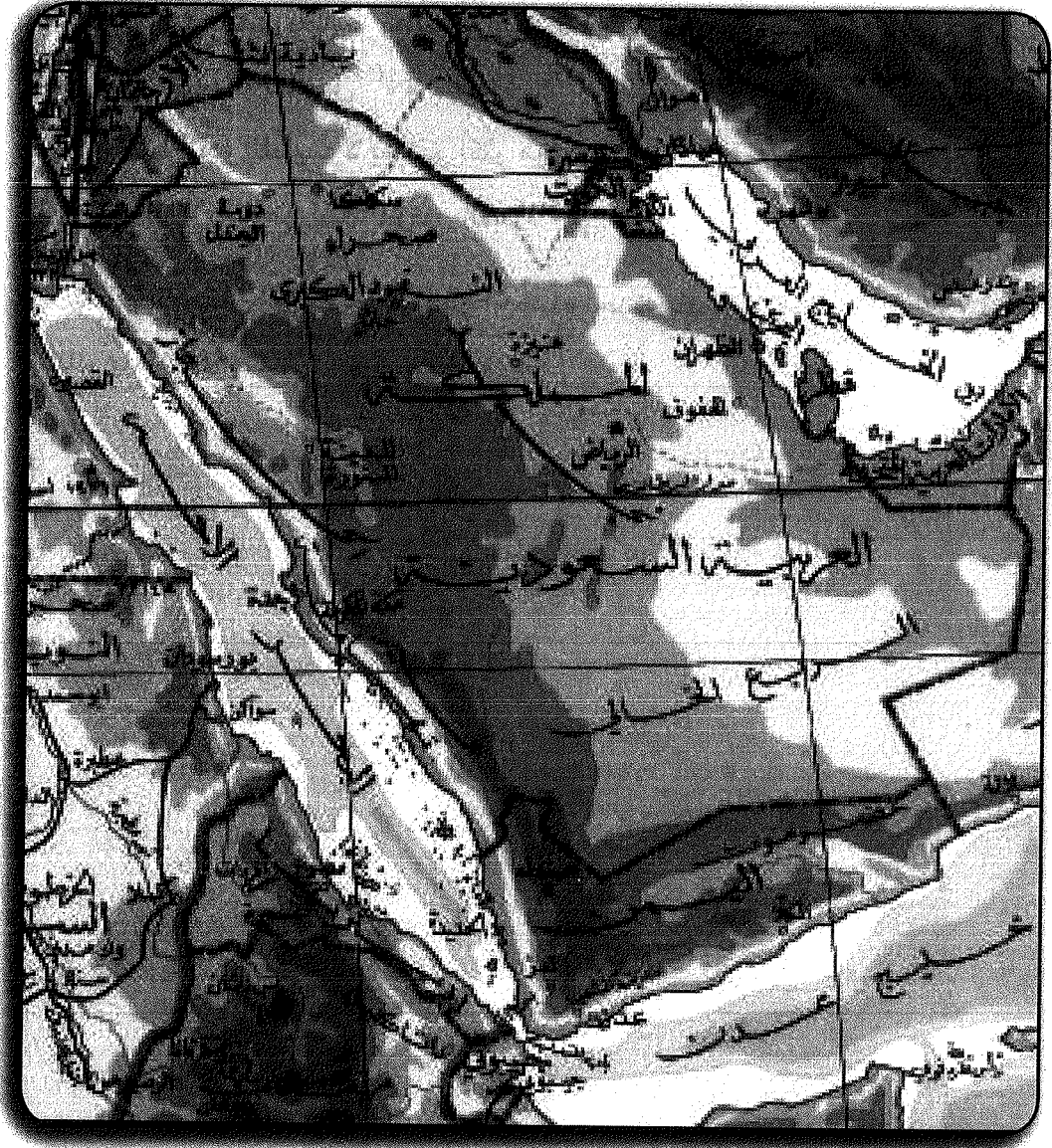
مطر «الوسمي» الذي يتباشر به أهالي المنطقة في الحصول على نبات الفقع «الكمأ» وبعض من يهوى «العنصل»^(١) و «الطرثوث»^(٢) وذلك من الصحاري المحيطة بها، غير أن هذا الجو اللطيف لا يستمر أكثر من شهر آخر في نوفمبر، حتى تبدأ درجات الحرارة في الانخفاض ليبدأ موسم الشتاء^(٣).

يبلغ عدد سكان الواحة حسب آخر إحصاء أجرته بلدية الأحساء ٧٩٠,٠٠٠ نسمة وذلك عام ١٤١٥هـ.

(١) نبات يشبه البصل الصغير.

(٢) نبات يشبه الخيار الطويل لونه أحمر داكن يأكل مشوياً.

(٣) عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد، الموسوعة الجغرافية لشرق الجزيرة العربية، النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية: ١٤١٣هـ " الطبعة الأولى، الجزء الأول، ص ٤٧- ٥٤ " بتصرف".



خريطة المملكة العربية السعودية، ويظهر فيها مدينة الهوف في المنطقة الشرقية منها

المبحث الثاني

تاريخ تأسيس مدينة الهفوف في محافظة الأحساء

عندما نتحدث الدراسة عن مدينة الهفوف كمدينة في واحة الأحساء ينبغي التفريق بين تاريخ نشأة كل من الواحة والمدينة.

فالأحساء شقت وجوداً جديداً لاسمها منذ تاريخ حلول القرامطة فيها بقيادة أبي طاهر بن سعيد القرمطي، حيث أسسوا مدينتهم على ضفاف عين الجوهريّة في البطالية وذلك عام ٣١٤هـ وكان اسمها آنذاك المؤمنية، وتعود تسميتها بالأحساء لعلقة بواقعها الجيولوجي، فقد ذكر المعجم الوسيط في مادة «حسي» بأن الحسي: «السهل من الأرض يستتقع فيه الماء، والحسي: الرمل المتراكم تحته صلابة، فإذا نزل المطر منع الرمل حر الشمس أن ينشفه، ومنعته الصلابة أن يغور، فإذا حفر وجه الرمل عن ذلك الماء نبع بارداً عذبا، كما يحدث في إقليم الأحساء في شرق جزيرة العرب^(١)»

أما مدينة الهفوف فيعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام، وقد كانت مأهولة بالسكان وقد دلت العديد من القبور التي تم العثور عليها على ذلك، ومن تلك الدلائل ما يلي:

١- ما «تناقله الناس عن عثورهم على أضرحة بحي الرفعة الشمالية وقبور فيها أموات وهم وقوف داخل توابيت الأمر الذي يؤكد أثرية هذا الموضع قبل انبثاق الإسلام^(٢)، إذ ليس من التشريع الإسلامي دفن الميت وهو واقف.

٢- وكما دلت عليه خرائط ديكسون عن الهفوف، حيث كشفت عن وجود آثار مدينة

(١) - إبراهيم مصطفى وزملاء، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة: دار الدعوة، ١٣٨٠هـ، الطبعة الثانية، ص ١٧٤.

(٢) الشيخ عبدالرحمن الملا، تاريخ هجر، الأحساء: مطابع الجواد، ١٤١٠هـ ج ١ ص ٢٠٤

قديمة لا تبعد أكثر من نصف كيلو عن الموقع المذكور، لكن صخور أساساتها ومحتوياتها قد نهبت لاستخدامها لأغراض البناء. ويحتمل البعض أن الهفوف مقر إقامة بني هف من أحياء طسم التي سكنت هذه البلاد في العصور الخالية^(١).

٣- في عام ١٤٢٦هـ تقريباً واجهت شركة تعمل في استحداث شبكة صرف صحي في شارع السويج المار في حي الرفعة الوسطى، أثناء عمليات الحفر قبوراً فيها جرار، وهذا ما يحتمل أن تاريخ هذه القبور يعود إلى الحضارة الدلمونية في شرق الجزيرة العربية، وهي من الحضارات التي قامت في واحة الأحساء وعاصرت الحضارة الفرعونية أي ما يقارب ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

أما - نواة الهفوف - عند نشأتها في التاريخ الأخير لها والمتصل إلى الزمن الحاضر، كانت عبارة عن «قرية صغيرة تقع في الطرف الشمالي من حي الرفعة الشمالية لا تزال تعرف باسم «الرقيات» وهو اسم قديم يطلق على أراض واسعة مزروعة تقع إلى الشمال والشرق من تلك القرية غير بعيد عنها»، ولا يزال إلى الوقت الحاضر من يسكن «الرقيات» من المزارعين الذين يعمل الكثير منهم في زراعة بعض المزارع التي تسقى من عين الخدود وعين الحقل قديماً، وهي حقول تقع إلى الشمال والشرق منها، «ولعل جودة مناخ هذه المنطقة وعوامل أخرى دفعت آل جبر، أو من سبقهم في حكم هذه البلاد وهم جميعاً من الأعراب الذين لا يطيقون الإقامة في مدينة الأحساء القديمة الواقعة وسط الحقول الزراعية، والاستقرار بالهفوف، واتخاذها مقراً لإقامتهم، فشرعوا في تعمير المساجد، والمنازل، والمرافق لهم ولخاصتهم في الموضع الذي عرفت في وقت لاحق باسم الكوت، أما من تبعهم من الحرفيين، والمهنيين فقد استقروا بجوار قرية «الرقيات»، وأسسوا لهم المنازل هناك فتم بذلك إنشاء حي الرفعة الشمالية والرفعة الوسطى^(٢).

(١) عبدالرحمن الملا، تاريخ هجر، مصدر سابق ج ١ ص ٢٠٤.

(٢) عبدالرحمن الملا، تاريخ هجر، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٠٧.

أما المؤرخ الشيخ جواد بن حسين الرمضان المولود عام ١٣٥٨هـ، فكانت لها ملاحظات رصدتها ذاكرته عن الرقيات عام ١٣٦٨هـ تقريبا حدث بها الباحث في إحدى مقابلاته يقول فيها: "لقد زحفت على هذه القرية أطراف المدينة حتى لقد أصبحت هذه الأيام أحد أجزاء حي الرفعة الوسطى، بحيث لا تتميز عنها إلى بالاسم فقط، بينما في السابق يلاحظ عليها من الناحية الجغرافية وطبيعة مفردات البيئة الداخلية لهذه الفريج ما يميزها عن محيط بقية حي الرفعة الوسطى المذكور، فمستوى الأرض فيه منخفضة عن بقية الحي المحيط بها، بحيث المار عليه يطل على سكانه، وقد شاهد فيه سابقا تجويفا في أحد طبقاته الأرضية أشبه بالكهف، ويسكنه بعض أفراد الفريج، كما أن البيوت تطل على ساحة كبيرة تسرح فيها أبقار الحي وحميرهم، وكمية كبيرة من العربات التي تجرها الحمير "القواري" ربما بلغ العدد فيها ٢٠ قاري، وكأنهم فعلا يعيشون حالة قرية تحوطها أطراف المدينة من كل صوب"^(١)

ومن الجدير بالذكر كثرة مسميات أجزاء مساحة الحي المؤدي إلى الرقيات من جهة سوق الحميدية القريبة من سوق القيصرية قلب الهفوف النابض، حيث الإتجاه هنا من قلب المدينة إلى أطرافها الشرقية نحو الرقيات، حيث أول ما يصادف المتجه نحو الرقيات من سوق الحميدية فريج الحويش، أو ما يعرف بـ الجفرة أو فريج الصاغة وهو خلاف سكة الصاغة في فريج الرفاعة، الوارد ذكره في هذه الدراسة، وفي الحويش يقع مسجد كبير يدعى بمسجد أبو خمسين، ثم تأتي سكة المدوحة، بعدها سكة البنّا، يليها، الدريويزة، ثم السدرة، يليها سكة العبد الصالح، بعدها تأتي الرقيات، ومن الملفت أن المسافة المذكورة من الحميدية إلى الرقيات لا تزيد عن ٢٠٠ متر تقريبا^(٢)، ولا يعلم الباحث هل لكثرة مسميات الأماكن في هذا الحي لها

(١) عزز هذه المشاهد محمد بن حسين بن علي بن حسن القمّان المولود عام ١٣٥٠هـ، في مقابلة له من قبل الباحث.

(٢) مقابلة مع الشيخ جواد بن حسين الرمضان.

دلالة في علم الانثروبولوجيا الحضارية، بلحاظ زيادتها كلما زاد الاقتراب من هذا الفريج الذي عرف من قبل بقرية الرقيات، لاسيما وأن حركة السير متجهة من قلب المدينة إلى أحد أطرافها، وقد تكون هذه السمة ليست من خصوصيات الرقيات فقط، إذ يشترك العديد من أحياء مدينة الهفوف القديمة في هذه الظاهرة حيث يوجد العديد من المسميات على نفس الوتيرة.

المبحث الثالث

أحياء مدينة الهفوف

مدينة الهفوف القديمة قبل ١٩٥ سنة من تاريخ هذه الدراسة لم تكن أكثر من حي الكوت الواقع إلى الشمال الغربي من المدينة، والرفعة بمحلاته الثلاث الوسطى، والشمالية، والجنوبية، الواقعة إلى الجهة الشرقية منها، يحوطهما سور كبير له بوابتان، وإلى جوارها قرية «الرقيات» يسكنها الفلاحون، هكذا رصد المؤرخون موقع الهفوف آنذاك، وذلك من خلال وثيقة تاريخية سطرت عام ١٢٣٤هـ - ١٢ تموز سنة ١٨١٩م على يد ضابط إنجليزي زار الهفوف يدعى «سدلر» حيث يقول فيها:

«تدعى البلدة الرئيسية المحصنة في مقاطع الأحساء الهفوف وأسوارها من الطين ترتفع حوالي ٥٠ قدماً ومحاطة بخندق عميق جاف له بوابتان والبيوت التي داخلها متواضعة، توجد إلى الشرق منها قرية غير محصنة، تحيط بها أراضٍ زراعية محروثة، ومزروعات نخيل، ولا يصل تعداد سكان الهفوف وضواحيها إلى خمسة عشر ألف نسمة، وقد يشكل ستمائة منهم قوتها العسكرية.^(١)»

أقام ضابط عراقي اسمه محمد رؤوف السيد طه الشبخلي ثلاث سنوات في مدينة الهفوف من عام ١٢٢٠هـ، تمكن خلالها من رصد عدة مؤشرات: جغرافية، واقتصادية، واجتماعية، لها ما يميزها بين مذكرات من أرخ عن مدينة الهفوف لاسيما أولئك الذين دخلوها على نحو الاجتياز، أو المكث فيها لفترة قصيرة، فقد كان الضابط محمد يعمل في العسكرية العثمانية، وخلال هذه الفترة كوّن له العديد من الصداقات التي مكنته من التعريف بمدينة الهفوف، وقد انعكست وجهات نظر

(١) عبدالرحمن الملا، تاريخ هجر، مصدر سابق، ص ٢٠٧.

البعض منهم على كتاباته. أما فيما يتعلق بوصف المدينة قال:

«أما الهفوف فهي مدينتان الواحدة ضمن الأخرى الداخلة تسمى الكوت، ولها سور خاص بها متين ذو أبراج في أركانه، وكذلك على طول الأضلاع بين كل مسافة، وأخرى، والخارجة تتصل بالداخلة، من جهة الشرق والجنوب فقط، أي إذا مددت الضلع الشمالي على استقامته لجهة الشرق، ثم مددت الضلع الغربي على استقامته لجهة الجنوب كل منها إلى مسافة ما، ثم وضعت ضلعاً عمودياً على الأول، وآخر على الثاني، فيتلاقيان في زاوية تقابل زاوية السور الداخلي، الحاصلة من تلاقي ضلعيه: الشرقي، والجنوبي، فتكون المدينة الخارجية قد احتضنت الداخلية من ضلعين منها فقط، أما ضلعاها الآخران فيبقيان مطلين على البر الخارجي، و«المدينة» الخارجية تحتوي على محلتين كبيرتين: أحدهما تسمى «الرفعة»، وهي من جهة الشرق، والثانية «النعاثل»، وهي من جهة الجنوب، وسور المدينة الخارجي عبارة عن جدار بسيط، وفي بعض الأماكن هي جدران البيوت متصلة ببعضها، أما الأبواب فللداخلة بابان فقط: إحداهما إلى الشمال، ومطلّة مباشرة على الخارج، تسمى «الدروازة الشمالية» عند الأهالي، و«باب الفتح» عند الحكومة وموظفيها، لأن فتح الأحساء صار منها، وثانيتها إلى الشرق، وتطل على محلة الرفعة، وتسمى عند الأهالي «الدروازة الشرقية» ولدى الحكومة باب الكوت، وللخارجية أربعة أبواب: باب الخميس وهي في الضلع الممتد من الضلع الشمالي، والذي ينتهي عندها سوق الخميس، والثانية باب الجفر، وهي تقابل باب الكوت، ويخرج منها من يريد أن يتوجه إلى ناحية الجفر، والثالثة الكائنة في الضلع الجنوبي لا أذكر اسمها، وهي قليلة الاستعمال، والرابعة باب خزان وهي التي تقع في الضلع الممتد من الضلع الغربي، ويقدر عدد دورها ألف دار، ونفوسها بـ ٣٥,٠٠٠ نسمة تقريباً»^(١)

(١) محمد رؤوف السيد طه الشبخلي، مراحل الحياة المظلمة وما بعدها "البصرة: مطبعة البصرة، ١٣٢٢هـ" الطبعة بدون ج ٢، ص ٢٨٣ - ٢٨٥.

أما قبل أربعين سنة تقريباً فقد وصفها الشيخ عبدالرحمن الملا بقوله^(١):

«تقع مدينة الهفوف في الزاوية الجنوبية الغربية من محافظة الأحساء على بعد ستين كيلو من العقير غرباً، في منطقة ترتفع قليلاً عما يجاورها من أراضي، تحدها شمالاً نخيل أم خريسان، وجنوباً مزارع الحبوب، وجنان الفاكة، وغرباً نخيل السيفة، وشرقاً حقول النخيل الغناء، وكانت مساحتها ثلاثين سنة خلت ٥, ٢ كم من الشمال إلى الجنوب ٢ كم من الشرق إلى الغرب، أما ارتفاعها عن سطح البحر فيبلغ ١٥٠ متراً، وقد أعطى هذا الموقع مجموعة مميزات هامة، فوجودها في طرف الواحة جعلها في معزل عن زحف الرمال المتحركة، وعند ملتقى طرق المواصلات البرية، وخارج نطاق مكامن البعوض، ومصادر الأوبئة، كما كان لبعدها عن البحر فضل في خلو مناخها من الرطوبة، هذا بالإضافة إلى خصوبة تربتها، وانتشار عشرات العيون الجارية بها».

هذا وقد توالى مع مرور الزمن قيام بعض الأحياء مثل حي النعائل، وهو يقع إلى الجنوب الغربي منها، ويفصل بينه وبين حي الكوت قديماً عدد من حدائق النخيل، وإلى الناحية الشرقية من محلة الرفعة الجنوبية يقع حي الصالحية، وهو خارج سورها الشرقي، أما في الناحية الجنوبية من الهفوف، فهناك مقر إقامة البدو القادمين إلى الهفوف، ويسمى حيهم بالرفيقة^(٢).

ويقدر عدد المنازل قبل ٥٠ سنة من تاريخ هذه الدراسة تقريباً بحوالي ١٠٠٠٠ منزل^(٣).

وقد رصد العديد من الرحالة والباحثين الذين أرخوا لمدينة الهفوف كانت نتائج

(١) عبدالرحمن الملا، تاريخ هجر، مصدر سابق، تاريخ طباعة الكتاب سنة ١٤١٠هـ، والوصف المذكور لثلاثين سنة خلت من تاريخ طباعة الكتاب.

(٢) عبدالرحمن الملا، تاريخ هجر، مصدر سابق، ص ٢٠٩-٢١١.

(٣) عبدالرحمن الملا، تاريخ هجر، مصدر سابق، ص ٣١١، يراعى فارق زمن التأليف.

تقديراتهم لعدد السكان فيها كما في الجدول رقم «٣/١»^(١):

جدول رقم «٣/١»: نتائج تقديرات عدد سكان مدينة الهفوف في

عدة دراسات متفرقة

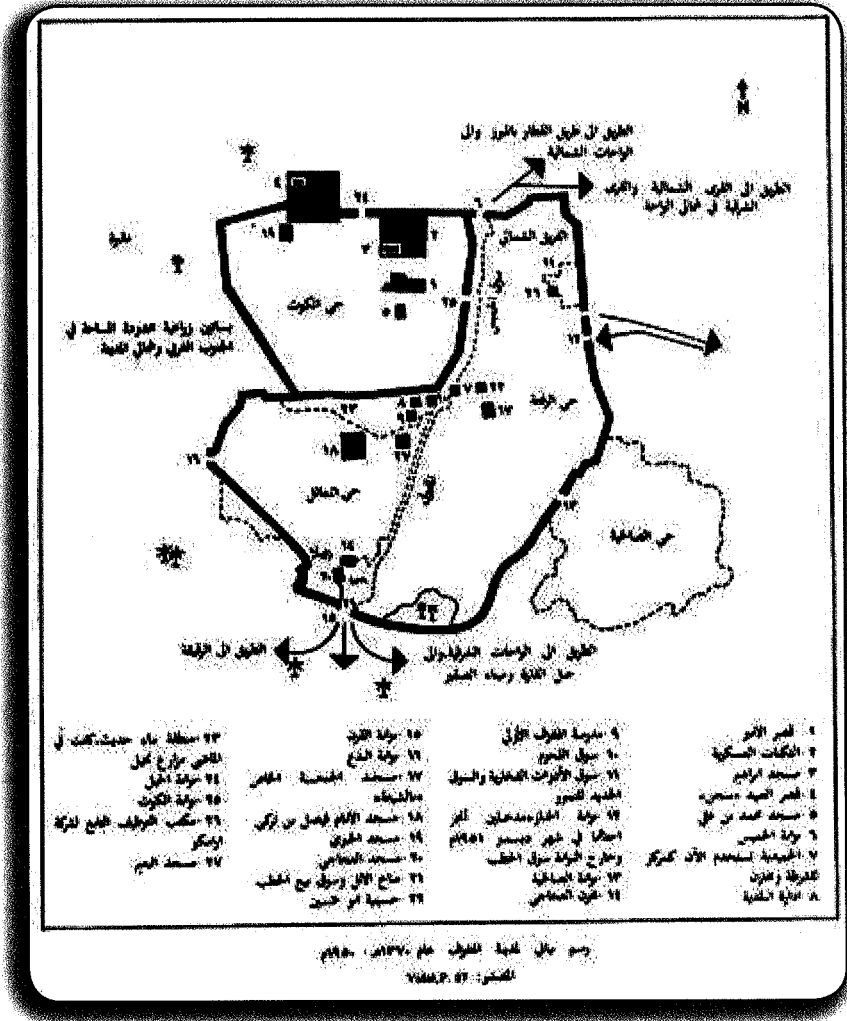
الهفوف	العام "هجري"	المصدر
١٥,٠٠٠	١٢٣٤	سدلر
٣٥,٠٠٠	١٣٢٠	محمد رؤوف الشخلي
٢٠,٠٠٠	١٣٢٥	هوجارت
٢٥,٠٠٠	١٣٢٨	لوريمر
٣٠,٠٠٠	١٣٤٤	هاريسون
٣٠,٠٠٠	١٣٥٧	فون ديسمان
٢٥,٠٠٠	١٣٦٣	ديكسون
٦٠,٠٠٠	١٣٧٥	فيدال
١٠١,٢٧٠	١٣٩٤	تعداد السكان العام
١٥٦,٠٠٠	١٤٠٧	النطاق العمراني
٢٢٥,٨٥٠	١٤١٣	تعداد السكان العام
٢٤٤,٣٠٠	١٤١٥	بلدية محافظة الأحساء

(١) أنظر:

- صالح علي العيدان وعبدالله محمد العرفج وسعيد عبدالله الخرس، الأحساء في مئوية التوحيد والبناء "الأحساء: ١٤١٩هـ" الطبعة الأولى.

- محمد رؤوف السيد طه الشخلي، مراحل الحياة المظلمة وما بعدها، مصدر سابق.

- عبدالرحمن الملا، تاريخ هجر، عن: ج. فورستر سدلر، رحلة عبر الجزيرة العربية.



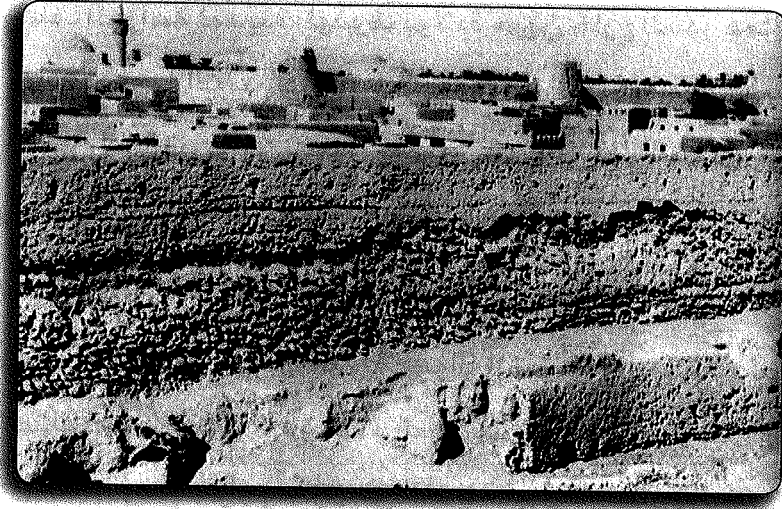
رسم بياني لمدينة الهفوف عام 1370 هـ / 1950 م

المصدر: د. فيدال، واحة الاحساء،

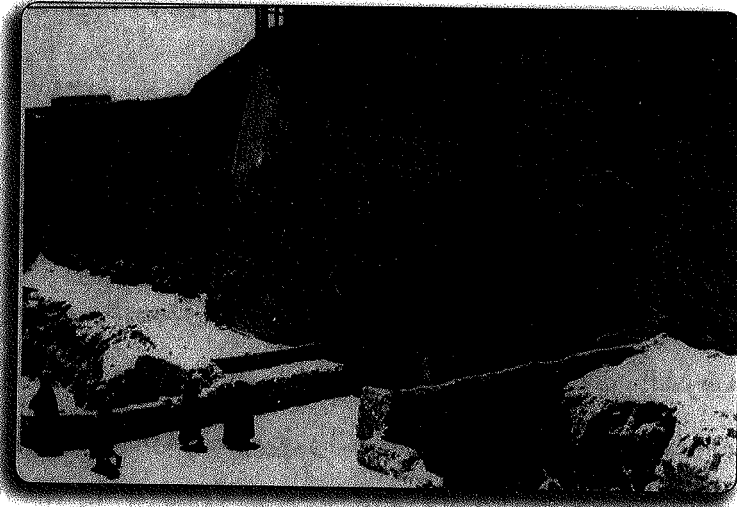
ترجمة: د. عبدالله السبيعي.



قصر الأمانة في الأحساء كما يبدو عام ١٣٨٨ هـ ، ويقع في حي الكوت بمدينة الهفوف.



سور مدينة الهفوف الذي يطوق كامل المدينة، وقد أزيل قبل عام ١٣٧٧ هـ، ويظهر في الصورة أيضاً السور الخاص بحي الكوت حيث قصر الحكم وبعض سكان المدينة فيه. ويدعى السور الأخير بـ "اللوحة" لارتفاعه وسماكة بنيانه والسبب في إزالته يعود لتصدعه من جهة، ومن جهة أخرى لاستتباب الأمن الذي بسطته الدولة آنذاك.



البوابة الرئيسية لمدينة الهفوف وموقعها في الوقت الراهن مكان فندق بونيس. بالقرب من ميدان الخميس ويوجد خلفها جمرک خاص بالمدينة، خاصة لأولئك القادمين من خارج المملكة العربية السعودية، كالكويت مثلاً حيث يعاد إجراء دخوله مرة أخرى، وقد هدم هذا السور قبل عام ١٣٧٣ هـ.

انتهى وصف الدراسة لمدينة الهفوف بولادة حيين خارج السور هما: الصاحية والرقيقة، ولم ينته بهما التوسع قبل هدم أسوارها، بل أنجبت أحياء جديدة خارجها على غرار الحيين السابقين ولكن بشكل أحدث من ذي قبل، ففي الشمال حي الفاضلية، وفي الجنوب حي التليثية والمزروعية، هذا في الفترة ما بين عام ١٣٥٤ - (١) ١٣٧٦ وهي الفترة الموافقة لمرحلة ما بعد اكتشاف النفط.

ولما كان عام ١٣٧٧هـ هدمت الدولة أسوار المدينة، وردمت الخندق المحيط به، معبرة بذلك عن مرحلة جديدة للنمو العمراني في المدينة، شملت فتح توسعات شارع السوق العام، وفتح شوارع أخرى في المدينة أبرزها الشارع الملكي الممتد من شارع السوق العام باتجاه الشمال نحو المبرز، وشارع المدير، وشارع إيصال إلى مطار الهفوف، وشارع إلى محطة سكة الحديد، وشوارع أخرى في حي الرفعة، والنعائل، وشيدت سوقاً للخضار والفواكه واللحوم، كما بنت ٢٠ محلاً تجارياً حديثاً، وأوصلت خدمة الكهرباء إلى ٥٠٠ منزل (٢).

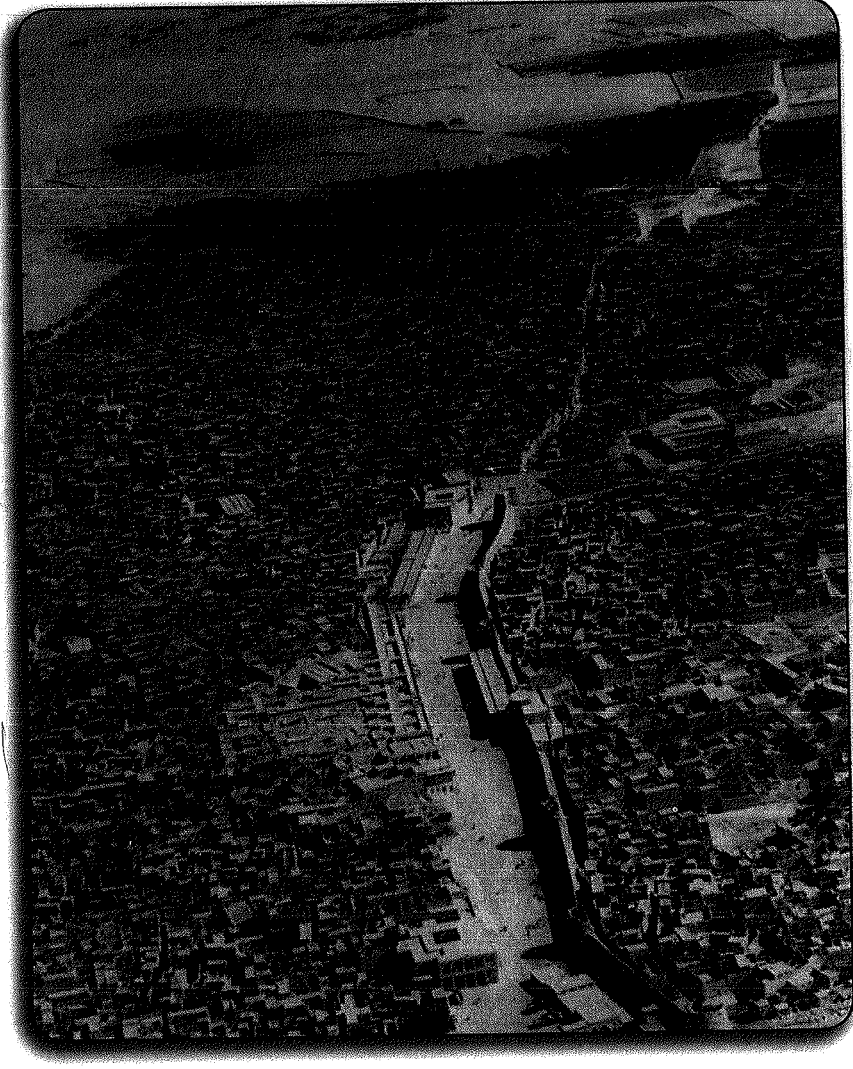
وفي عام ١٣٩٣هـ شهدت المدينة التحاماً سريعاً، مع موجة النمو العمراني، تمخضت عن مرحلة الطفرة الاقتصادية في البلاد، حيث القروض الميسرة التي قدمتها الدولة من صندوق التنمية العقارية، على أثرها قامت أحياء جديدة كما يلي:

الملك فيصل، والبصيرة، وأستاذ المعارف، والشهابية، وحي الفهد، والواحة، والنسيم، والجامعة، والمدينة الرياضية، وعين علي، والمعلمين الشرقية، والسلمانية الشمالية، وشرق السلمانية الجنوبية، والخالدية، والجامعيين، والبندرية، والعزيزية، وشرق شمال الدخل المحدود، وشرق جنوب الدخل المحدود، ومنسوبي التعليم، وأرض البلدية، و جنوب إسكان أرامكو، و غرب السلمانية الجنوبية، و غرب شرق

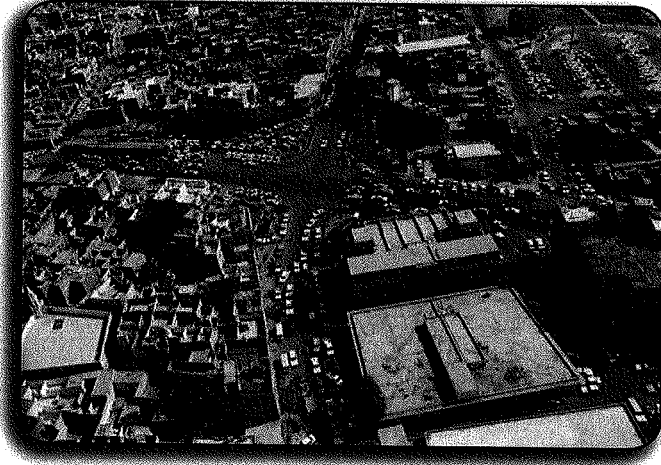
(١) صالح علي العيدان وعبدالله محمد العرفج وسعيد عبدالله الخرس، الأحساء في مئونة التوحيد والبناء، مصدر سابق، ص ١٠٢.
 (٢) عبدالله بن ناصر السبيعي، اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، "الرياض: مطابع الشريف، ١٤٠٩هـ، الطبعة الثانية"، ص ١٨٢.

الدخل المحدود، وغرب جنوب الدخل المحدود. وقد أدرجت هذه الأحياء النامية في المخطط العام الحديث لمدينة الهفوف.

وفي داخل المدينة راجت الحركة التجارية، حيث فتحت على ضفاف الشوارع الرئيسية محلات تجارية، وزحف العمران شيئاً فشيئاً إلى داخل المدينة على البساتين الصغيرة الواقعة فيما بين الأحياء، والتي كانت تشكل فيما مضى متنفساً طبيعياً لأهلها، هذا وقد اتسعت دائرة الزحف العمراني حتى شملت المزارع المحيطة بالهفوف من جهاتها الثلاث: الشمالية، والشرقية، والغربية، غير أن النخيلات في هذه الأيام بدأت تعود إلى شوارع المدينة، وميادينها العامة معبرة عن أصالة النخلة فيها.

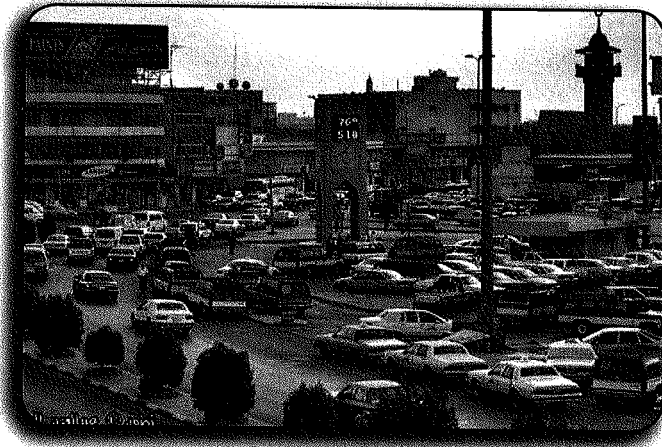


صورة جوية لمدينة الهفوف عام ١٣٦٦هـ بعد اكتشاف النفط و يظهر فيها بوضوح السور الذي يطوق حي الكوت و هو الجانب الاسفل من يمين الصورة بينما أعلاها من الجهة اليمنى حي النعائل، أما الشارع الممتد من اسفل الصورة حتى أعلاها ففي فراغه الكبير يعقد سوق الخميس و ما بعد الفراغ من الطريق الى أعلى الصورة يوضح شارع السويج و على يسار هذا الطريق من الصورة يظهر حي الرفعة الجنوبية و من ثم الرفعة الوسطى و من أسفل الصورة على اليسار حي الرفعة الشمالية.



مدينة الهفوف في عام ١٤٠٢هـ تقريباً في العشر سنوات الأولى من بداية الطفرة الاقتصادية التي بدأت عام ١٣٩١هـ، يتوسط المدينة ميدان فسيح يتجه الطريق الموجود في أعلى الصورة إلى شارع الفوارس وإلى الأسفل إلى شارع البلدية وإلى اليمين إلى شارع البلدية وإلى اليسار الطريق المؤدي إلى قيصرية الهفوف

عدسة: استديو الخليفة

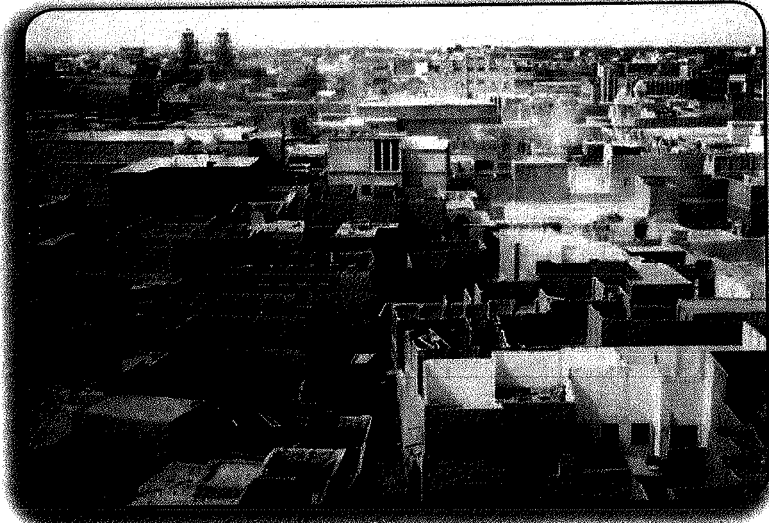


ميدان الخميس سابقاً كان يقع خارج سور مدينة الهفوف بمحاذاته من الناحية الشمالية، و كان يباع فيه الابل و الاغنام قبل اكتشاف النفط حسب وصف طه الشخيلي عام ١٣٢٢هـ، و في عهد الطفرة الاقتصادية يمثل مركزاً تجارياً هاماً لمدينة الهفوف تباع فيه الاجهزة الكهربائية و في الشارع الممتد في أسفل الصورة محلات لصيانة السيارات يدعى بالشارع الملكي، و تاريخ الصورة عام ١٤٣١هـ.



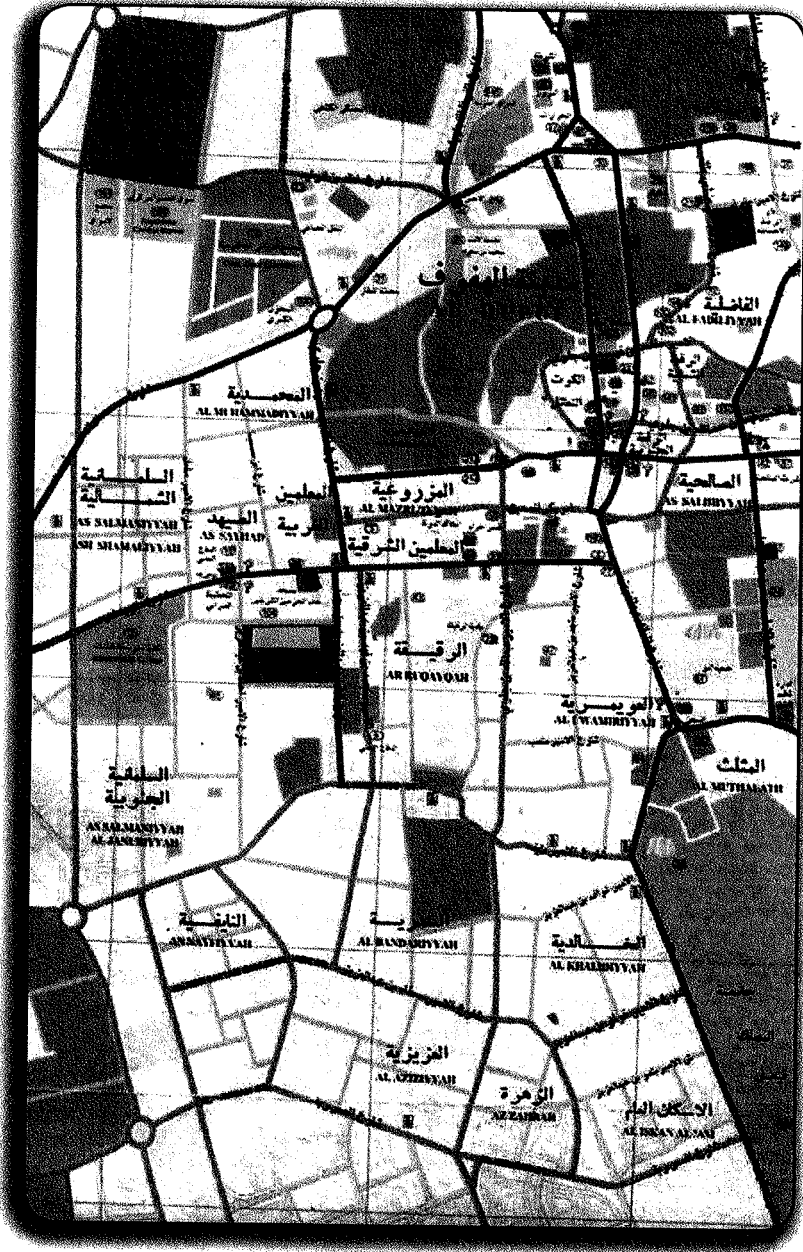
حالة مساكن حي الرفعة الوسطى في مدينة الهفوف قبل عهد الطفرة الاقتصادية، عند هطول الأمطار.

عدسة: عادل القضيبي

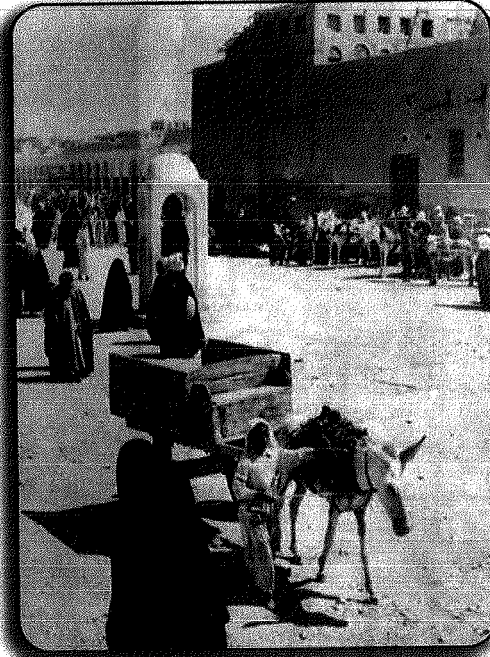


بيوت متواضعة صغيرة، وأزقة ضيقة، هي حالة حي الرفعة الوسطى بمدينة الهفوف قبل عهد الطفرة الاقتصادية.

عدسة: عادل القضيبي



خريطة مدينة الهفوف، ويظهر فيها الأحياء القديمة: الكوت والرفعة الشمالية والوسطى والجنوبية، والنعائل التي كان يلها سور الهفوف القديم، والاحياء الجديدة التي ولدت في عهد ما بعد اكتشاف النفط : كالصالحية، والفاضلية، والرقيقة، وفي عهد الطفرة الاقتصادية، كالمثلث، والسلمانية، والخالدية.



مجموعة صور لقلب مدينة الهفوف ويظهر فيها سوق الحميدية، وسوق القيصرية، وسوق الخميس.

المبحث الرابع

مظاهر التفاعل الحضاري في واحة الأحساء، وتحليلها من وجهة نظر
الاختصاصيين في مجال الجغرافيا الحضارية

تمهيد:

نظراً لأن هذه الدراسة تعنى برصد المؤشرات الحضارية في مدينة الهفوف بشكل خاص، فإن هذا يستلزم التعريف بمصطلح الحضارة بشكل يتناسب مع استطراد الدراسة حيث ستتسع دائرة التعريف به لتشمل منهجين لدراسة أي حضارة - سيتم تفصيلهما لاحقاً- وذلك من أجل أن يتم الوقوف على شتى المعاني التي يحملها المختصون في هذا الفرع من المعرفة على كلمة «الحضارة»، وذلك عند حديثهم عن إنجازات أي إنسان على أرضه. بعدها سيتم تناول مظاهر تفاعل إنسان المدينة مع بيئته وكيف استطاع أن يطوع إمكانياتها لاحتياجاته في مجال الزراعة، والبناء، والحرف والصناعات، والنقل، وعندما يستهدف رصد مظاهر التفاعل الحضاري في مدينة الهفوف على هذا النحو، فإن هذا لا يتأتى بمعزل الحديث عن كامل الواحة؛ لأن مدينة الهفوف لا تعدو أنها مدينة رئيسية فيها، وعليه فإن من الأفضل أن تُعمم الدراسة الحديث على كامل الواحة، من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

تعريف بمصطلح الحضارة

يقصد بالحضارة عند اللغويين «بكسر الحاء» الإقامة في الحضر، والحضرة «بفتح الحاء» والحاضرة خلاف البادية، وهي تطلق على المدينة والقرية والريف، والحي العظيم، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار، ومسكن الديار، التي يكون لهم بها قرار.

والحضرة: خلاف البدو، والحاضر: خلاف البادي، وهو المقيم في المدن والقرى، أما البادي: فهو المقيم في البادية^(١).

أما اصطلاحاً، فإن تعريف الحضارة يتعدد وفقاً لتعدد المداخل العلمية لدراسة الإنسان، فبينما تركز العلوم الاجتماعية على نسق تكوين المجتمعات وطرق تشكيلها، والعلاقات بين أفرادها، لذا يجد الباحثون أن الحضارة عند ابن خلدون لا تعدو أكثر من كونها طوراً من أطوار حياة المجتمعات، فهو يرى أن «الحضارة غاية للبداءة» لأن البداءة أسبق، ومتى ما أتيح لهم فرصة التطور تحولوا إلى حضر بدلاً من البدو. حيث يقول: «البدو أصل للمدن والحضر سابق عليها، لأن أول مطالب الإنسان، ولا ينتهي إلى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلًا. فخشونة البداءة قبل رقة الحضارة ولهذا نجد غاية البدوي يجري إليها وينتهي بسعيه»^(٢).

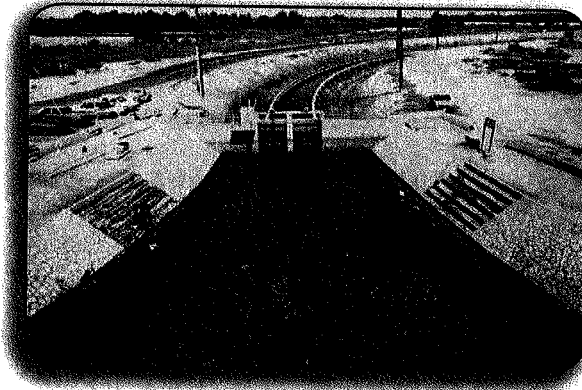
أما عند الأنثروبولوجيين فلها معنى آخر، لأن اهتمامهم ينصب على دراسة إنجازات الإنسان، وعلاقاته الاجتماعية في أماكن وأزمنة محددة، فقد عرفها شاكر مصطفى في قاموسه الأنثروبولوجي بأنها: «كل ما يرث المجتمع من أجياله السابقة، باستثناء الصفات الحياتية والاجتماعية، وغيرها من جيل إلى الجيل الذي يليه»^(٣).

أما قسطنطين زريق وهو من علماء الأنثروبولوجيا أيضاً، فرق بين مدلولين لكلمة الحضارة إحداهما «وصفي»، وهنا يقول على حد تعبيره: «مجموع الحياة التي يحيها شعب واحد، أو شعوب عدة، بما تضم من نظم في الحكم، وسبيل في تحصيل المعاش، وعلاقات اجتماعية، ومعرفة نظرية وعلمية، وقواعد سلوكية، وسواها من المقومات التي تتمثل بها تلك الحياة»^(٤).

(١) ابن منظور، لسان العرب المحيط "بيروت: دار لسان العرب، سنة الطبع: بدون" رقم الطبعة: بدون، ص ٦٥٨.
(٢) عبد الرحمن بن خلدون المغربي، مقدمة ابن خلدون، "بيروت: دار إحياء التراث العربي، تاريخ النشر: بدون" الطبعة الرابعة، ج ١، ص ١٢٢.
(٣) شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، "الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨١م" الطبعة الأولى، ص ٢٣٠.
(٤) قسطنطين زريق، في معركة الحضارة: دراسة في ماهية الحضارة وأحوالها وفي الواقع الحضاري، "بيروت: دار العلم للملايين، سنة الطبع: غير معروف، ص ١٤.



منسوب المياه في الستينات هجرية من القرن الماضي



منسوب المياه في الثمانينات هجرية من القرن الماضي



منسوب الماء في عام ١٤٢٨هـ وقد حلت مضخات رفع الماء بدلاً من النبع الطبيعي فيها

ثلاث صور لـ (عين أم سبعة) إحدى أشهر عيون الماء في الأحساء
تظهر انخفاض منسوب المياه بشكل مستمر

أما الآخر فيراد به المعنى «التقييمي» وهنا يقصد به عندما يراد التعرف على «المعنى التقييمي الذي نتوجه به إلى القيم التي تتضمنها الحضارات وتتميز بها، أو تقارن ونقابل حضارة وأخرى، أو نحكم على الدور التي تمر به إحدى الحضارات، بهذا المعنى نقول عن حضارة ما إنها في تقدم، أو انحطاط، أو في ازدهار، أو ذبول، أو نقدر حضارة الإغريق مثلاً فنقول: إنها فاقت حضارة الهند، أو تدنت عنها»^(١).

ولعلماء الجغرافيا الحضارية منطلق آخر في دراسة الحضارة، فهم يدرسون واقع الإنسان من حيث تجاوبه مع بيئته، ومن أبرز علماء هذه المدرسة «جون ستیورات» حيث تتضمن نظريته بأن كل حضارة تلاءمت بأسلوب مختلف لضغوط بيئية خاصة بها، تبعاً لذلك فإن لها تطوراً خاصاً بها وحدها، وقد أشير إلى منهج استیورات على أنه المنهج الأيكولوجي للحضارة Cultural Ecology والذي يعني تداخل حضارات معينة مع بيئاتها^(٢).

يمكن التوصل من إجمالي هذه التعريفات الخاصة بالحضارة إلى أن هناك منهجين أساسيين لدراسة أي حضارة، أحدهما يهتم بدراسة المنهج الاجتماعي، والفكري، والديني لأفراد المجتمع، بينما المنهج الآخر هو دراسة مظاهر سيطرة الإنسان على إمكانيات بيئته، وتوظيفها في صالح معيشتة وهو ما يراه «جون ستیورات» في مدرسته الأيكولوجية الحضارية، وعليه ستهج هذه الدراسة المخصصة لواقع مدينة الهفوف^(٣) المنهجية الوصفية عند دراسة بعض ملامحها الاجتماعية كالعادات والتقاليد، ومناسبات الأعياد والوفيات، وألعاب الأطفال، وكذا عند دراستها لبعض جوانبها الاقتصادية كما هو الحال عند الحديث عن العملات والأوزان المستخدمة في أسواقهم، لأن هذا المنهج يخدم الدراسة في كونه يقوم بدور وصفي لما في بيئة الهفوف، بينما

(١) قسطنطين زريق، في معركة الحضارة، مصدر سابق، ص ١٥.

(٢) يسري الجوهري، الجغرافيا الحضارية، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٧م " رقم الطبعة: بدون، ص ٣٥.

(٣) - كما مر في الفصل الأول عند الحديث عن منهجية الدراسة.

المنهج الآخر وهو منهج جون ستيوارت صاحب المدرسة الأيكولوجية الحضارية حيث سيخدم هذا المنهج الدراسة في مسعاها نحو الوقوف على كل حالة تكييف، أو سيطرة، وتوجيه لمعطيات البيئة لصالح إنسان حاضرة الهفوف، أو المصطلح عليها فيه هذا البحث بمدينة الهفوف، ولعل من الجدير ذكره هنا والتنبيه عليه في هذا الفصل كما تم ذكره سابقاً في الفصل الأول عند تحديد منهج الدراسة، أن تلك الملامح ليست جميعها من اختصاص مدينة الهفوف دون بقية حواضر محافظة الأحساء كمدينة المبرز، والعمران، والجفر، والعيون وقرى الأحساء الشرقية والغربية، بل تشارك قريناتها في المحافظة، لذا ينبغي التنبيه في بداية الدراسة إلى هذا الأمر، ولكن نظراً لأن الدراسة تصب اهتمامها على مدينة الهفوف فسيكون التفصيل في واقع المدينة لخصوصية الحديث عنها، وإلا في كثير من المواضيع سيلاحظ أن هذا الحكم يقبل التعميم على جميع حواضر المحافظة، ومن تلك المظاهر التي تقبل التعميم العملات المستخدمة في أسواق مدينة الهفوف، والبشت كملبس رجالي، والجص الخكري كمادة بناء لطلي جدران آبار الماء في أنحاء الواحة، واستخدام الحمار الحساوي كوسيلة نقل خدمت الواحة بكاملها، وغيرها من الأمثلة، ولعل أغلب تلك المواضيع ستلاحظ في سياق دراسة أثر النفط على المدينة في مسارها التاريخي.

كثيراً ما يقع الخلط عند استخدام لفظ الحضارة والتحضر والحضارات، غير أن قسطنطين زريق وضع حداً لذلك الخلط والتداخل في الاستخدام بقوله: إن الحضارة تعني: الصفة أو الحالة الناتجة عن إنجازات رائعة يحققها مجتمع من المجتمعات، فتكون بهذا مرادفة للتحضر، وتعني أيضاً مجموعة إنجازات معينة ظهرت خلال التاريخ في مجتمع واحد أو مجتمعات متصلة، ولا تستعمل اللفظة بالمعنى الأول إلا بصيغة المفرد، فيقال مثلاً: إن الحضارة تتطلب قدراً معيناً من السيطرة على الطبيعة، أو مستوى لائقاً من العيش، أما بالمعنى الثاني فتستعمل بصيغة المفرد والجمع فيقال

مثلاً: الحضارة العربية والحضارة البشرية، أو الحضارات البشرية^(١).

وللحضارة شروط عدة أهمها: أن يكون المجتمع قد أصاب حداً أدنى من السيطرة على طبيعة محيطه، وطُوع معطياتها لصالحه، كما أشار إلى هذا المعنى كل من قسطنطين زريق و مصطفى السليم و يسري الجوهري، غير أن الأول منهم أضاف عليها شروط أخرى هي:-

١- التعاون الاجتماعي، كما يتجلى ذلك في المجتمع الزراعي الذي يعد في كثير من المجتمعات أنه النواة لقيام العديد من الحضارات كما في الحضارة المصرية، والبابلية، والفينيقية.

٢- توفر وسيلة اتصال بين الأفراد، ولعل الكتابة من أبرز تلك الوسائل؛ لكونها أداة فعالة في تعزيز الاتصال بين أفراد المجتمعات بعضها البعض، وأداة ثابتة، نافذة الفعل في النقل من جيل إلى جيل.

٣- وجود نوع من الحكم المنظم لتلك الجماعات، ولا يقصد بذلك ضرورة وجود دولة بمفهومها الحاضر، وإنما جهاز من الحكم، له سلطته التأثيرية في تنسيق فعاليات الأفراد، وحمايتهم للبعض عن الآخر.

أما عن مظاهر تفاعل الأحسائي مع إمكانيات بيئته وتطويعها لاحتياجاته، فهي ملحمة طويلة ستأتي هذه الدراسة على بعض منها، وما سيتم ذكره في هذا الفصل ليس إلا مجرد إشارات تحليلية لمظاهر ذلك التفاعل من وجهة النظر العلمية الاختصاصية في مجال الجغرافيا الحضارية، وذلك بهدف تعزيز معنوية سلوك أبناء الحضارة مع بيئتهم والتأكيد على دلالتها العلمية في نظر الاختصاصيين، وسيترك الباحث تفصيل هذه الأمثلة لفصول الدراسة.

(١)- أنظر: قسطنطين زريق، في معركة الحضارة، مصدر سابق، ص ٣٩-٤٠.

لقد ساق الدكتور يسري الجوهري، أحد المختصين في مجال الجغرافيا الحضارية بعض الحالات الدراسية التي تؤكد مفهوم قدرة الإنسان الكبيرة على تطوير إمكانات بيئته لصالحه، وهنا سوف يقارن الباحث بين بعض تلك الأمثلة التي أوردتها في كتابه «الجغرافيا الحضارية» مع واقع الإنسان الأحسائي؛ لتفسير سلوكياته في وادته؛ تحقيقاً للضابط العلمي المذكور آنفاً وهو: «أن كل حضارة تلاءمت بأسلوب مختلفة لضغوط بيئية خاصة بها، وأنها تبعاً لذلك لها تطوراً خاصاً بها وحدها»^(١).

المطلب الثاني

تطوير الأحسائي لإمكانات البيئة المحيطة به لاحتياجاته في مجال الزراعة

تفاوتت دوافع الاستقرار الحضاري بين الشعوب، غير أنه من المؤكد أن العامل الزراعي من أقواها، فمثلاً جزر «هايبتي»، وبعض الجزر الهندية، وأجزاء من جنوب شرق آسيا، تحول المزارع فيها إلى حياة الاستقرار، كما أدى عامل ارتفاع عدد السكان فيها إلى التكالب على استغلال الأراضي المحدودة المساحة، هذا ولم يقتصر الحال على زراعة النباتات الأرضية، بل كذلك الزراعات المائية مثل LOMNOS WATER LIALS لدى بعض مناطق جنوب شرق آسيا، وذلك بالفرب من البحيرات المائية، ويزداد الاستقرار أكثر إذا اقترنت الزراعة بالتجارة، إذ من المعروف أن توابل جزر الهند الشرقية، وأخشاب البرازيل، والمطاط، وجوز الهند في حوض الأمازون، وغيرها من السلع التي كان الأوروبيون يرغبون في استغلالها قد لعبت دوراً هاماً في التجارة الدولية، كما دفعت المزارعين المتقلبين إلى الاستقرار بجانب المناطق الكبرى؛ لزراعتها من أجل تجميعها وبيعها^(٢)، وواحة الأحساء واحدة من أهم الواحات في العالم التي جمعت بين نشاطي الزراعة والتجارة فيها، حيث أشجار النخيل التي

(١) - يسري الجوهري، الجغرافيا الحضارية، مصدر سابق، ص ٣٥.

(٢) - يسري الجوهري، الجغرافيا الحضارية، مصدر سابق، ص ١٩٦.

تشكل أهم منتجاتها، صدرته إلى العديد من دول العالم: كالهند، ودول الخليج، وذلك بمساندة مينائها العقير الشهير، الذي وفر لها منفذاً بحرياً تطل منه على العالم.

إن من أهم مقومات الحضارة الراقية اتسامها بالعمل الزراعي الثابت المستقر طول العام، إذ يوفر هذا العامل لزراعتها فرصاً تطويرية عديدة، ليست فقط في مجال التعرف على خصائص الأرض والأحوال الجوية، ونظم ريها، بل استحداث وتطوير أفضل نظم الزراعة الملائمة من خلال المواءمة بين جميع هذه العوامل، وهذا يشكل أهم عامل في قيام الحضارات واستقرارها، حيث السيطرة على البيئة وتوظيفها في خدمة حضارته، ومن مظاهر تلك السيطرة المحافظة على خصوبة التربة وتسميدها، والتعرف على أفضل الدورات الزراعية، وتوظيف وسائل الري المناسبة مع كمية المياه المتاحة ومصادرها، هذا بالإضافة إلى تحديد أنواع المزروعات الملائمة واستئصال النباتات الطفيلية والحشرات الضارة، وتزداد عمق وأصالة تلك الحضارات الزراعية إذا تضمنت إنتاج محاصيل نقدية للتصدير إلى مناطق أخرى.

لعل من الممكن ملاحظة الحياة الحضارية في البيئات المدارية، كيف قدمت نظاماً زراعياً متخصصاً على نطاق كبير، وقد بدأت هذه المزارع خلال القرن السادس عشر الميلادي، غير أنها لم تتقدم إلا في القرن العشرين، لقد تمكنت هذه من إنتاج محاصيل نقدية، حيث صدرت إنتاجها إلى المناطق المعتدلة، ولا سيما في نصف الكرة الشمالي و ساهمت هذه الدول برأس المال العامل، أما أوروبا، وأمريكا الشمالية، فقد ساهمت بالمعدات والإمكانات الآلية، بينما العمالة والأرض من قبل المناطق المدارية، ومن أبرز منتجاتها المطاط البري في حوض الأمازون، والكونغو، ومن بعدها انتقل عن طريق بريطانيا بعد عام ١٨٧٦م إلى جزر الملايو و جزر الهند الشرقية، ثم انتشر على نطاق واسع في جنوب شرق آسيا.

والموز يعد مثالا آخرًا، إذ على الرغم من أنه يحتاج إلى تربة تمتاز بالصرف الجيد، وكمية أمطار تتراوح ما بين ٧٥ - ١٠٠ بوصة موزعة على طول العام، كما يحتاج إلى أشعة شمس ساطعة؛ للعلاقة الوثيقة بينها، وبين حلاوة مذاق الموز، إلا أن شعوب هندوراس، وجنوب جاميكا، وإقليم سانتا مارتا SANTA MARTA في كولومبيا، وبعض جهات أخرى في غرب أمريكا الوسطى استطاعوا أن يوائموها بين بيئتهم، وحاجة ثمار الموز للشمس، والماء وذلك عن طريق الري لتعويض نقص المطر في فصل الجفاف^(١).

هذه لمحة خاطفة عن نشاط الشعوب التي استهدفت السيطرة على بيئتها، وتطويعها في خدمة حضارتها ونجحت في ذلك، ويوجد في واحة الأحساء أمثلة عديدة في مجال الزراعة، وسيتم عرضها عبر الفروع التالية:

الفرع الأول: زراعة محاصيل حوض البحر المتوسط في واحة الأحساء.

وجد الفلاح الأحسائي أن أفضل المزروعات ملائمة لبيئته هي النخلة، بينما العديد من الفواكه لا يستطيع زراعتها، وحتى إذا زرعها لا يحصل على ثمار جيدة، فضلاً عن قلتها، بحيث إنها لا ترقى لأن تكون سلعة ذات مردود اقتصادي للمزارعين: كالشمش، والخوخ، والتفاح البلدي، وذلك لشدة حرارة طقس الواحة، بينما هذه الفواكه تحتاج إلى مثل طقس البحر المتوسط في الشرق الأوسط، فما كان من الفلاح الأحسائي إلا أن لجأ إلى استثمار ظاهرة الندى الممكن تكوينه داخل الحيازات الزراعية، حيث قام بتنظيم عمليات ريها من الماء المتدفق من عيونها الجوفية، بطريقة السيح، أو الغمر مشبعة التربة بالماء، كما قاربوا بين النخل عند غرسه، بحيث تشكل القمم النامية للنخيل في أعلاها غطاءً نباتياً يحفظ الأجواء الندية داخل الحيازة، وزادوا من عملية الحفاظ على تلك الأجواء، بأن قللوا من مرور التيارات الهوائية الجافة

(١) - يسري الجوهري، الجغرافيا الحضارية، مصدر سابق، ص ٢٠٤.

القادمة من الصحراء، وبذا تشكل عندهم نوعان من الحيازات إحداها «دواخل» وهي التي تنبت بها المزروعات الخاصة المذكورة مثل: الخوخ، والمشمش، وغيرها من فواكه الأحساء، وأخرى «طوارف» قريبة من الصحراء، وهذه اختصت بزراعة النخيل، وبعض الأشجار التي تتحمل حرارة الصحراء الملتهبة، وبذا استطاعوا أن يجنوا ثمار مزروعات، لا تنبت إلا في أجواء تمتاز بلطافة أجوائها، كأجواء حوض البحر المتوسط على سبيل المثال.

الفرع الثاني: حجز الرمال عن طمر الحيازات الزراعية والقرى المجاورة للصحراء.

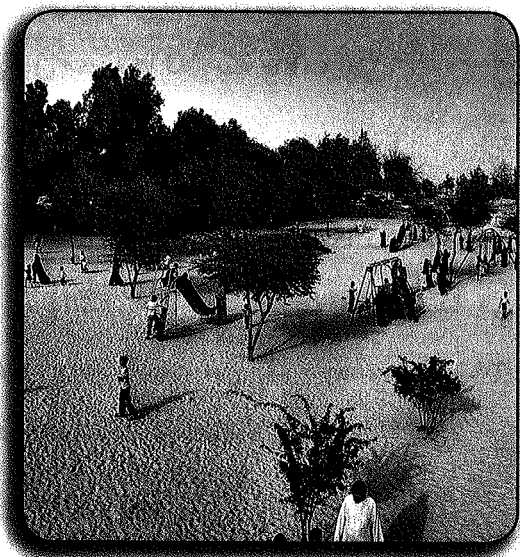
كانت واحة الأحساء في الماضي تفتقد مساحات كبيرة من أراضيها كل عام؛ بسبب الرمال المتحركة من جهة الصحراء بفعل الرياح الشمالية، مما أدى إلى طمر العديد من الحيازات الزراعية، والقرى. فالتاريخ يحدث عن وجود العديد من القرى سابقاً، واليوم أصبحت في طي الرمال المتحركة، كقرية «ناظرة» الواقعة بالقرب من قرية «الكلابية»، والتي على أثرها انتقل أهلها إلى قرية «الحليلة»، لكن الدولة أجهزت على هذا التخريب الصحراوي عبر تدشين مشروع مصدات زراعية من أشجار الأثل يدعى بمشروع حجز الرمال، وبذلك استطاعت تثبيت الكثبان الرملية، مستنقذة كل عام ١٠ أمتار^(١) بطول شريط الأجزاء المتاخمة للصحراء، وحولوا تلك المساحة الرملية إلى مرافق للترويح والسياحة، تخدم سكان الواحة والزائرين لها، خاصة في أواخر فصل الشتاء، وعند اعتدال الطقس، وتزداد جمالاً إذا ما تم زيارتها بعد توقف هطول الأمطار عليها بفترة قصيرة.

(١) -الأستاذ عبدالله الشباط، صفحات من تاريخ الأحساء، ص١٥، عن كتاب: تاريخ المملكة العربية السعودية، تأليف سيد محمد إبراهيم ص٧٦ و٧٧.



حركة زحف الرمال على واحة الأحساء

عدسة : استديو الخليفة



لمنتزه حجز الرمال، وهو من مظاهر سيطرة أبناء الواحة على ظروف البيئة المحيطة بهم
عدسة : عبد العزيز البقشي

الفرع الثالث: تفتيت التربة والتقليل من سرعة نبات الحشائش.

لما كان من شأن الفلاح الأحسائي ري الأرض بطريقة الغمر، أو السيح، حيث بها يغمر الماء المسطحات الزراعية، فإن هذا يؤدي إلى سرعة نبات الحشائش، وبالتالي يؤدي إلى إهدار في كميات الأسمدة التي تحتاجها المزروعات، لذا عمد الفلاح في هذه الواحة إلى ابتكار «الطينة»^(١) كطريقة تسميد مناسبة لهذه الحالة، و«الطينة» عبارة عن حرق مخلفات النخيل ومخلفات اشجار الحيازات الزراعية، ومن ثم استخدام الرماد كسماد طبيعي للمزروعات، كما أن الدخان المنبعث منها يقوم بعملية التبخير الحقلي إذ يتمكن الفلاح من خلاله التخلص من الكثير من الحشرات الحقلية الضارة، كما أن السماد يساعد على تفتيت التربة، وزيادة الفراغات داخلها، مما يساعد على نمو جذورها، وسرعة امتصاصها للأسمدة، كما تقلل من سرعة نمو الحشائش، وتزيد من سواد التمر خاصة منه نوعية «الرزيز»، الذي يعتبر السواد فيه شرطاً لجودته^(٢)، كما يمكن للمزارع أن يتخلص من مخلفات النخيل التي لا يمكن أن تتحول إلى سلع اقتصادية، لأن بقاءها قد يكون مصدراً للأوبئة والأمراض.

الفرع الرابع: الاستفادة من منتجات النخيل في أغراض الحياة اليومية.

لا يوجد نبات زراعي استطاع أن يلبي أغلب احتياجات الأحسائيين كالنخلة، فمنها أخذوا جذوع النخيل لبناء أسقف المنازل، والممرات، واستخدموا مخلفاتها في الصناعة، واستفادوا من ثمرتها كغذاء لهم، ولمواشيهم من بقر، وغنم، ولوسائل نقلهم المنحصرة في الحمير آنذاك، وسوف يتم تفصيل ذلك لاحقاً.

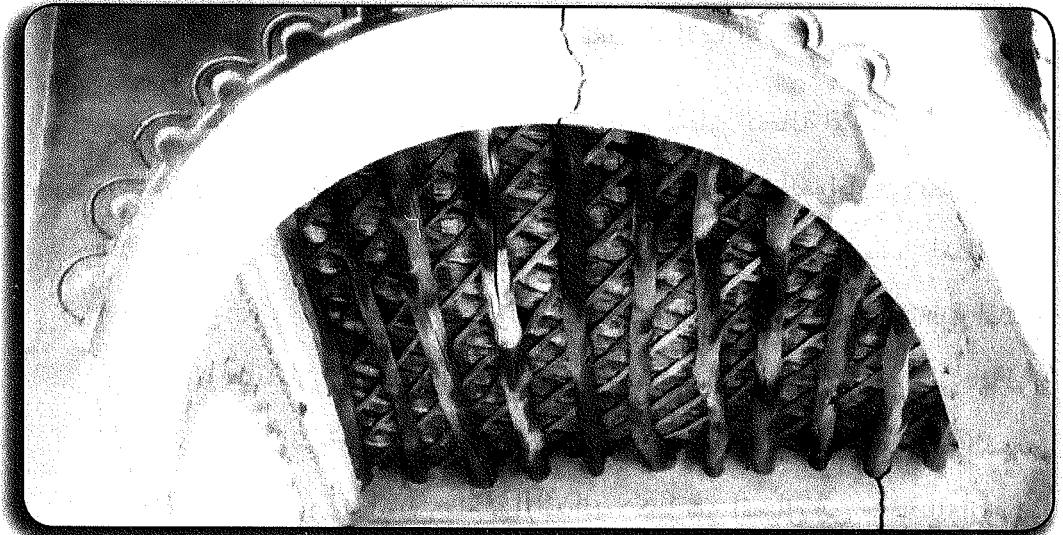
(١) - «الطينة»: عبارة عن تربة محروقة بمخلفات النخيل.

(٢) - ملاحظات من أحد المزارعين الأحسائيين.



جذوع النخيل أحد مكونات أسقف المباني والممرات والصورة لأحد المساكن في حي الرفعة
الوسطى بمدينة الهفوف، ويعود تاريخه الى ما قبل عهد النفط

عدسة الباحث



خشب شجر (الكند) و (الباسكير) بعض مكونات أسقف المنازل في مدينة الهفوف قبل عهد النفط
عدسة: عادل القضيبي

المطلب الثالث

تطويع الأحسائي لإمكانيات البيئة المحيطة به لاحتياجاته في مجال البناء

وهذا المطلب يشتمل على الفروع التالية:

الفرع الأول: الحماية ضد هجمات البدو.

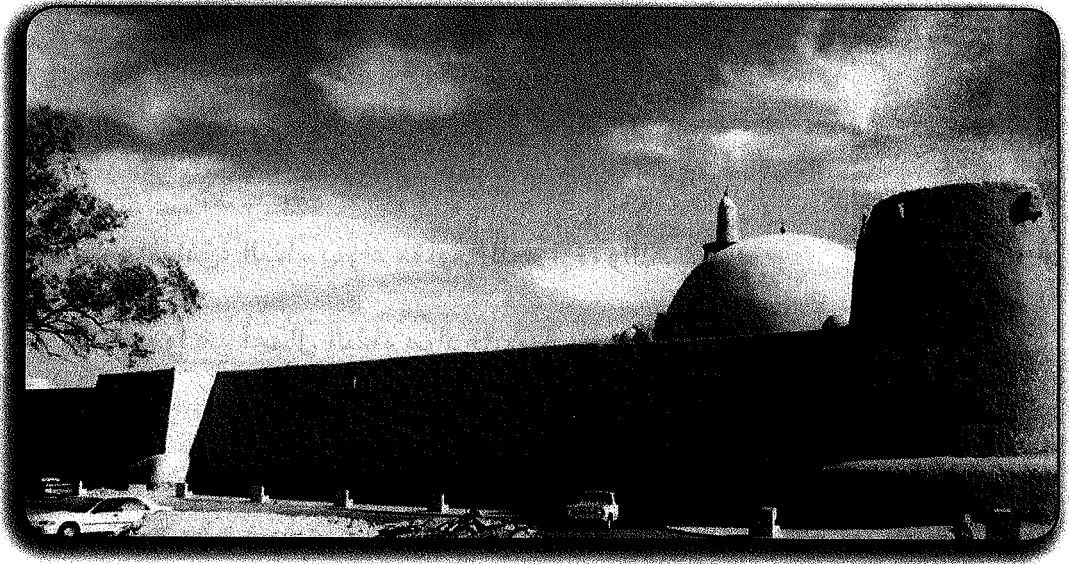
كانت حاضرة الهفوف مطمئناً للبدو المحيطين بالواحة، فهم يعلمون بأن مستودعاتها غنية بموارد الحياة من المأكولات الجافة، والتمر، والملابس، وخلافه، كما أن من بين سكانها من يعد من الميسورين والأغنياء مادياً، وحتى يتمكن سكان المدينة من حماية أنفسهم من أخطار سطوات البدو المحدقة بهم، عمدوا إلى أمور هامة أبرزها:

١- تسوير المدينة بأسوار عالية عريضة يصعب تسلقها أو اختراقها.

٢- تجمع السكان في أحياء محدودة يسهل السيطرة على الحالة الأمنية فيها، وذلك بمحدودية عدد المنازل، وإن تطلب الأمر سكنى عدد من العوائل في منزل واحد فلا ضير في ذلك، لأنه لا إمكان للتوسع في نطاق المدينة، ومن أمثلة هذه الحالة في فريج الرفاعة يحدث والد الباحث أن البيت الذي يسكن فيه آنذاك يوجد فيه عائلتان لا يرتبطان بنسب مباشر، كما عمدوا إلى تضييق الطرق المارة داخل «الفرقان»، بل تجد بعضها ينتهي بطريق مسدود؛ لإمكانية القبض على المتسللين، أو العابثين بأمنها آنذاك، كما هو الحال في سكة العليوه في فريج الرفعة الوسطى، وفي فريج الفوارس سكة أخرى طرف بيت الحاج سلمان بوحليقة تنتهي بطريق مسدود، ومن جهة الطريق المار بمحل أحد أبناء عائلة

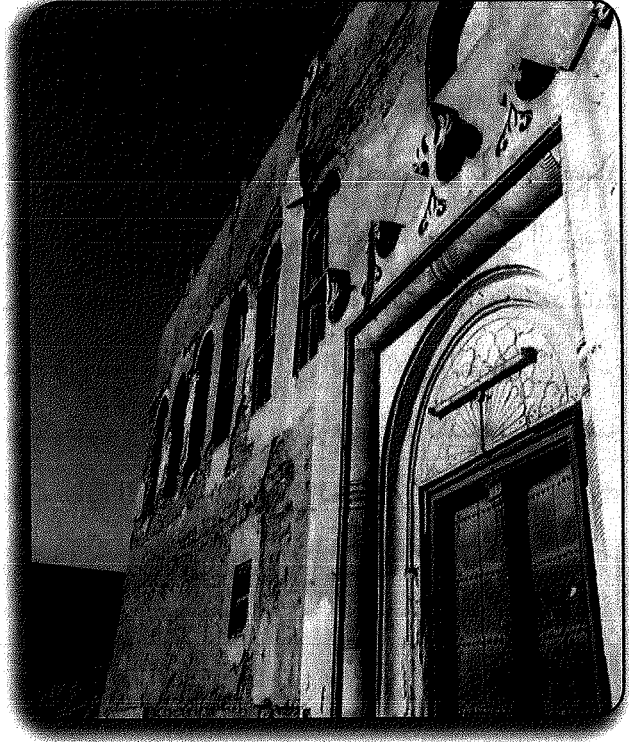
بو عنقة؛ لإصلاح الأسلحة آنذاك، وبالتحديد الحي المجاور للمدرسة الأميرية من الناحية الجنوبية يوجد أيضا طريق طويل ينتهي بسد.

٣- توفر مصادر غذائية داخل المدينة، كافية لهم في حالة الصمود أمام الحصار المتوقع من الغزاة، ومنها على سبيل المثال عيون ماء محفورة في داخل البيوت، ويتوسطها مجموعة وقد شاهد الباحث العديد منها في الرفعة الوسطى، ومستودعات للتمر، والحبوب، بل كانت تضم في داخلها العديد من البساتين الصغيرة، وهي مملوكة لعوائل معروفة منها كالشعبي، والقصيبي، وغيرهم، ولا تستبعد الدراسة أن ذلك يضم إلى قائمة عوامل حماية السكان في حال الحصار عليها.



صورة أحد مظاهر الحضارة الأحسانية حيث الأسوار العالية لحي الكوت لحماية قصر الحكم ضد هجمات البدو، والأطراف الخارجية (عدسة الباحث عام ١٤٢٥هـ)

صورة أحد مظاهر الحضارة
الأحسانية، تظهر كيفية التعامل
مع ظروف الطقس الحارة، حيث
استخدموا في بناء المنازل
الطين المعروف عندهم بـ
"اللبن"، وقاموا بتغطيته بمادة
"الجص الأبيض"، وفي نفس
الوقت حافظوا على جمال
البناء بالطراز المعماري الأنيق.
(عدسة الباحث عام ١٤٢٥هـ)



الفرع الثاني: البناء بمواد مقاومة للحرارة، واللصوص.

استخدموا في أعمال البناء مواد طبيعية من بيئتهم، وكان لها دور كبير في توفير مساكن أقل حرارة من غيرها، ومن تلك المواد الطين المعروف بـ"اللبن"، وعادة يؤتى به من بلدة «الطرف»، من موضع يعرف بـ«العوينة»، حيث يؤخذ الطين، ويعجن معه طين مترسب في مجاري المياه العذبة لونه رمادي و حصيلتهما بعد العجن يدعى بالجص الخكري، وهذا يكسبه قوة وتماسكاً، يستخدم القطع الكبيرة منه في أساسات المنازل والصغيرة في بناء الجدران، كما استخدموا «الجص» بأنواعه الثلاث الأبيض، والأزرق، والمروبي، غير أن الأفضل هو الأبيض^(١)، وذلك لأغراض تغطية الجدران بعد بنائها بالطين، ولأعمال الديكور داخل البناء وخارجه، كما وظفوا مخلفات النخيل

(١) - الأستاذ عبد الله بن حمد المطلق، البوابة الجنوبية للأحساء: الطرف في ماضيها وحاضرها "الأحساء" ١٤١٣هـ "الطبعة الأولى، ص ٢٢٤.

من جذوع وسعف، وجريد في أعمال البناء، ومن عاش في تلك البيوت يدرك كم كانت تحمي أهلها من حرارة الطقس الخارجي، خاصة إذا رشت مياه الدهاليز بالماء عند الظهيرة، كما أن من القضايا التي يتندر بها البعض، عن قصص لأحد تجار مدينة الهفوف، كان يشيد جدران مستودعاته التجارية بجذور النخل، ويدعى في الاصطلاح الأحسائي الدارج بالعكر، ومفردها عكرة، ثم يبنى عليه جدران من طين، ثم يطويها بالجص، وهدفه هو زيادة حماية محله التجاري من اللصوص، وطالما شاهدوا أثر هذا البناء الفعال في إفشال سطوات اللصوص، حيث يبدوون في محاولة خرق الجدران في أول الليل، ثم يمضي نصفه وحتى آخره، ولكن لا يصلون إلى أقصاه بسبب عكر النخل، وممن بنى متجره بهذه الطريقة الحاج عبد الله بوحليقة في قيصرية الأحساء الشهيرة، وذلك أبان الحكم العثماني.

الفرع الثالث: الجص الخكري ومقاومة الرطوبة.

يتكون الجص الخكري من: جص، ورواسب طينية تستخرج من جداول مياه الري، تستخدم في أعمال البناء لتغطية الجدران، كما تشكل منها كتل على هيئة الطوب تحرق ثم تدق، فينتج عنها مادة شديدة المقاومة للماء والرطوبة، وتستخدم هذه في بناء جدران عيون الماء؛ حتى لا تنهار الجدران، إذ لو كانت قابلة للذوبان، والتفكك بفعل الرطوبة لانهار جدار العين، وردم مصدر الماء، كما أنهم يعملون منها كتلاً طينية توضع أعلى عين الماء؛ لوضع الدلو عليها.



صورة لمجموعة منازل في "فريج الرفاعة" بحي الرفعة الوسطى بمدينة الهفوف، مطلة على براحة سوق الدهن فيها، حيث يظهر فيها كثرة البيوت المتراسة وعدم وجود نوافذ فيها عدا أربع فتحات صغيرة المساحة في الزاوية اليسرى من الصورة وكانت تدعى عندهم بـ "الروشن"، وهي قريبة من السقف، تحفظ خصوصية المنزل، وتمنح الفرصة لدخول الضوء وتمنع تسرب الحرارة وهو من مظاهر سيطرة الإنسان الأحسائي على ظروف بيئته.

الفرع الرابع: النوافذ الصغيرة لمنع الحرارة، ولحفظ خصوصية المنزل.

نوافذ المنازل آنذاك صغيرة جداً تدعى بـ«الروشن» ومقاساتها في حدود ٥٠سم ارتفاعاً، و ٢٠سم عرضاً، وذلك لهدفين: أحدهما لدخول كمية ضوء كافية؛ لإنارة الغرفة، ولكن بشكل لا يتسرب معها حرارة كثيرة تفقد مزايا البناء بالطين، ومن جهة أخرى جعلوها مرتفعة قريبة السقف لحفظ خصوصية ساكني الغرفة، إذ كما قلنا سابقاً أن البيت الواحد تسكنه العديد من العوائل، وعليه لزم مراعاة الحجاب الإسلامي في ذلك، أما البيوت التي كانت خاصة لعائلة واحدة فكانت تعمل نوافذ منخفضة الارتفاع، وتوضع حواجز خشبية تفتح عند الحاجة، أما الجدار الملاصق للطريق الخارجي فكان خالياً من النوافذ، وإن وجدت فهي قريبة من السقف.

المطلب الرابع

تطويع الأحسائي لإمكانيات البيئة المحيطة به لاحتياجاته في مجال الحرف والصناعات

تعلم الأحسائيون صناعات وحرفاً عدة، وحققوا بذلك اكتفاءً ذاتياً، وجعلوا من واحتهم مصدراً للعديد من منتجاتهم إلى الدول المجاورة مثل: البشوت، و الدلال الحساوية الشهيرة، و مداد الأسل، ووسائل الحفظ والنقل المصنوعة من مخلفات النخيل، والمصوغات الذهبية والفضية، وسيتم تفصيل الحديث عن هذه الصناعات في فصل مستقل ضمن خطة الدراسة.

المطلب الخامس

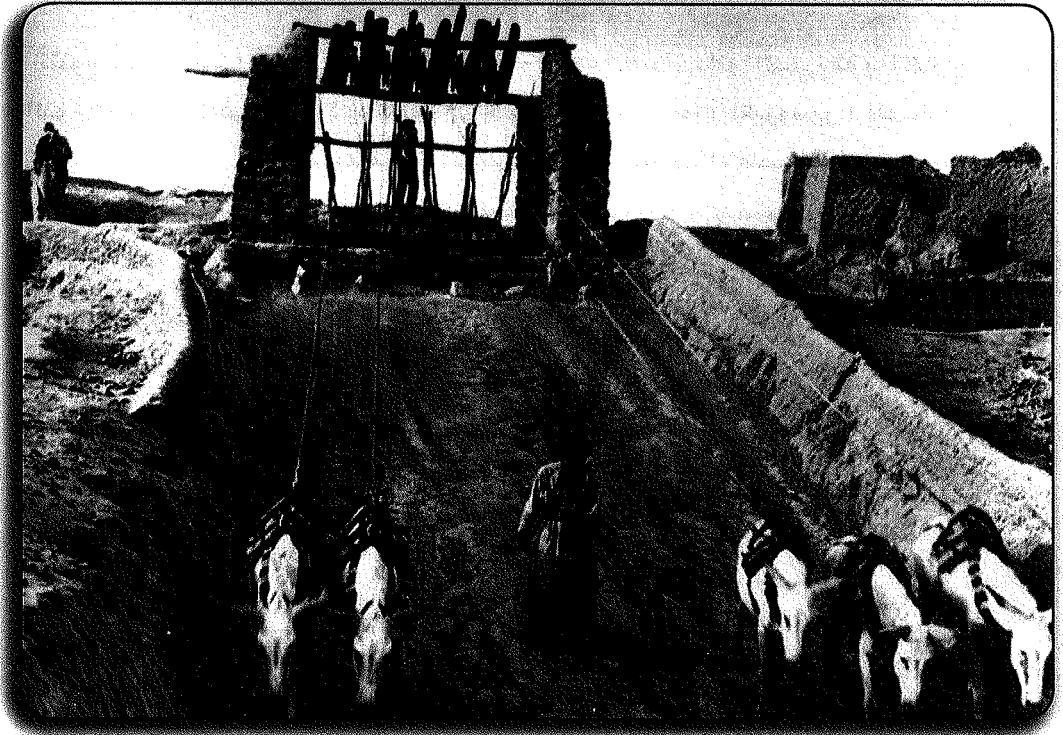
تطوير الأحسائي لإمكانيات البيئة المحيطة به لاحتياجاته في مجال النقل

نظراً لاتساع رقعة الواحة، وكثرة الأعمال الزراعية، والحرفية، والتجارية فيها، فإن الأمر يستدعي أن تكون بها وسائل نقل تتناسب مع حجم تلك الأعمال، وعليه عمدوا إلى تحسين سلالة أحد أنواع الحمير بها، حتى عرف بالحمار الحساوي؛ لتمييزه بقوة بنيته، وارتفاع قامته، وقوة تحمله، وبياضه الملفت لكل من رآه، ولم يقتصر استخدامه في الواحة، بل صدروا كميات كبيرة منه إلى مدن الجزيرة العربية آنذاك في نجد، والحجاز، ومصر، والعديد من الدول العربية، ولشدة حاجتهم إليه تماشوا مع ركب الزمن في تطوير فعالياته بقدر المستطاع، ففي الماضي تحمل عليه المنقولات من سماد، ورمل، وعدد ومنتجات زراعية، وأغراض منزلية، وكل ما يخطر على البال من مواد قابلة للحمل في أكياس تصنع من الخوص، والليف، وتربط بطريقة فنية على جانبيه، تحفظ للحمار توازنه، وقدرته على مواصلة العمل، ولما دخلت إطارات السيارات عاجلوه بالتطوير، مصممين له عربات القاري، بتقنية مجلوبة من البحرين، ويجد الباحث بينه وبين حيوان «الرنه» في فنلندا الذي ذكره الدكتور يسري الجوهري في كتابه «الجغرافيا الحضارية» عموماً، وخصوصاً، أموراً يلتقيان فيها وأخرى فيها يفترقان. فكلاهما استُخدمَ للنقل، وجر العربات، وشهد وجودهما تهديداً كبيراً بالاستغناء عنه كوسيلة نقل؛ بسبب دخول التقنيات الحديثة ممثلة في السيارات إلى كلا البيئتين: الأحساء، وفنلندا، فقد استطاعت السيارات الثلجية في فنلندا أن تسبب تدهوراً لحيوان الرنه في مجال النقل عام ١٩٧١م^(١)، والحمار كذلك بدخول سيارات النقل الصغيرة المعروفة بـ«سوزوكي»، غير أن الأخير يكتوي بلسعات شمس الأحساء الملتهبة على جلده البيضاء، بينما الرنه تكاد أن تتثلج عند هبوب الرياح

(١) يسري الجوهري، الجغرافيا الحضارية، مصدر سابق، ص ١٢٠.

الجليدية عليها، كما أنها لم تسلم من مدية ذابحها هناك؛ لتقدم طعاماً شهياً لسكان فنلندا، ومن بعدها يقدم جلدها لصناعة الأحذية، والملابس، والخيوط، والأدوات، فهو مستهلك في حياته، وبعد مماته، وهو ما نجى منه الحمار الحساوي عن نظيره الرنة.

لقد ساق الباحث هذه المقابلة بين الحيوانين ليس للمتعة فقط، وإنما للتأكيد على دلالتها في علم الجغرافيا الحضارية، ومدى تشابه سلوكيات الأفراد في كلتا البيئتين.



مجموعة من الحمير تقوم بسحب الماء لري أحد الحيازات الزراعية في واحة الأحساء.



تتنوع استخدامات الحمير في واحة الأحساء، وتتنوع أيضا عرباتها المعروفة بـ(القاري) و هذا النوع الذي يظهر في الصورة يستخدم في حمل خزانات تسويق (الكيروسين)، المستخدم كوقود في العديد من الاغراض قبل عهد الطفرة الاقتصادية



مجموعة من الحمير يقومون بدراسة سنابل الرز الأحسائي، وهو من أجود أنواع الرز عالمياً.
عدسة: عادل القضيبي

الفصل الرابع

ملامح الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الهفوف

تتعرف في هذا الفصل على ملامح الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الهفوف قبل اكتشاف النفط، وبعده، وخلال عهد الطفرة الاقتصادية، وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: الخصائص العامة لأحياء مدينة الهفوف القديمة.

المبحث الثاني: مفردات البيئة المنزلية لسكان مدينة الهفوف «المساكن، ومصادر المياه، والتكييف، والمستودعات»

المبحث الثالث: العادات والتقاليد «تقاليد مناسبة الزواج، وتقاليد مناسبة العزاء، وتقاليد مناسبات الضيافة، وتقاليد الأسواق والشراء»

المبحث الرابع: أفراح الأطفال وألعابهم.

المبحث الخامس: لغة ولهجات سكان مدينة الهفوف.

تمهيد:

عند الحديث عن ملامح الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الهفوف قبل اكتشاف النفط، يلزم الأمر أن ينسلخ المتحدث من كل ما خلعتة الحياة المدنية عليه في سنواتها الماضية، وأن يعود إلى حياة الدهاليز، وبيوت الطين، حياة ملؤها البساطة والعفوية، حياة تضمخت أجواؤها بعبق الماضي السحيق، فعلى الرغم من أن إيقاع الحياة لا يزال منذ الأزل يسير بخطى حثيثة نحو الأمام كسنة جارية، إلا أن ذلك الإيقاع ليس على نحو إيقاع الحياة اليومية المعاصرة، التي ما إن تكاد تدهش الفرد بأساليب حياته حديثة حتى يأتي ما هو أحدث منها؛ ليطمس تلك الدهشة بدهشة أخرى أعظم منها. أما في الماضي،... أيام حياة الآباء والأجداد فقد كانت الحياة على النقيض منها، كانت عربة الحياة فيها تسير ببطء، فالذي تحت الشمس قليل جدا، اليوم كأمس، وأمس أمثاله بين الأيام كثير، إلا ما قل وندر.

على الفرد الباحث في المشهد الأحسائي القديم أن يتخيل أن ما يرثه الأبناء آنذاك من أجدادهم من بيت أو أثاث، أو وسيلة نقل، سيظل هذا الابن يستفيد من منافعها سنيماً طويلة، ثم يورثها لأبنائه من بعده، وحتى يمكن وصف حياة الآباء الماضين، يجد الباحث من الأهمية بمكان أن يكون الحديث حول الواقع الاجتماعي، والاقتصادي، والعلمي، وهذا لن يكلف كثيرا من العناء، لأن ما يلزم وصفه هو قليل بحد ذاته، مقارنة بالواقع الأحسائي في الوقت الراهن.

إن اكتشاف النفط أحدث انعطافا كبيرا في حياة سكان مدينة الهفوف، تداعت تأثيراته على أفرادها جيلا بعد جيل بشكل تصاعدي، غير أن أثره على الجيل الأول كان له مفارقاته الملحوظة بين القديم والحديث، إذ كثيرا ما يؤرخ الأجداد عن أحداث ماضيهم بالفصل بين المرحلتين، فتجد منهم من كان يورد في سياق حديثه عند الحكاية عن أيامه السالفة كلمة اكتشاف النفط وهم قلة، وبعض منهم كانوا يكتفون

بالإشارة إلى آثار اكتشافه كدخول بعض التقنيات الحديثة في حياتهم مثل الكهرباء، والغالبية يختصرون المقام في سياق الحديث بقولهم «أيام أول»، وأيام أول تلك تعني قبل اكتشاف النفط.

وفيما يلي بعض ملامح التغييرات التي طرأت على أحياء مدينة الهفوف بعد عهد النفط^(١):

١- هدم أسوار الهفوف وذلك عام ١٣٧٧هـ.

٢- فتح شوارع رئيسية، وتعبيدها بالإسفلت عام ١٣٧٦هـ، أشهرها الشارع الملكي والشارع العام المار بمحاذاة القيصرية، حيث أقيم على أساسات سور الكويت، كما فتحت بعض الشوارع مثل شارع الخباز، والحدادية، والباحوث، والفوارس، والسويق.

٣- دخول التيار الكهربائي في بعض الشوارع والمنازل إلى ٥٠٠ منزلاً، وذلك عام ١٣٧٧هـ بتأسيس من شركة أهلية شاركت فيها بلدية الأحساء بمبلغ ١٠٠٠٠٠٠ ريال، وكان مجموع ما رصدته البلدية لإنارة شوارع الهفوف، والمبرز مبلغ ١٦٠٠٠٠ ريال، وطريقاً مؤدياً إلى مدينة المبرز، وآخر إلى مطار الهفوف، كما شقت طريقاً مؤدياً إلى محطة القطار.

٤- دخول شبكات المياه في ١٢٣٠ منزل وذلك عام ١٣٧٧هـ بتأسيس من شركة أهلية.

٥- بناء سوق للخضار والفواكه واللحوم وكذا عشرين محلاً تجارياً عام ١٣٧٧هـ من قبل البلدية.

(١) د- عبد الله بن ناصر السبيعي، اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، ص ١٨٢ نقلاً عن جريدة أخبار الظهران كذلك انظر صالح علي العيدان وزملاؤه، الأحساء في مئوية التوحيد.

٦- فتح المستشفيات.

٧- تأسيس بعض الصناعات الضرورية مثل مصنع للثلج من قبل شركة التعاون بإدارة ياسين الرشيد، و ياسين الغدير عام ١٣٧٧هـ، ومصنع النسيج، وكذا الشركة الأهلية بإدارة عبد الحميد الفضل محمد صالح، وأهم نشاطات الشركة مصنع ثلج، وطابوق، ونقل الرمل، والصخور، والكنكري، والأسمنت.

لم تنته تداعيات النفط وتأثيراته على الحياة الاجتماعية لمدينة الهفوف، بل حدثت موجات من التحسن الاقتصادي الذي طرأ على اقتصاديات المملكة العربية السعودية بشكل عام ما بين ١٣٩١/٩٠هـ و ١٤٢٥/٢٤هـ، وقد سبق ذكرها في الفصل الأول عند الحديث عن أهمية الدراسة، حيث تغيرت نسبة إسهامات الإيرادات النفطية في مجموع الإيرادات العامة للدولة وفقاً للتغير الذي حدث في أسعار النفط في الأسواق العالمية، ففي عام ١٣٩١/٩٠هـ (١٩٧٠م) بلغت الإيرادات النفطية ١, ٧ بليون ريال، والتي كانت تشكل نسبة ٧, ٨٩٪ من مجموع الإيرادات العامة آنذاك، ثم بدأت قيمتها في الانخفاض المطلق، والنسبي، خلال عقد الثمانينات، وتصل على حدها الأدنى في عام ١٤٠٩/٠٨هـ (١٩٨٨م)، حيث بلغت ٤, ٤٨ بليون ريال، أي ما يعادل ٢, ٥٧٪ من مجموع الإيرادات العامة والبالغة حوالي ٦, ٨٤ بليون ريال حينذاك، ومنذ ذلك الوقت وحتى عام ١٤٢٤/٢٣هـ (٢٠٠٣م)، تأرجحت قيمة الإيرادات النفطية بين الارتفاع والانخفاض النسبي لترتفع بقوة من جديد في عام ١٤٢٥/٢٤هـ (٢٠٠٤م) حيث وصلت قيمتها إلى ٣٣٠ بليون ريال، أي ما يعادل ١, ٨٤٪ من مجموع الإيرادات العامة^(١)، وعلى أثر التحسن المالي لسعر النفط تدفقت سيوله مالية كبيرة، تم توظيفها في مشاريع تنمية عملاقة شملت جميع القطاعات الحيوية في البلاد، وفي

(١) -وزارة الاقتصاد والتخطيط، في المملكة العربية السعودية، منجزات خطط التنمية حقائق وأرقام، "الرياض: وزارة الاقتصاد والتخطيط، ١٤٢٦هـ" الإصدار الثاني والعشرون، ص ٢٥.

هذه الدراسة سيلاحظ القارئ الكريم الآثار التي أتى النفط على الكثير من ملامح الحياة فيها، ولعل أشدها أثرا ما كان في أولى موجاته المؤرخ لها بعام ١٣٩١/٩٠هـ، حيث لمس خلالها تغيرات أتت على الكثير من الملامح الحياتية لسكان مدينة الهفوف بشكل كبير على نحو إيجابي، اجتماعيا واقتصاديا وعلميا، مع احتفاظهم الكامل بجميع ملامحهم الثقافية سواء منها المنبثقة من عمق ولأهم الديني الإسلامي، أو مما اكتسبته من خصائص عائلية توارثته الأجيال كإبراهيم كابر، ومن أبرز الآثار على زيادة النفط على أبناء حاضرة الهفوف مايلي:

١- تأسيس صندوق التنمية العقارية من قبل الدولة لإقراض المواطنين لبناء الوحدات السكنية، وهو ما أدى إلى التوسع في النطاق العمراني، حيث تم وضع خطة شبكية تمثل قاعدة أساسية للامتداد العمراني في الناحية الشمالية، والجنوبية، والغربية لمدينة الهفوف والمبرز، وذلك على طريق الظهران، وطريق الرياض القديم والجديد، وطريق قطر، وطريق الإستاد الرياضي، وتعتبر الأحياء السكنية النامية في هذا النطاق العمراني أكثر تحضرا من ناحية المظهر العام، والتخطيط، والبناء، حيث الميادين الفسيحة، والشوارع العريضة، مقارنة بحالة الطرق في الماضي، التي قد يصل عرضها ما بين ٤٠-٦٠ مترا، كما تتميز بوجود تناسق بين المباني من حيث الارتفاع والنظام المعماري^(١).

٢- زيادة في الطاقات الكهربائية المتاحة للمستهلكين، وكذلك شبكات المياه، وذلك لتغطية الزيادة العمرانية الواسعة.

هذه تداعيات مرت على مدينة الهفوف فغيرت وجهها القديم، لكن ترى ما هي ملامح مجتمع سكان مدينة الهفوف التي اندرست بفعل تلك الفعاليات من حيث

(١) -مقابلة مع المهندس سعيد بن عبد الله الخرس.

الواقع السكني، والأحياء التي شكلت واقع المدينة آنذاك؟ وما الخصائص العامة لتكوين تلك الأحياء؟ وما هي مفردات بيئتهم المنزلية من مساكن، ومصادر مياه، و تكييف، ومستودعات؟ وما هي أبرز عاداتهم وتقاليدهم في مناسباتهم الاجتماعية؟ وما نصيب أطفالهم من مرح الطفولة و ألعابها؟ وهل لهم لهجات يتميز بها بعض الأحياء عن بعضهم الآخر؟ أم كان لهم لهجة واحدة؟ هذه الأسئلة وغيرها سيسعى الباحث إلى الإجابة عليها في هذا الفصل عبر المباحث التالية:

المبحث الأول: الخصائص العامة لأحياء مدينة الهفوف القديمة.

المبحث الثاني: مفردات البيئة المنزلية لسكان مدينة الهفوف «المساكن، ومصادر المياه، التكييف، والمستودعات»

المبحث الثالث: العادات والتقاليد» تقاليد مناسبة الزواج، وتقاليد مناسبة العزاء، وتقاليد مناسبة الضيافة، وتقاليد الأسواق والشراء»

المبحث الرابع: أفراح الأطفال وألعابهم.

المبحث الخامس: لغة ولهجات سكان مدينة الهفوف.

المبحث الأول

الخصائص العامة لأحياء مدينة الهفوف القديمة

عندما يطلق الباحث وصف القَدَم على مدينة الهفوف، يريد بذلك الإمعان في وصف المدينة، من حيث مكونات الأحياء فيها قبل التوسع الكبير الذي مر بها بعد اكتشاف النفط، وبعد الطفرة الاقتصادية التي مرت بها الأحساء، وعليه سيكون الحديث عنها عندما كانت محصورة بسور يلفها من جميع الأنحاء كما هو ظاهر في خريطة أعدّها الباحث فيدال لمدينة الهفوف عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، عدا بوابات رئيسة تطل من خلالها الهفوف على البيئة الخارجية لها، سواء كانت مكونات تلك البيئة: حيازاتهم الزراعية المنتشرة في شرق الهفوف وشمالها وغربها، أو مدينة المبرز الواقعة إلى الشمال منها، وكذا القرى الشرقية والشمالية للمدينة، وبهذا فإن الأحياء الرئيسية فيها هي كل من:

١- الكوت.

٢- الرفعة الشمالية.

٣- الرفعة الوسطى.

٤- الرفعة الجنوبية.

٥- النعائل.

وفي هذا المبحث يحاول الباحث أن يسلط الضوء على أهم الخصائص العامة التي أسهمت في تجمع السكان في هذه الأحياء، حيث يرى بأن هناك عوامل مهنية، وأخرى قبلية، ومذهبية أسهمت في تشكيل تلك الأحياء، وسيعرض لها من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: الطابع المهني كعامل في تكوين بعض أحياء مدينة الهفوف.

المطلب الثاني: الطابع القبلي كعامل في تكوين بعض أحياء مدينة الهفوف.

المطلب الثالث: الطابع المذهبي كعامل في تكوين بعض أحياء مدينة الهفوف.

المطلب الأول

الطابع المهني كعامل في تكوين بعض أحياء مدينة الهفوف

يبدو أن الواقع المهني من أقوى المؤثرات على التقسيم الاجتماعي لأحياء مدينة الهفوف، لما يتمتع به سكان مدينة الهفوف، بالإتقان الحرفي المتقدم، الذي أهل مدينتهم لأخذ مكانتها المتميزة بين حواضر الجزيرة العربية آنذاك، وذلك بلحاظ المؤشرات التالية:

١- كانت الأحساء حاضرة كبيرة حتى لقد عدت في إحصائية لاتينية قديمة^(١) تعود إلى القرن الرابع الهجري أنها من أكبر عشر حواضر على مستوى العالم، كما عثر على وثيقة تاريخية عثمانية في تركيا عبرت عن واقع الأحساء، أن لها من الشأن والمكانة من حيث الإمكانيات البشرية، والاقتصادية بين حواضر الدول العربية، لا يضاهاها غير القاهرة، وبغداد، ودمشق لولا الهجمات البدوية عليها.

٢- كانت مكتفية إلى حد قريب من العمالة الأحسائية في كل الحرف المهنية القديمة كالحياكة والخياطة، والحدادة، والصفارة، والنجارة، والزراعة، إلى أن دخلت المنطقة عهد الطفرة الاقتصادية.

٢- كانت سوقا رئيسا في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية في القرون السالفة، ليس للبدو المحيطين بها خاصة، بل أيضا للعابرين عبر أراضيها إلى الديار المقدسة، ومن المؤشرات الدالة على حضورها الاقتصادي على المستوى العالمي ؛ كتصديرها للتمر، أحد أبرز منتجاتها الزراعية وأكثرها جودة، وذلك إلى الدول الآسيوية المجاورة، فكان من أهميتها بالنسبة للبدو على سبيل المثال، أن حكام المدينة آنذاك كانوا يجعلون منع البدو من التسوق في مدينة الهفوف أحد العقوبات القاسية عليهم، إذا ما أخلوا بأمنها عبر السرقة، والنهب، وإشاعة الفوضى^(١).

٤- إن بعض التجمعات السكنية المصطلح عليها آنذاك بـ«الفريج» اكتسبت مسماها من واقع حرفة ساكنيها، بل غلبت التسمية على كامل الحي في بعض منها، حتى لتجد عوائل بأكملها قد تخصصت في حرفة معينة يتوارثونها جيلا بعد جيل، فمن أبرز الأحياء الحرفية في مدينة الهفوف ما يلي^(٢):

فريج الحياك، وهو مختص بحياكة الملابس، وبالأخص منها أقمشة البشوت التي اشتهرت بها الأحساء، وذاع صيتها في الوطن العربي، وقد اختص به فريج الحياك الشمالي من الرفعة الشمالية، و«فريج» الحياك الجنوبي بشقيه الغربي الكائن في حي النعائل، وشقه الشرقي في الرفعة الجنوبية.

فريج الصاغة، وهو مختص بالمسكوكات الذهبية والفضية وذلك بحي الرفعة الوسطى، كما كان يقطنه عوائل مختصة بخياطة البشوت.

فريج الحداديد^(٣)، في الرفعة من الجهة الشمالية .

(١) عبد الرحمن الملا، تاريخ هجر، ج٢، ص٧٥٣.

(٢) - يلفت الباحث عناية القارئ الكريم أن هذه الأحياء أخذت مسماها من أسم مهنة ساكنيها، أو أغلبيتهم.

(٣) - ويراد بهم الحدادين.

فريج النجاجير^(١)، في حي الكوت.

فريج الصفاير^(٢)، في حي الكوت.

إن تأثير الواقع المهني على التكوين السكاني للتجمعات السكانية بمدينة الهفوف كان قويا، حتى لقد استقطبت تلك المهن أفراد أبناء القبائل العربية المهاجرة إلى الأحساء والمقيمة في مدينة الهفوف بسكنها في تلك الأحياء، على الرغم من نفور الطباع القبلية عن تعلم الحرف الإنتاجية وامتهانها.

أما المهن التي مارسها أبناء القبائل العربية التي توصل الباحث إلى معرفة أصلها القبلي موضحة في جدول رقم « ١ / ٣ »:

جدول رقم « ١ / ٣ »

الحرف التي مارسها أبناء بعض القبائل العربية الذين سكنوا مدينة الهفوف

العوائل	المهنة
سبيع	
البقشي	صياغة الذهب، والفضة، والبشوت، التجارة
الهودار	الحياكة
الحاج محمد	الصفارة
الدواسر "الودعانيين"	
بو خمسين	خياطة البشوت والتجارة

(١) - ويراد بهم النجاجير.

(٢) - ويراد بهم الصفاير.

المهنة	العوائل
خياطة البشوت، الصياغة، التجارة	الخرس
	عنزة: الفداغم "الرويليين"
خياطة البشوت	آل أبي خميس
خياطة البشوت	آل موسى
خياطة البشوت	آل حجي
خياطة البشوت	آل أبي حمود
	عنزة: آل بن فارس
خياطة البشوت	الالتحو "من آل بن فارس"
خياطة البشوت	الدهام "من آل بن فارس"
خياطة البشوت	الأمير "من آل بن فارس"
خياطة البشوت	الهاجري "من آل بن فارس"
خياطة البشوت	الشواف "من آل بن فارس"
	عنزة: الدهامشة
صياغة الذهب، خياطة البشوت	ال حسن بن براهيم "من الدهامشة"
	بني تميم
خياطة البشوت، صياغة الذهب والفضة	الباذر
خياطة البشوت، صياغة الذهب والفضة	بوجبارة

العوائل	المهنة
البن موسى	خياطة البشوت، صياغة الذهب والفضة
السمين	صياغة الذهب والفضة
العبد الوهاب	صياغة الذهب والفضة
الصاغة	صياغة الذهب والفضة
القضيب	خياطة البشوت
بني حرب	
البغلي	خياطة البشوت
قحطان	
البن خليفة	صياغة الذهب

المطلب الثاني

الطابع القبلي كعامل في تكوين بعض أحياء مدينة الهفوف.

ساهمت الطابع القبلية في تشكيل النسيج السكاني لبعض أحياء مدينة الهفوف، حيث شكل هذا التمازج القبلي دافعا لتكثف وجودهم في بعض المحلات «الفرقان» تكثفا أظهر الكثير من سماتهم القبلية العربية، التي تعكس رؤى، وسجايا، نابعة من عمق ثقافتهم الموروثة، وتبدو تلك في ضيافتهم، وعلاقتهم الأسرية، وسعة علاقاتهم الاجتماعية المدعومة بالثقة والجرأة، بل تتعداها إلى أمور شكلية كأسلوب الكلام،

حيث كانت ملحوظة بشكل واضح آنذاك؛ وقد أذكى هذا الواقع قرب تواريخ هجرتهم إلى الأحساء. ومن الأحياء التي ساهم البعد القبلي في تشكيل أغلب سكانه قبل هدم سور الهفوف حي النعائل، حيث أغلب سكانه من عائلة الملحم، فهم ينتسبون إلى قبيلة مطير كما سيرد ذلك في المطلب التالي، أما حي الرفعة الوسطى، فإن الباحث يلاحظ أن تركيبته السكانية يغلب عليها أفراد قبيلة عنزة، فمن الفداغم: آل أبي خميس، وآل موسى، وآل حجي، وآل أبي حمود، ومن آل بن فارس: الأمير، والتحو، والدهام، والشواف، والهاجري، ومن الدهامشة آل حسن بن براهيم، كما أن لآل بحراني حضورا كثيفا وهم ينتسبون إلى بني عبدالقيس، أما قبيلة قحطان فلهم حضورا مكثفا يتمثل في كثرة سكان الحي من عائلة أبوحليقة، والقطان، وممن لهم حضورا كثيفا أيضا وينتسبون إلى بني وداعة (الدواسر): أبو خمسين، والخرس، وآل بوحمد، ومن قبيلة سبيع أيضا هناك تركزا قبليا ممثلا في كثرة أفراد عائلة البقشي، كما أن الرمضان وفرعهم السبتي ينتسبون إلى بني خزاعة، هذا على سبيل المثال ومن أراد التوسع يمكن الرجوع إلى مدونات العلامة في أنساب وتواريخ المدينة الشيخ جواد بن حسين الرمضان.

المطلب الثالث

الطابع المذهبي كعامل في تكوين بعض أحياء مدينة الهفوف.

للاتناء المذهبي أثر واضح في تكوين التجمعات السكنية داخل الأحياء، هذا إذا تم تخصيص الكلام عن الأحياء الرئيسية الثلاثة في الهفوف وهي: الكوت، والرفعة، والنعائل، حيث امتزجت تلك الأحياء بين شيعة وسنة، أما الأحياء المستجدة خارج أسوار الأحساء آنذاك قبل هدمه عام ١٣٧٧هـ وهي كل من: الصالحية، والرقيقة من

السنة، كما أن حي الفاضلية الناشئ في فترة قيام هذين الحيين كان من الشيعة فقط، وسيتم التوسع في عرض مفهوم المذهبية في ثقافة أهل الهفوف لاحقاً؛ لما له بعداً ايجابياً في سلوكهم، وذلك في الفصل السادس من هذه الدراسة.

ولمزيد من الامعان في أثر الطابع المذهبي على تكوين بعض أحياء مدينة الهفوف، يلاحظ أن الانتماء المذهبي يؤثر في تكوين الأغلبية السكانية فيه لاتجاه معين، فعلى سبيل المثال فريج المطاوعة، المرابدة، والروضة، في الكوت يسكنها العديد من البيوت العلمية السنية في حي الكوت، منهم: العمير، والعبداللطيف، والملا، والعثمان، والحكيم، والديري، والعدساني، والدرويش⁽¹⁾ ويعود سبب تركزها بهذا الشكل في الكوت؛ لاعتبارات عدة منها: مركزية الكوت الإدارية في الهفوف، ولأن البعض منهم جاء وفق دعوة من حكام البلاد، فعلى سبيل المثال «الجعفري» أصلهم من المدينة المنورة، وقد دعاهم إلى الأحساء «الجبريون» في حياة الشيخ نصر الله الجعفري الطيار تمهيداً لإسناد إمامة جامع الجبري إليه سنة ٧٩٥هـ. وكذلك عائلة الملا حيث يرجعون إلى الحريث في عصر الملالي ومنازلهم في أجا وسلمى، وقد رحلوا إلى العراق والشام واستقر الجد الذي ينتمي له أسرة الملا في الشام، غير أن الوالي العثماني على الأحساء محمد باشا فروخ بعد صمودهم أمام البرتغاليين، لا حظ فراغاً علمياً مما دعاه استقدام الشيخ علي بن حسين الحريثي الملقب بالواعظ، ودعاه إلى تأسيس مدارس ومساجد وأوقفوها على الشيخ وذريته، كما أورد ذلك الشيخ عبد الرحمن الملا في كتابه «تاريخ هجر»، ومن الجدير بالذكر أن هذه الأحياء الثلاثة التي تضم هذه العوائل العلمية كانت داخل سور الكوت الذي يضم قصر الحكم، وكان وضع السور أكثر إحكاماً من السور الذي يطوق مدينة الهفوف بكاملها، فكان يدعى بـ «اللوحة»، ويبلغ عرضه ١٠ أذرع، أما السور الآخر فكان متواضعا نسبة إلى «اللوحة».

(١) - مقابلة مع الشيخ جواد بن حسين الرمضان.

هذا ولا يقتصر سكنى الكوت على العوائل العلمية السنية فقط بل كان هنا فريج النجاجير على سبيل المثال وجميعهم من الشيعة^(١).

ولتركز الحالة الدينية في الحي المذكور بسبب كثرة بيوت علماء السنة، يوجد في الحي المذكور ثمانية وعشرون مسجداً، بينهما أربعة جوامع تؤدي فيها صلاة الجمعة بالإضافة إلى ثمان مدارس للوعظ والإرشاد، وتدرس العلوم الدينية، وعلوم اللغة العربية، وعدداً من المدارس الحكومية للجنسين^(٢). ومن أبرز تلك المساجد وأقدمها مسجد الجبري، ومسجد الدبس، ومن المدارس العلمية فيه والأربطة، مدرسة القبة، ورباط آل الملا، ومدرسة الشلهوبية، والمدرسة العمرية، والمدرسة الجديدة، ومدرسة آل عبداللطيف، ومدرسة العثمان. كما أنها في الوقت ذاته تشتمل على عدة مرافق دينية شيعية منها مسجدين أحدهما للشيخ أحمد بوعلي، وآخر يدعى بمسجد الصحاف، ومن الحسينيات حسب أقدميتها حسينية الحرز، وحسينية العمران، وحسينية البن بدو، وحسينية الخواجة، وحسينية الحيدرية، وحسينية خلف حميد، وحسينية الحويجي^(٣). في محلة الفوارس بحي الرفعة الوسطى أغلب العوائل فيها شيعة، ومن تلك العوائل: الرمضان، والبحراني، والعامر، والبن الشيخ، والبوخمسين،، البوحليقة، والهاجري، والشواف، والتحو، والدهام، والمسلم، والعلوان، واليوكنان، وفي آخر محلة الفوارس المتاخمة لفريج الرقيات يسكنها: الدهنين، والشهاب، والقضيب، وغيرهم.

ويتركز في هذا الحي حالة دينية لأفراد المذهب الشيعي، حيث لهم فيه العديد من المساجد منها مسجد آل بوخمسين، ومسجد فارس الشواف، ومسجد الرقيات، ومسجد الحدادين، ومسجد الشيخ عبد الوهاب الغريري، ومسجد الشيخ أحمد الطويل،

(١) - مقابلة مع الشيخ جواد بن حسين الرمضان.

(٢) عبد الرحمان الملا، تأريخ هجر، مصدر سابق مجلد ١، ص ٢٠٩.

(٣) مقابلة مع الشيخ جواد بن حسين الرمضان و محمد بن حسين القطان و الاستاذ محمد بن عبد الله الغزال.

كما لهم حوزة دينية لدراسة العلوم الشرعية واللغة العربية، والعديد من العلوم العقلية كالمنطق، والفلسفة، وقد تعاقب على التدريس فيها العديد من العلماء لعدة أجيال، هذا بالإضافة إلى العديد من بيوت العلماء الساكنين في هذا الحي من عائلة الخرس، والبوعلي، والشواف، وعددا من المدارس الحكومية للجنسين، كما لهم بها العديد من الحسينيات تقدم خدماتها الاجتماعية كأرضية مشتركة بينهم وبين أبناء المدينة في العديد من مناسباتها الخاصة والعامة، فرحا وحزنا، منها في الرفعة الوسطى: حسينية آل بوخمسين، وحسينية العامر، وحسينية البحراني، وحسينية أبوحليقة، وحسينية الشواف، وحسينية البن الشيخ، وحسينية الهلال، وحسينية الغزال، وحسينية الحدادين، وحسينية القطان، وحسينية العباسية الكبيرة، وأخرى تدعى بالصغيرة، وحسينية الغواص، وحسينية سادة المسلم، وحسينية العيسى، وحسينية الجبران، وفي الرفعة الشمالية: حسينية البن قرين، والحسينية الكبيرة، وحسينية السماعيل، وحسينية النجار، وحسينية محمد العلي، وفي الرفعة الجنوبية حسينية الحمادة، وحسينية الحذب، وحسينية العوض⁽¹⁾.

كما أنها في الوقت ذاته أيضا تشتمل على عدة مرافق دينية للمذهب السني حيث لهم عدة مساجد من أبرزها مسجد آل مبارك، ومدارس علمية منها مدرسة الشهارنة، ومدرسة الشريفة، ومدرسة في السويج آل عمير.

وحي النعائل هو الآخر شهد تركزا كبيرا لعوائل سنية وبين ظهرانيهم العديد من المراكز الدينية لهم من مساجد ومدارس علمية من أبرز المساجد فيها مسجد الأمير فيصل، ومدرسة آل النعيم، ومدرسة آل العمير، ومدرسة النعائل آل المبارك، وعددا من المدارس الحكومية للجنسين، وفي الوقت ذاته فيها مسجد للشيعة في

(1) مقابلة مع الشيخ جواد بن حسين الرمضان ومحمد بن حسين القطان والاساتذ محمد بن عبد الله الغزال وصالح بن حسن العمر.

شارع الماجد، و حسينية الحمد، وحسينية البوخضر، وجميع المدارس المذكورة في كل من الأحياء الثلاثة سيتم التوسع في الحديث عنها من حيث الموقع، والعلماء، والطلاب في الفصل السادس من هذه الدراسة.

كذلك محلة الصاغة في حي الرفعة الوسطى، أغلبهم شيعة، عدا عائلة العزاز، والمخايطة، والتسمية واضحة بأنها تعود إلى ترك مهن الصياغة فيها، حيث يسكنها العديد من الصاغة، وبيوتهم قريبة من محلاتهم، إن لم يكن في أصله جزء اقتطعه من منزله وحوله إلى مشغل للصياغة، وعرض منتجاتهم من الحلي، ومحلاتهم تلك تقع على ضفاف زقاق ضيق يخترق المحلة من الشمال إلى الجنوب، وتدعى بسكة «العليا»، وهي تبدأ من براحة سوق الدهن مدخل فريج الصاغة، وحتى براحة العمدة عبدالله بن عزاز، ويتفرع من هذه السكة «سكة سيفان»، و من عوائل هذا الحي: البقشي، والخرس، والوايل، والمسلم، والباذر، والبوجبارة، والدين، والعبد الباقي، والحواج،... وغيرهم.

كما أن هناك محلة الحياك في الرفعة الجنوبية، وجميع سكانها من الشيعة منهم، المزيدين، البوعيسى، الحمادة، الحذب، الجبر، المعيوف، العوض، الجدي، الرصاصي.

أما محلة الحياك الغربي، الكائنة في جنوب حي النعائل، فهي تتشاطر مع محلة الحياك في الرفعة الجنوبية مهنة الحياكة، وعليه أحيانا يصفها البعض بالحياك «الجبلي» ولا يفصل بينهما غير شارع يخترق الهفوف من الجنوب إلى الشمال، ويسكن هذا الحي خليطٌ من السنة والشيعة، غير أن مهنة الحياكة مقتصرة على الشيعة فقط، ومن تلك العوائل البوحسن، والناصر، والحمد، والمسلم، والخميس، والسبحان، والبراهيم، والمعيلي، والوحيد، والبوخضر.

ومن التجمعات السكانية التي يغلب عليها الطابع المذهبي بأغلبيته فريج الملحمة في النعائل وأخذ أسم هذا الفريج من أسم عائلة الملحمة، فهم يشكلون بعددهم الكثيف في هذا الفريج الأغلبية من عدد سكان حي النعائل؛ لكثرة بيوتهم، وذلك يعود لأسبقية استقرار جدهم الأكبر ملحمة المطيري فيه منذ عام ١١٥٠هـ حيث لم يكن عامراً قبل هذا التاريخ، كما استقر معهم في السنوات الأولى من تأسيس الحي الشيخ عبدالله بن عبداللطيف النعيم جد أسرة النعيم، وتزوج من إحدى بنات الملحمة، وبعد هذا تتابع الناس في سكنى هذا الحي، وبهذا يكون نواة تكوين هذا الحي يعود لآل ملحمة، بحسب الإفادة المقدمة من الشيخ صالح بن عبدالرحمن النعيم للشيخ عبدالرحمن الملا مؤلف كتاب تاريخ هجر^(١). ومدخل هذا الفريج من جهة «عين عطية» البالعة للمياه، القريبة من المدرسة الأميرية الشهيرة بموقعها، ومن الملاحظ أن الداخل هذا الفريج يمر من خلال قوس كما يوجد براحة بجوار المدرسة المذكورة تدعى بـ «أم الخبيصي»، ومن يعبر هذا الفريج متجهاً نحو الجنوب من النعائل يصل إلى فريج البوخضر، وأغلبهم أيضاً من الشيعة، ويعتبر هذا الطريق المؤدي لفريج البوخضر لمن أراد الوصول إليه من غير سوق السويج^(٢).

(١) تاريخ هجر مقابلة مع الاستاذ علي بن جواد الخرس.

(٢) - مقابلة مع الشيخ جواد بن حسين الرمضان.

المبحث الثاني

مفردات البيئة المنزلية لسكان مدينة الهفوف

«المساكن، ومصادر المياه، والتكييف، والمستودعات»

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: كيفية حصولهم على مياه الشرب.

المطلب الثاني: طريقتهم في تبريد الماء والفواكه والألبان في فصل الصيف.

المطلب الثالث: طريقتهم في تخزين موادهم الغذائية.

المطلب الرابع: تصميم المساكن وتعدد مسمياته حسب موقعها في داخل البيت.

المطلب الخامس: مكونات أثاثهم المنزلي.

المطلب السادس: مكونات المطبخ.

المطلب السابع: أدوات الإنارة.

المطلب الثامن: طريقة تكييف مرافقهم المنزلية في أيام الصيف.

المطلب التاسع: تصميم دورات المياه.

المطلب العاشر: حظائر الحيوانات.

المطلب الحادي عشر: الملابس.

المطلب الثاني عشر: طريقة ومواد تنظيف الملابس.

المطلب الأول

كيفية حصولهم على مياه الشرب

يتوسط بيوت سكان مدينة الهفوف عيون ماء للشرب، يأخذ السكان منها حاجتهم عن طريق الدلو، إذ عادة ما تتوسط العين مجموعة بيوت تلتقي زواياها في جانب العين، وعادة ما يبلغ عمق البئر أربع قامات، وتطوى جدرانها بالجص الخكري، مع أخذ احتياطات نزول أحدهم عند الحاجة، وذلك بعمل تجاويف في جدار العين من الجانبين؛ لتساعده على تسلق الجدار، أما أعلى البئر فيبنى بطريق تعطى جميع المساهمين فيه فرصة الاستفادة من منافعه، فتجد كل واحد منهم قد حجز نظر كل منهم عن الآخر ببناء، وقد وضع كل صاحب بيت صخرة «فرش» على الزاوية التي تخصه ليضع الدلو عليها، غير أن أصوات احتكاك الدلو في العين وخرير الماء المتدفق منه عند سحبه مليئاً بالماء أمر مألوف بينهم، وكذا التنبيه بعدم سحب الماء منه عند سقوط بعض الحيوانات كالقطط، أو الدجاج حتى يأتي من يخرج الميته، بعدها على كل بيت أن ينضح عدد من الدلاء لتطهير العين شرعاً.

وبعد اكتشاف النفط انتهت فاعلية الأعيان، وتلاشت معاناة جلب الماء بالدلو، بدخول شبكات المياه إلى المنازل، حيث تم تمديد الأنابيب في البيوت في الدور الأرضي فقط وفي مكانين اثنين لا ثالث لهما إلا ما قلّ وندر واحد منها، كخلاء لقضاء الحاجة، إلى جنب الأعيان؛ لملاءمة ذلك من حيث المكان قديماً، وأخر عند أقرب مكان جنب موقد الطبخ، ولم تنته تلك الألفة المعهودة فيما بينهم على مصادر المياه بعد إدخال الشبكة، بل تجددت من خلال عفوية الطلب باستخدام مصادر الطرف الآخر؛ لقوة تدفقه، أو لحرارة سخانة الماء عنده على سبيل المثال.

أما في عهد الطفرة الاقتصادية فقد كان لمستوى دخل الفرد أثر على نوع، ومستوى وحدته السكنية، ومن مظاهرها في مساكن مدينة الهفوف وفرة المياه عبر شبكات توزيع المياه، ومما يميز هذه الفترة بعد تجديد أماكن السكن للبعض، هو زيادة عدد نقاط استخدام المياه، فبعد أن كانت في بيوت الطين لا تزيد في البيوت الصغيرة عن نقطتين أو ثلاث، وفي البيوت الكبيرة أربع أو خمس، يلاحظ أنها في المساكن الجديدة زادت بشكل مضاعف، لزيادة عدد دورات المياه من جانب، فبعد أن كان لا يزيد عددها عن دورة مياه واحدة، ومسبح، صار في البيت الواحد ما لا يقل عن أربع دورات مياه، ومن جانب آخر كثرتها في نفس الوحدة، وعليه أصبح في الوحدات السكنية الصغيرة والمتوسطة ما لا يقل عن ١٢ نقطة تقريبا.

المطلب الثاني

طريقتهم في تبريد الماء والفواكه والألبان في فصل الصيف

حيث لا توجد ثلاجات كهربائية لتبريد الماء والفواكه والألبان إلى حين تناولها، كان سكان مدينة الهفوف يبردون الماء، بوضعه في قله خزفية تسمى عندهم «مصخنة»، وعادة ما توضع هذه القلال على كرسي من الخشب، ونظرا لنداوة المكان، فإنه يتكون تحت كرسي المصاخن رطوبة، يستفاد منها في تبريد الفاكهة والتي لا تتعدى آنذاك الرطب، والتين، والخوخ، والجح، والبطيخ، والطروح، كما يوضع إلى جوارها دبة اللبن، أو السقاء بعد خضه على «السباج»، وتجهيزه للشرب أو اللبن الزبادي «الروب»، وعادة ما يكثف هذا الجو الرطب باستخدام الخياش حيث تبلل بالماء على الدوام وتغطي بها الفاكهة، وتطور الحال إلى الأفضل بعد وفرة الثلج الذي كان يشتري من البقالات الكائنة في الحي، فكان من الطبيعي أن يكون أفضل مكان له تحت كرسي المصخنة؛ للتبريد أيضا، ويغطي كغيره بالخيشة حتى لا يذوب، أما إناء الشرب فقد

يكون من المعدن «طاسة»، أو من الخزف، هذا إذا كان الماء يسكب من المصخنة مباشرة، أما إذا تم تبريد الماء في «الجب»، فيغرف منه بواسطة «الطاسة»، أو كاس معدن، وقبل ذلك كان يستخدم من الفخار.

لم تقتصر لمسات التقنية بعد اكتشاف النفط على دخول الماء فقط، بل تلاه دخول الكهرباء إلى المنازل، وهذا بعد ذاته أدخل لمسات ترفيهية لم تكن معروفة، ولعل أهمها الثلجات الكهربائية، وكان قبل ذلك يوجد لدى المترفين القلائل ثلاجات تعمل بالكيروسين، حيث يسخن غاز الفريون عبر الأنابيب ويحدث التبريد، وقبل وسيلتي التبريد بالكهرباء والكيروسين كان تبريد الماء من خلال المصاخن «القلال»، وعلى الرغم من حداثة وسهولة هاتين الوسيلتين، إلا أن درجة الاستجابة لم تكن كبيرة؛ مراعاة للناحية الصحية، وتجنباً لحالات البرد، وأخرى لكون طعم الماء من المصخنة ألد وأشهى من قارورة البلاستيك، أو الزجاج عند الكثيرين، وعليه فقد ظلت مصاخن الماء إلى جنب الثلجة، و الجح، والبطيخ أيضاً ظل يبرد بلفه في خياش تحت كرسي المصاخن، ولكن هذه الظاهرة بدأت تتبدد شيئاً فشيئاً، حتى حلت محلها الأجهزة الكهربائية بشكل كامل.

المطلب الثالث

طريقتهم في تخزين موادهم الغذائية

قبيل اكتشاف النفط كان هناك عدد من المستودعات «المخازن» التي تحفظ فيها الأمتعة والمواد الغذائية وهي كما يلي:

١- مستودع للحبوب، والرز، والسمن، وآخر يحفظ فيه السمك المجفف «الحساس»، و«المشلق»، والريبيان.

٢- مستودع للتمر وكان يدعى بالكندوج، وآخر يدعى بـ «الجلسة»؛ لأنه معمول من مادة الجص على هيئة غرفة صغيرة مقسمة من الداخل بحواجز قصيرة، يوضع في كل جزء منها نوع من التمر مثل الخلاص، والرزيز، والشيشي، وفي واجهة الجلسة يوجد أربع فتحات سعة الواحدة منها ٦٠ في ٨٠ سم وفي أسفل الواجهة من الخارج حوض صغير مبلط ومحكم الغطاء، يتجمع فيه عسل التمر «الدبس»، من أثر تكس التمر على بعضه البعض، وذلك من خلال فتحات صغيرة، ويحفظ في المستودع المذكور ما لا يقل عن ١٥٠٠ كجم من أنواع التمر^(١)، لأنها تعتبر مصدرا غذائيا هاما في حياتهم، وكذلك ليعينهم على تأمين غذائهم في حالات الحصار، هذا بالإضافة إلى مخازن للحبوب، والسمن، والأرز الوارد ذكره سابقا.

أما بعد اكتشاف النفط فقد ظلت مستودعات الأكل كما هي، إذ لا علاقة للتقنية بها، ولكن كمية التخزين قلت ليسر توفره في الأسواق، كما أن كثرة تناول الودمة «الحساس- المشلق» بدأت تتلاشى، وذلك ليسر المالي، فصار تناول اللحوم سواء منها: الحيواني، أو الطائر أكثر يسرا، هذا فضلا عن إمكانية أكل السمك غير المجفف، والفضل بعد الله يعود لنشأة شركات صناعة الثلج على أثر دخول الكهرباء، وإمكانية نقله من الساحل إلى داخل المدينة دون أن يتلف، أما «كندوج» التمر و«الجلسة» فقد ظلتا على حالتهما، لأهمية التمر بالنسبة لهم، إذ تكاد أن لا تخلو وجبة منه خصوصا في وجبة الغداء.

وقد ترتب على زيادة دخول الأفراد في عهد الطفرة الاقتصادية، وفرة المواد الغذائية في الأسواق، مما أدى إلى عدم الحاجة للتخزين من أجل تأمين الأكل لفترة طويلة، وإن كان هناك تخزين إنما من أجل اليسر، والسهولة في تناول، بدلا من الذهاب إلى مراكز البيع بالجملة أو التجزئة في كل حين.

أما التمر فلا يزال يحتل مكانته من حيث التخزين، ويصل الحد إلى التسابق

(١) - عبد الرحمن الملا، تاريخ هجر، مصدر سابق، ص ٢١٢.

بحجزه من أصحاب المزارع أنفسهم قبل ميعاد الصرام خاصة منه التمر المجلوب من الحيازات الزراعية الواقعة في القرى الشمالية كقرية المطير في على سبيل المثال، ضمنا منهم لاقتناء الأفضل، وربما للتفاخر ولو من باب المزاح، فهو لا يزال لدى سكان مدينة الهفوف ملازما للقهوة العربية عند إكرام الضيوف، وعلى وجبة الغداء كذلك، وفي هذا العهد اختلفت طريقة التخزين عن السابق، فبدلا من الجندوز أو الجصة، صار يخزن في الصناديق المعدنية، إما نثرا أو في أكياس بواقع ٥ كجم في الواحدة أو أقل حسب الرغبة، ويودع الصندوق في مكان دافئ، حيث يتم اختيار أحد غرف المنازل الدافئة، ويوضع عليه ثقلا إسمنتيا كفيلا بضغط التمر إلى حد خروج شئ من دبسه؛ لضمان جودته عند الأكل، إذ الأجود هو التمر الذي يكون مكسوا بدبسه عند الأكل.

المطلب الرابع

تصميم المساكن وتعدد مسمياته حسب موقعها في داخل البيت

هناك أسماء متعددة لكل عنصر سكني في البيت حسب موقعه، فهناك ما يسمى بـ «الحوي» وهو فناء البيت، تكتنفه عدة غرف، والغرفة المباشرة إلى الفناء تسمى «ليوان»، أما إذا كان في داخلها غرفة أخرى سميت «دار»، وإذا كان في داخل «الدار» غرفة صغيرة سميت «مخيشة»، وعندما تكون الغرفة كبيرة سميت بـ «الليوان الداخلي»، وأخذت الغرفة الأولى اسم «الليوان الطالعي»، كما يطلق أيضا على الغرف الكبيرة اسم المربعة إذا كانت أضلاعها متساوية بشكل تقريبي، أما إذا كانت الغرفة يصعد لها بدرج فتسمى «كندية» أما أسقف المنازل فبعضها مبني بخشب «الكندل»، والبعض بجذوع وسعف النخيل، وقد لا يتردد بعض ميسوري الحال من استخدام المواد المستهلكة والقديمة من استخدامها في سقف المنازل، فوق الجذوع مثل: الحصر القديمة، والمدة المهترية.

كان لأسباب أمنية أملت ظروف الحياة في الأحساء القديمة من جهة، و للحالة الاقتصادية بشكل عام من جهة أخرى، أثر كبير في تصميم المساكن، والطرق، حيث من الأهمية بمكان أن تظل عدد المساكن، محدودة وكافية لعدد السكان بشكل يسهل السيطرة على وضعها الأمني بالحراسة، و التسوير، كما دلت على ذلك خرائط المؤرخين عن الهفوف، حيث يشيرون إلى وجود سور حول الكوت يدعى بـ «اللوحة»، وسور متواضع نسبة إلى «اللوحة» حول أحيائها المتمثلة في الرفعة، والنعائل، كما مر سابقا، وهذا مما لا شك في أنه أثر على عدد المساكن في البيت الواحد، حيث تجد الغرفة، أو الغرفتين يسكنها جل أفراد الأسرة يجلسون فيها، ويأكلون، ويستضيفون، أما استخدامها للنوم عند القيلولة «الظهر» أو في أيام البرد فهو أمر طبيعي، حيث يكتفى بفرش المراقد عند النوم، وتطوى بعده، لتوضع في مكان مخصص لها، إما في الليوان الخارجي، أو في إحدى زواياها، وعندما يقال بيت فإن البيوت آنذاك تتفاوت في كبر مساحتها ما بين ٦٠٠ ذراع و ١٥٠ ذراع تقريبا^(١)، بما فيها المطبخ الذي لا تعدو مساحته أكثر من أربعة أو ستة أذرع، ودورات المياه على كل حال هي دورة مياه واحدة فقط إما في حوش الماشية المسمى عندهم بـ «السمادة»، أو إلى جانب الطريق المؤدي إلى خارج البيت ومساحته تساوي مساحة المطبخ أو أقل.

وفي ظل هذا الضيق، و النقص في عدد المساكن، كانت الكثير من الحاجات مكبوتة، ومعطلة داخل الخواطر، والنفوس، غير أنه صار لها متنفسا فيما بعد، عند تحسن الأحوال الاقتصادية، وذلك بالبحث عن مساكن أوسع، خاصة منها تلك المنازل التي انتقل منها ساكنيها إلى الأحياء الجديدة في الفاضلية، و الثلثية، والمزروعية، و الصالحية،.... إلخ.

أما في عهد الطفرة الاقتصادية، و مع تطور الوحدات السكنية، تلاشت مسميات

(١) هذا في أغلب المنازل عدا بعض بيوت الميسورين مالياً.

مساكن «أيام أول»، وحلت محلها الأسماء الجديدة، ف«الحوي»، الذي كان مفتوحا إلى عنان السماء كمتنفس للهواء الطلق، تطل من خلاله أشعة الشمس منقبة أجواء البيت بإحدى أسير الوسائل الطبيعية، حلت محله «الصالة»، وهي لا تعدو أنها غرفة من غرف البيت من سقف، ونوافذ، ولا يميزها غير كثرة الجلوس فيها، ومكان تجمع العائلة فقط، أما مسميات «الدار، والمربعة، والليوان، والكندية» فقد انتهت تماما و سد محلها مسمى «حجرة»، أو «غرفة» دون مراعاة موقعها من حيث المكان، بعد أن كان لكل موقع مسمى خاص بها، أما أرضيات الغرف المغطاة بالمداد، أو الحصر، فقد غطيت ب«الموكيت»، ومن فوقها أحيانا يوضع السجاد، بحيث لا ترى لأرضية الغرفة لا اسم ولا رسم، كل مكان مفروش عدا دورات المياه، والمدخل، والتهويات، أما خزائن الملابس المسماة عندهم ب«السيسم»، و«الكبت»، فقد حلت محلها أطقم غرف النوم المصنوعة من خشب موحد الألوان والموديلات.

وفي خضم تحديث المساكن اختفى «الوجاغ» من المجالس، الذي يعد أحد أبرز رموز التراث العربي، ومعها اختفت أيضا دلال القهوة النحاسية، والمحماس، والمنفاخ «ولم يبق غير «المبخر»، و«المرش» للطيب، وذلك لعدم منافاتها مع متطلب الحفاظ على المجلس نظيفا من الدخان، وروائح الحطب المحروق، وما يترتب عليه من رماد، وما شابه، إذ من الممكن أن يعد «الجمر» داخل البيت، ويوضع بعد ذلك في «المبخر»، ولعل هذا التحول يعد من أبرز آثار المدنية على مفردات التراث العربي الأصيل.

المطلب الخامس

مكونات أثاثهم المنزلي

قبل عهد النفط، تتراوح تأثيث المنازل حسب الإمكانيات المادية، فالميسور كان يضع في غرفة نومه سرير، ويدعى عندهم ب«كرفاية» وإلى جوارها «صندوق منجم-

سيسم» دولاب لحفظ الملابس والعلطور، وكذلك النقود. والبعض منهم كان يمد فراشه على الأرض، وملابسه يضعها في «سحارة» صندوق خشبي كبير.

أما فرش المجالس فالميسور ماليا كان يضع مراتب، ومساند، وتكيات، من القطن، وأرضية المجلس مغطاة بالسجاد الإيراني، والأقل مستوى يضع مراتب، ومساند، وتكيات محشوة بليف النخيل، والأرضية مغطاة بـ«المدّة» حصير مصنوع من أعواد الأسل، والبعض الآخر يكتفي بـ«المدّة» دون أي مراتب أو مساند أو تكيات.

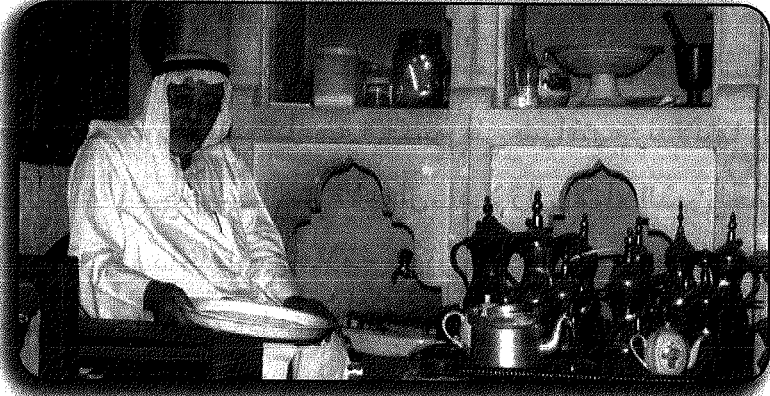
وكان من العناصر الرئيسة في المجالس «الوجاغ» المكان الذي تعمل فيه القهوة، حيث لا يخلو المكان من مجموعة دلال، عادة ما تُلَمَع عند الصفارين لتبدو زاهية للعيان، وبعض منها تظل قديمة، وإلى جوار الدلال «المنفاخ»، ويستخدم لإشعال النار، و«المحماس» لتقلية القهوة فيها، و«الهاون» وهو إناء نحاسي سميك يستخدم لدق الهيل والقهوة، وتطور الأمر إلى وضع مطاحن القهوة اليدوية، هذا بالإضافة إلى «المبخر»، و«المرش»؛ لرش ماء الورد، و«الإبريق»؛ للوضوء ولفسل اليدين قبل الأكل، وبعده.

أما بعد اكتشاف النفط فقد ترجم السكان رغباتهم الملحة في توسيع مساكنهم، حيث صارت الغرفة الواحدة التي يسكنها في الماضي أسرة بكاملها، تختص بفرد واحد أو اثنين، أما من حيث مسميات مرافق البيت فقد ظلت موروثا عائليا لم يتغير، حيث لازالت مسميات «الحوي، والليوان، والمربعة، والكندية، وسطح البارقة، والدهليز، والروشن... إلخ»، إذ لا داعي للتغيير فالبيت هو البيت، وكل ما طرأ عليه ربما لم يزد عن أعمال ترميم لها، فبدلا من أنها كانت مطوية بالطين المخلوطة بالتبين، طويت الجدران منها بالجص، وتطور الأمر في بعض منها بالصبغ، بالنورة المخلوطة بالألوان لاسيما الأزرق الفاتح منها، أما ما تم ترميمه بالطابوق والأسمنت، فصار من الطبيعي أن يصبغ بأنواع أكثر حداثة، أما أرضيات الغرف فقد فرشت بعضها

بالسجاد الإيراني منها وهو قليل وبعضها بالحصر والمداد، ثم دخلت أنواع جديدة حديثة تدعى بـ «المشمع» مصنوع من البلاستيك، وكانت بألوان زاهية، تعتبر بمثابة فتح في أنواع فرش الأرضيات آنذاك؛ لجماله، ورخص قيمته، وسهولة تنظيفه، أما عن صناديق حفظ الملابس فقد احتفظ كبار السن بالصندوق المنجم «السيسم»، وآخرين بالسحارة، ومن كانت له من الأبناء فرصة التغيير والتطوير فقد اشترى الدواليب المسماة آنذاك بـ «الكبتات»، وقد بان هذا الأثر بشكل واضح في السنوات الأخيرة من فترة ما بعد النفط.

بالنسبة لمكونات مجلس الضيافة لدى العائلة من: «دلال قهوة نحاسية، ووجاغ، ومرش، و أبريق، ومبخر» ضلت شامخة الحضور في ضيافتهم؛ لدلالاتها التراثية التي تعكس عمق الثقافة التي حملوها عبر الأجيال، إذ لا زال الآباء الذين لحقوا على تلك الفترة الانتقالية، وما داخلها من ملامح تغيير يتذكرون اهتمام كبار السن بإعداد القهوة، وحمس حب القهوة، وطحنها، وكذا الهيل لكل دلة قهوة يقوم بإعدادها في مجلسه، حيث الوجاغ في صدر المجلس إلى جانبه، كما لفت انتباه الضابط العراقي العثماني محمد طه الشيخلي لما زار الأحساء، وقد وجد الوجاغ في صدر مجالس الأحسائيين عن يمين صاحب المجلس، ومن يساره صباب القهوة فاستشهد بقول الشاعر:

لنا الصدر دون العالمين أو القبر



المحافظة على تراث الأحساء في معماره و ضيافته في الحيازات الزراعية أحد ثوابت ثقافة سكان مدينة الهفوف، فمنهم من حافظ عليه دون ادخال أي تعديل عليه، و آخر من أضاف إليه لمسات حديثة و الصورة تبرز جانب من المحافظة على التراث حتى في عهد الطفرة الاقتصادية عدسة استوديو الخليفة

المطلب السادس

مكونات المطبخ

قبل عهد النفط كان يسمى المطبخ بـ «الموقد»، حيث الطبخ بالحطب، وسعف النخيل، و جذوع النخل، وكربيه، هذا بالإضافة إلى «القصل»: أعواد فاكهة الرمان، والتوت، والتفاح، وكذلك حطب «الغضا»، وهو من أشد حطب الطبخ تحملا وقوة، ولتجهيز مكان النار عادة ما تعد حفرة النار من الفخار، عمقها لا يتجاوز ١٠ سم، لحفظ حرارة النار عن التسرب إلى داخل الأرض، وهو عمل الميسورين، بينما البعض يكتفي بالجزء السفلي من «المصخنة» إذا انكسرت فيضعها، محيطة بها بثلاث صخور مستقرة على الأرض، لوضع القدر عليها حال الطبخ. أما آنية المطبخ فلا تتعدى النحاس سواء منها: القدر، أو المغرفة «الملاس»، أو الصحون والصواني، وإذا زادت الأيام من شيخوخة تلك الأواني؛ لكثرة الاستخدام أخذت إلى أحد الصفارين لتجديدها بالشناذر «يربها»، وكانت تعتمد بعض ربات البيوت آنذاك لاستخدام الدلو المصنوع من الجلد بعد استهلاكه - بشكل لا يقبل الانتفاع به أكثر من ذلك - محفظة للبهارات وبعض الحبوب، والملح بعد أن تجعل كل واحد منها في كيس منفرد به.

ولعل أبرز مظاهر التغيير في حياتهم اليومية بعد اكتشاف النفط استبدال مواقد الطبخ بالوسائل الحديثة بدلا من الحطب، وجذوع النخيل، وكربها، وسعفها، فقد تم الاستعانة بـ«الدوافير»، التي تعمل بالكيروسين، والهواء المضغوط، بالإضافة إلى «الكولة»، وهو من وسائل الطبخ الحديثة، وهذا الإحلال كان جاريا في طبخهم اليومي، أما عند الولائم، والضيافات فلا محيص عن الطبخ بالحطب؛ لقوة ناره، وأثره المميز الزاكي على رائحة الأكل.

أما في عهد الطفرة الاقتصادية فقد أبعدت المطابخ الحديثة-في المساكن

الجديدة- كل ما من شأنه أن يعيق نظافتها بشكل سريع، ودائم، أو يعكر رائحة جو البيت من كيروسين «جاز»، لذا حلت الأفران التي تعمل بالغاز المضغوط، وبعض منها بالكهرباء، بدلا من الدوافير، أما «الكولة» فقد ظلت منافسا قويا عند الذين لازالوا يستمتعون بطبخ بعض الأنواع عليها ك «الهريسة» على سبيل المثال، أو من أراد أن ينضج الرز خصوصا «الكبسة» بنار هادئة.

المطلب السابع

أدوات الإنارة

إذا خيم الليل على تلك الدور المتراصة، ذات الدهاليز المتعددة، أحالها إلى ظلام دامس، ولتبيد ذلك الظلام ووحشته كانوا يعمدون إلى وسائل بدائية، ومن تلك الوسائل ما يلي:

١- «سراج بوسنارة»: وهي الوسيلة الأقدم استخداما ومن ثم صارت أقل مستويات الإنارة عندهم، وتصنع محليا من صفيح التلك، عن طريق الحدادين، حيث توضع فتيلة في إناء يصب فيه كيروسين، وتحكم فتحة الإناء بشيء من التمر، ويستزاد من الفتيلة بعد احتراق الجزء المشتعل عن طريق سحب ما هو في داخل الكيروسين.

٢- «سراج الفنر»: وهو من الصناعات الهندية، الذي كان أكثر تطورا من سراج بو سنارة، حيث يمتاز عنه بوجود زجاجة حول النار، وبوجود مكان في قاعدته للكيروسين، محكمة الإغلاق، بدون وضع التمر، كما أن به قضيب معكوف من جانبي السراج تكفي لحمله وتعليقه.

٣- «الأتريك»: ويعتبر في زمانه نقلة حضارية في مجال الإنارة، حيث يمتاز عن

سراج الفنر بقوة إنارته وجماله، فهو لا يستخدم فيه الكيروسين فقط، بل يشحن معه هواء، يدفع بواسطة قضيب معدني لعدة مرات، وقد استعويض فيه بدلا من الفتيلة بقماش «الشيشة»، وإذا أشعلت بالطريقة الصحيحة أعطت هذه «الشيشة» وهجا قويا يكفي لإنارة فناء البيت وبعض دوره.

بعد هذا... من كان يصدق أن لمبة كهربائية تضيء الدار بضغطة مفتاح، لا قاز، ولا فتيلة، ولا دخان، مظاهر أشبه بالإعجاز أذهلت الجميع، وعلى أثرها اختفت وسائل الإنارة القديمة «سراج بوسنارة، وسراج الفنر، والتريك»، ولم يكن آنذاك توسع في الاستهلاك، إذ يكفي لإنارة الغرفة لمبة واحدة من ١٠٠، أو ٦٠ شمعة «وات»، أما عند خياطة البشوت في الليل فكانوا يشعلون لمبه ٢٠٠ شمعة «وات»، وفي الفترات الصباحية لا تستخدم الإنارة الكهربائية مادام في الإنارة الطبيعية كفاية.

أما في عهد الطفرة الاقتصادية فقد توسع سكان المدينة في استهلاك الكهرباء، حتى صار من أبرز ما يلفت النظر إليه في هذا العهد، وذلك وفقا لتقنيات المسكن الجديدة، وكثرة الغرف فيها، وجمال واجهاته، مقارنة بالمساكن القديمة، حتى لقد تحولت الإنارة ليست فقط من أجل الإنارة فقط، بل صارت وسيلة من وسائل التجميل، وعنصرا من عناصر ديكور المنازل خاصة في الواجهات، والأسوار.

المطلب الثامن

طريقة تكييف مرافقهم المنزلية في أيام الصيف

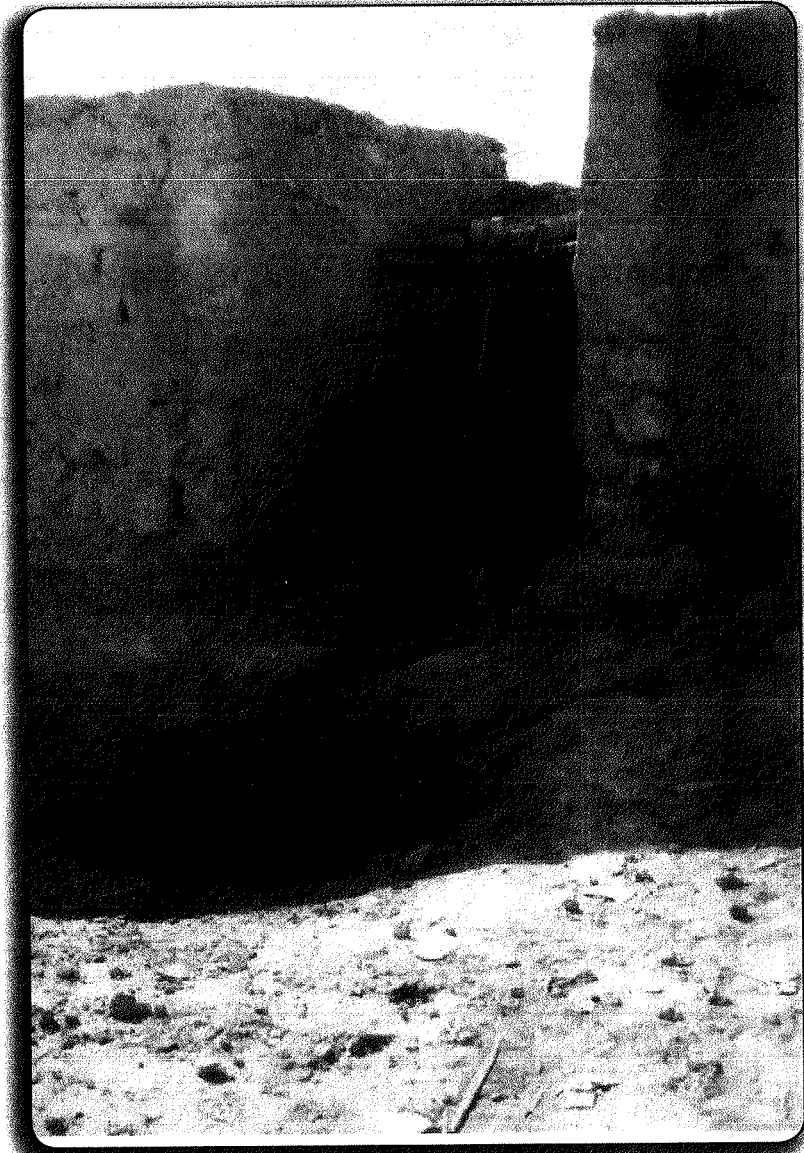
قبل اكتشاف النفط، كان أفراد سكان مدينة الهفوف في أيام الصيف، لا تكاد المروحة اليدوية المصنوعة من سعف النخل، وجريده تفارق أيدي من يرغب في تخفيف حرارة الطقس، أما في الظهيرة، عادة ما يلجأون إلى الدهاليز؛ لأنها مكتنفة

من كل جانب بالغرف المبنية بالطين، فتكون الحرارة فيها أقل، وربما اكتشف الواحد منهم من خلال سكنه في ذلك البيت مكانا يتميز ببرودة عن غيره؛ لكونه يمرر تيارات هوائية باردة، فلا يفرض فيه وقت الظهيرة، أما النوم ليلا، فلن يكون هناك بديل أحسن من سطوح المنازل، وبين البرادين» عند دخول الشتاء، وعند مغادرته» يستفيد سكان المنزل من «الحوي»؛ لأنه مكشوف إلى عنان السماء، فيستسلم لواقع لا يرى لحاله وضعاً أفضل من ذلك، لأن الطقس حار بشكل عام حتى لو التحف السماء.

إن دخول الكهرباء قلل من استخدام المراوح اليدوية المسماة عندهم بـ «المهفات» في حال الجمع، إلا عند الذين كانوا يرون لهواء الدهاليز المشبعة برطوبة الأرض المرشوشة بالماء متعة لا تجارى، فهذه الفئة لم تعتن بدخول الكهرباء، وما ترتب عليها من إمكانية استخدام المراوح السقفية، حيث أن هواءها حار، وناشف مقارنة بهواء الدهاليز، غير أن الوضع تغير بفعل دخول المكيفات الصحراوية التي وفرت بعضاً من مزايا هواء الدهاليز وناسبت الرغبات نظراً لليونة هوائها المشبع برذاذ الماء، ولكن هذه الرغبة غير محققة على الدوام خاصة في أيام الرطوبة.

أما في عهد الطفرة الاقتصادية، فلم يعد دخول الكهرباء حدثاً كبيراً في خواطر أبناء الحاضرة، إذ صار من إحدى بديهيات الحياة، فحالة الانبهار تلك قد زالت مع أبناء الجيل الجديد، وكذا المخضرم الذي عاش المرحلتين، وفي هذه الفترة «عهد الطفرة الاقتصادية»، باتوا يتحرون فرصة التمتع بالمقتنيات الحديثة كيفما كانت، وبأي سعر، خصوصاً إذا كان ذلك متعلقاً بتكييف الجو وتبريده، هروباً من حرارة أجواء الأحساء الملتهبة نهاراً، التي لا تدع للساكن فيها أيام الحر فرصة الغفلة عن التذمر منها كل حين، وربما تكون فاكهة المجالس التي عادة ما يفتتح بها مجالسهم عندما يكون الحديث غير موجه إلى أمر بعينه، فالحرارة قاسية فيها، وكثيراً ما يعززون أنفسهم بانتظار جني الرطب، كثمره من ثمار جوها المحرق. فمن أبرز آثار وجود

الكهرباء، ويسر الوضع المالي، توجهوا للتكييف في بداية عهد الطفرة، وتوسعوا في استخدام المكيفات الصحراوية، والقليل منهم استخدم مكيفات الفريون «الشباك»، مراعاة لمحدودية طاقة عداد الكهرباء الموصل إليه من شركة الكهرباء، خاصة في بداية عهد الطفرة، حيث زيادة عدد المساكن، دون وجود طاقة كافية لتلبية الاحتياجات تلك، لذا منيت المساكن عندئذ بقطع في التيار، يكاد أن يكون بشكل يومي، وفي فترة الظهيرة بالذات، لأن الجميع سوف يستخدم التكييف، فكان البعض يلجأ إلى النخيل، ومنهم إلى مغارة جبل القارة لمن أراد برودة أكثر، والآخر للاستحمام في عيون الماء الباردة مثل « الجوهريّة، والعظيمي، وفريحة، وبرابر، والخدود » فضلا عن برك النخيل الواقعة بالقرب من عين الخدود أو التي في القرى الشرقية مثل «الجبيل، والبطالية، والشهارين» لكونها أقرب القرى لمدينة الهفوف وتمتاز مياه هذه القرى وما حولها ببرودة الماء في فصل الصيف، بعكس القرى الشمالية حيث أنها تمتاز بالحرارة.



صورة أحد سكان المدينة يقوم بسحب دلاء ماء من أحد الأعيان ويظهر في الصورة أن بعض الأعيان ليست على صنف واحد بين المساكن، حيث أغلبها أن تتوسط بين مجموعة بيوت، بينما هذه العين تقع خارج المنزل.

(عدسة: عادل القضيبي)

المطلب التاسع

تصميم دورات المياه

الفرق بين دورات مياه «أيام أول» وحاليا كبيرة، فقبل عهد النفط لم يكن هناك غير الأحواش، حيث توضع في أحد الأماكن البعيدة عن النظارة سواء بارتفاع معين أو بجدار، والبعض منهم يضع باب صغير على المختلى، وكل ما هناك عبارة عن فتحة في أرضية بيت الخلاء، دعمت جوانبها بجذوع النخل من الجانبين، تحت رجلي المختلى، وعليه أن يأتي بالماء في إبريق قبل الدخول، وفي الليل لا بد من أخذ الإبريق مع «السراج» لإنارة الطريق والمختلى.

أما حمام السباحة، فهو منفصل عن المختلى، وتكون أرضيته مبنية من الأسمنت، وعادة ما يكون بجوار العين، أو «الجليب»؛ ليأخذ الواحد منهم حاجته من الماء والتي لا تتعدى دلوين، أو ثلاثة، وعادة ما يكون فيها كرسي صغير «تخت» للجلوس عليه، وإلى جواره المنظفات التي لا تزيد عن صابون الرقي، والليفة، والسدر، وقطعة من الفخار، أو حجرة سوداء خاصة لتنظيف الجسم، وخاصة الرجلين، تدعى بـ «مدعكة الحفة»، وإلى جوار المسبح حيز في بعض المنازل يستخدم لغسيل الأواني، وأحيانا يستخدم المسبح نفسه لنفس الغرض؛ وذلك لقربه من مصدر الماء، وماء الغسيل هذا يذهب إلى مجاري خاصة تدعى بـ «البالوعة»، والتي يشترك فيها أكثر من منزل.

المطلب العاشر

حظائر الحيوانات

قبل اكتشاف النفط يكاد لا يخلو بيت من حوش توجد به أبقار، وأغنام، وطيور، ودجاج فهي تشكل مصدراً كبيراً من غذائه، أو ربما يكون لديه حمار إذا كان فلاحاً أو

صاحب قاري يعمل به في مجال النقل، فجميع هذه تحتاج إلى مكان خاص بها، ومن لم يكن عنده «حوش» حظيرة حيوانات بشكل خاص كان يشترك مع أحد جيرانه.

وقد استمرت هذه الظاهرة بعد اكتشاف النفط، حيث لم تغادر «أحواش» الغنم، والبقر، والدجاج تلك البيوت، لاعتمادهم الكبير على منتجاتها الغذائية، بل مع وفرة وسائل التغذية بشكل أفضل زاد الاهتمام بها؛ لما في ذلك من زيادة في إنتاجها بشكل يغطي حاجته، وحاجة غيره، حتى لتجد عند الظهيرة في بعض سكك الحاضرة حركة، وجلبة، يهدون جيرانهم اللبن الرائب.

أما في عهد الطفرة الاقتصادية، تلاشت حظائر الحيوانات من البيوت البتة، واستعاض سكان المدينة بدلا منها بمنتجات الألبان الطبيعية من المزارع النموذجية، ومن كانت له عادة تربية الحيوانات كالأبقار والغنم، فقد أودعها في مزرعته، وصار يأخذ الحليب منها يوميا إلى البيت ليعده منه اللبن الزبادي، واللبن، والجبن الأبيض.

المطلب الحادي عشر

الملابس

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الملابس الرجالية.

قبل اكتشاف النفط كانت ملابسهم الرجالية لا تعدو الثوب، والغترة، والطاقيّة، والعباءة «البشت»، وبعض منهم يلبس العقال، خاصة للآباء الذين عاشوا في الفترة المتأخرة. وقد كانت ملابسهم فضفاضة واسعة، تأقلموا مع المناخ الحار الذي يسود في غالب أيام السنة، وكان إلى جوار الثياب تلبس بعض الملابس الخاصة، مثل «الزبون، والصاوية» وهي ملابس تلبس على الثوب، وتكون مفتوحة من الأمام، قابلة للشبك

بواسطة الأزرار، وعادة ما تلبس في المناسبات الخاصة بالأعياد، والأعراس، والزيارة الرسمية، أما بالنسبة للمشايخ وعلماء الدين فهي من اللباس الرسمي الملازم لهم، وهناك أيضا السديري وهو أكثر استخداما في الحياة العامة لآبائنا في الماضي.

ومن الملابس الكثيرة الاستعمال الإزار «الوزار»، وذلك كملايس داخلية تحت الثوب، وكملايس للعمل، بعد أن يرتدي على الجزء العلوي من جسمه «فانيله»، وكان كثير منهم يفضل هذا اللبس عند عمله في خياطة البشوت في منزله، أما في مجالس الخياطة فكانوا يرتدون الثياب فوق «الوزار»، وربما خلع الغترة، واكتفى بالطاقيّة على رأسه.

وتفصل الثياب الجديدة عادة لمناسبة الأعياد، وفي الغالب يكتفى باثنين فقط طول السنة إذا استخدم معه الملابس القديمة، وربما إذا ضاق الثوب وصار قصيرا فإن الامهات لا تستنكف من حفظه لأخيه الأصغر للبسه مادام ذلك ممكنا، أو إهدائه إلى الآخرين.

وأقمشة الثياب متعددة، فهناك: السواحل، والبفت، والبوال، والململ، والديسي.

أما أنواع الغتر فهناك ذات اللون الأبيض، وعادة ما تكون خفيفة السماكة، ونوع آخر يدعى بالشماغ، وله عدة ألوان: منها الأحمر، ومنها الأزرق ويخصص للمشايخ وعلماء الدين لمن أراد منهم لبس الغترة بدلا من العمامة، والشال الكشميري، والترمة، وهذين النوعين الأخيرين من الغتر يصنعان من الصوف ولونهما أبيض.

أما «البشوت» فهناك عدة أنواع، منها بشت الوبر، وبشت النجفي، وبشت البوشهر وغيرها، أما أحذيتهم فكانت في الغالب مصنوعة من الجلد، وأفضلها النعال «الزبيرية». والبعض يلبس نعال من ليف.

وبعد اكتشاف النفط، لم تتأثر الملابس الرجالية تأثرا كبيرا، إذ استمرت ملايسهم التقليدية من الثياب، والغتر، والشماغات، غير أن هناك إضافات جديدة على تفصيل

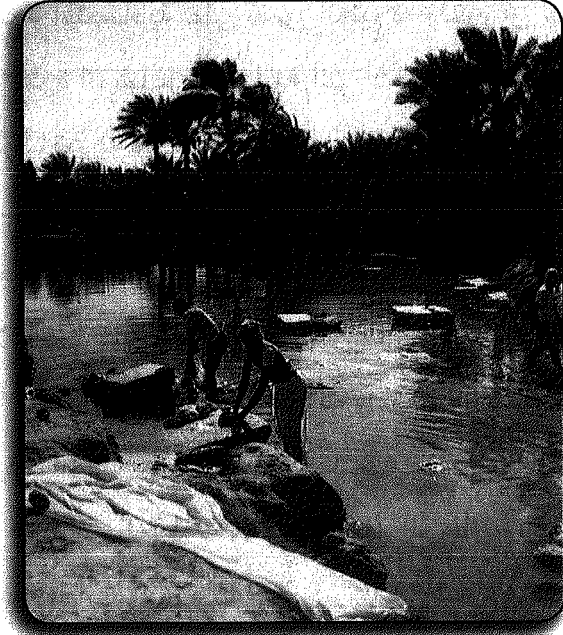
الثوب، فمن الأعلى عند الرقبة لم يكن هناك ما يسمى بالطوق في هذه الأيام «الكر» كما لم يكن هناك جيب ظاهر على صدر الثوب، وإنما مستتر في الداخل، وأزرار الثوب كانت من القماش، والكم أوسع بكثير، أما خبئات الثوب سواء في الكم أو الأسفل فقد كانت لا تتجاوز ٢ سم تقريبا، هذا وقد كان ملاحظا على الثوب ضيقه من أعلى نسبيا واتساعه بشكل واضح من الأسفل، أما الملابس الأخرى فقد اعتادوا لبس العقال بشكل أكثر من ذي قبل، كما دخلت بعض الأقمشة واختفت أخرى من الأسواق أو قل الطلب عليها، فثياب السواحل تبدلت بالكيصري، والبوغزاليين، أما «الوزار» فقد قل استعماله عدا عند المخايطة؛ لمناسبته لأوضاع جلساتهم الطويلة والمتنوعة حسب مرحلة خياطة البشت، من البروج، والهيلة، والمكسر.... إلخ.

وفي عهد الطفرة الاقتصادية استمرت ظاهرة لبس الملابس ذات اللمسات المطورة عن الثياب القديمة، غير أن مسألة كيهها، ونظافتها بشكل واضح، بات أمرا لا يمكن التنازل عنه البتة، وقد تطور وضع البعض إلى الرغبة في إرسال ملابسهم إلى المغاسل الحديثة إمعانا في كيهها بشكل أفضل، خصوصا الغتر منها.

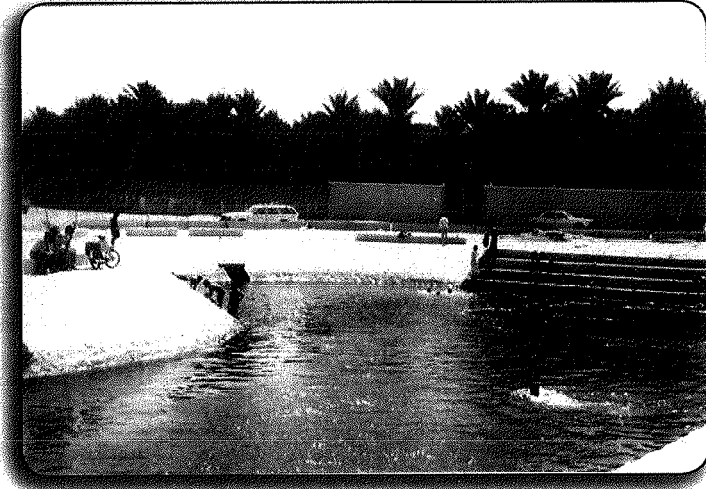
الفرع الثاني: الملابس النسائية.

بمقدار ما كان هناك محدودية في أنواع الملابس التي يختص بها الرجال لدى سكان الهفوف، كان هناك تنوع كبير لدى النساء وهذا يعكس طابع الميل الفطري لدى النساء بحب التجميل، والذي من أهم وسائله تنوع الملابس، من حيث الألوان، والأقمشة، والمقاسات، وقد استطرد في ذكرها الدكتور عبدالله بن ناصر السبيعي، بما يكفي في كتابه اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاجتماعية في المنطقة الشرقية المشار له آنفا، ومن أراد التوسع في هذا الجانب فليراجع، وما دام ميول النساء نحو الملابس ذو بعد فطري، فقد كان استمرار هذه الظاهرة بعد اكتشاف النفط،

وما بعدها من طفرة اقتصادية على نفس الوتيرة، ولكن إن كان هناك من جديد يستحق الذكر، هو كثرة المشاغل النسائية التي دخلت كذوق جديد، و أسلوب حياة، لم تكن مدينة الهفوف تعرفه من قبل، وزاد من حدة هذا التوجه الوهج الإعلامي الذي قامت به بعض وسائله من تلفاز، ومجلات أزياء، وكثرة المعروض منها في الأسواق النسائية، ومن الجدير بالذكر أن الغالبية العظمى من المصممين والخياطين من جنس الرجال خلافا لما كان عليه في السابق من الاكتفاء بدور نساء الحي، أو ما جاوره ليقمن بهذا الدور وكفى، إلا في حالات نادرة من مساهمات بعض أفراد من الجالية الباكستانية، أما في عهد الطفرة فقد اتسعت دائرة الدور الرجالي في هذا المضمار، وكثرت محلات الخياطة النسائية من الرجال وبشكل أكبر من الجالية الباكستانية المقيمة في الهفوف، وازداد تركيزها في شارع متفرع من شارع الماجد، وذلك بالقرب من بيت الحاج سلمان بن غنيم، غير أن في الوقت الراهن أصبح التوجه لفتح المشاغل النسائية كبيرا، وساعده على التوسع في هذا الجانب حاجة النساء إلى خدمات التجميل، وذلك بلحاظ ما لمجتمع الهفوف من سمة المحافظة على الحجاب الشرعي الإسلامي كباقي مدن حاضرة الأحساء، حتى لقد أصبح في أغلب الأحياء السكنية الجديدة عدة مشاغل نسائية تقوم بالدور نفسه لنساء الحي، وربما من خارجه وفقاً لجودة خدماته.



أنهار المياه في واحة الأحساء قبل اكتشاف النفط تعني الشيء الكثير لهم فهي لا تسقي
حيازاتهم الزراعية فقط، بل ينجزون فيها بعض حاجاتهم و منها غسل الملابس.



(عين الخدود) تقع في الجهة الشرقية من مدينة الهفوف وهي من العيون التي كان يتردد
عليها سكان المدينة، كما كانت مصدراً هاماً لسقي الحيازات الزراعية وفي الوقت الراهن
انخفض منسوب المياه فيها إلى حد انحساره، عدا بمضخات الرفع الآلية.

المطلب الثاني عشر

طريقة ومواد تنظيف الملابس

كان هناك مسحوق أشبه بالصابون، يستخرجونه من بعض النباتات البرية، منها ورق نبات الشنان البري، ويضيفون عليه أوراق نبات الريته، حيث كانت تعطي رغوة تساعد على التنظيف. وكانوا يلجئون إلى ضرب الثياب على دكة الغسيل أثناء التنظيف؛ إمعاناً في الحصول على أفضل نظافة ممكنة، وكان أغلب الغسيل لدى سكان مدينة الهفوف يتم في عين «أم خريسان، والحقل، والخدود، والبحيرية».

أما بعد اكتشاف النفط، فقد صار الغسيل في عين «أم خريسان، والحقل»، بالنسبة لسكان مدينة الهفوف أحداث سألفة يتعهدون لها لذكرياتها المضمخة بالعفوية والبساطة، والتي في نفس الوقت لم تخل قط من عناء وشقاء، فالماء قد توفر بشبكات المياه داخل البيوت، والغسيل اليدوي في الطشوت ومن بعدها الغسالات الكهربائية، وما صاحبها من استخدام مساحيق الصابون، وجميعها حلت محل الضرب بالثياب على دكة العين، والشناذر، وشيئاً فشيئاً دخل ذوق كي الثياب إلى مزاج الكثيرين، بعد أن كانت الثياب تلبس مكسرة، وقد بان في منتصف الثوب حز جبل الغسيل بشكل غير مستنكر، وطبيعي، لأن الغالب من أبناء بيئته يشاطره ذلك.

المبحث الثالث

العادات والتقاليد

« تقاليد مناسبة الزواج، تقاليد مناسبة العزاء، تقاليد مناسبات الضيافة، تقاليد الأسواق والشراء»

وفيه عدة مطالب هي:

المطلب الأول: تقاليد مناسبة الزواج.

المطلب الثاني: تقاليد مناسبة الأعياد.

المطلب الثالث: تقاليد مناسبة الوفيات.

المطلب الرابع: تقاليد الضيافة.

المطلب الخامس: تقاليد الأسواق والشراء.

المطلب الأول

تقاليد مناسبة الزواج

لحفلة الزواج أهمية كبيرة في عرف سكان مدينة الهفوف، لأنه يعطي فرصة كبيرة لتعميق معاني الألفة، والمحبة، والترابط، والتعاون بين أبناء المجتمع، وعادة ما تبدأ مراسيمه بخطبة العروسة، حيث تسعى لها رجال عائلة الزوج، والأصدقاء، المقربين لوالده وأخوته، إذا كانت الخطبة من خارج العائلة، وتسد مهمتها لأكثرهم علماً ووجاهة، ومن ثم لأكبرهم سناً، وإذا كان الخاطب من العلماء افتتح خطبته بآية

قرآنية، أو رواية عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحث على الزواج، بعدها يطلب يد العروسة من والدها، أو ممن يقوم مقامه من ولاية أو ما شابه، وعادة ما يكون الاختيار راجعا إلى رأي الأب والأم، وما على العريسين آنذاك غير الموافقة، وذلك يعود إلى صغر سن كل منهما حيث كان من المألوف أن يتم زواجهما وهما صغار فالبنات يبدأ سن زواجهن من التاسعة، والولد من الثانية والثالثة عشرة، وعادة ما يحتفي الأصدقاء بعريسهم في هذه المناسبة حيث يأخذونه إلى أحد عيون الماء مثل: «أم سبعة»، «و الجوهريّة، والمطيرفي، وأم خريسان، وأم الخيس» وذلك لتنظيفه وإشاعة جو من المرح والنكتة في أيام العرس، وكان البعض يفضل «عين أم الخيس»؛ لأنها تمتاز بغرفة مطلة على الماء المنبعث من العين، الأمر الذي يسمح للشباب منهم أن يمارس هواية القفز في الماء.

كانت تلك الفقرة الهامة من برامج الزفاف تدعى عندهم بـ «التغسولة»، وكانت أشبه بالرحلة، وقد أفاد أحد الذين عاصروا مناسبة التغسولة في صباهم، وهو⁽¹⁾ من مواليد عام ١٣٧١هـ بقوله:

«التغسولة» رحلة جميلة جدا، افتقدناها هذه الأيام، كانت من أمتع أيام الشباب التي كنا نعيشها في أيام الأعراس، فرحلة سباحة العريس وتناول وجبة غداء عرسه تتكون من ١٠ إلى ٢٠ قاري، وكل قاري يجره حمار، يتسع الواحد منها سبعة أفراد: ستة منهم في القاري، والسابع بجوار سائس الحمار، حيث تسير القواري في قافلة تتسابق فيما بينها في جو من الصراخ، والضحك، والمرح، والمدعوون في هذه الرحلة هم من أقرب أقرباء العريس، فالدعوة موجهة لهم بشكل شفهي، لتناول وجبة الغداء في أحد الحيازات الزراعية، وهذه الوجبة هي الوجبة الرئيسية في حفل الزواج، وعادة ما يكون الغداء مطبوخ على الكرب، والسعف في مكان تناوله المحدد، ومن لا يُوفق في

(١) مقابلة مع الاستاذ علي بن جواد الخرس.

أن يعقد غداء «التغسولة» في أحد النخيل، بإمكانه أن يقيمها بجوار أحد منابع العيون الشهيرة كأم سبعة، أو المطيرفي، أو الخدود، وأم الخيس وغيرها، وبعد وصولهم إلى مكان السباحة، وتناول وجبة الغداء يوزع على المدعويين الشنان، الذي حل محله فيما بعده الصابون؛ لتنظيف الملابس، كما يقدم معه دواء الحمام «النورة»؛ لإزالة الشعر، وبعد السباحة تعود القافلة مرة أخرى في مسيرة مرحة، بحيث يصلون بيت العريس قبل صلاة المغرب بوقت كاف، للاستمتاع بإنشاد الجلوات، وتكرار ذكر الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعادة ما يكون ذلك في حوي البيت، حيث يكون مجهز لهذه اللحظات الهامة في برنامج حفل الزواج. ولما دخلت المدينة، وأساليبها، تم استعاضة قافلة الحمير بباصات هيكلها الخارجي وكراسيها من الخشب، وهكذا بدأت تتلاشى فعاليات «التغسولة» لتقتصر على الأصدقاء المقربين للعريس، وذلك بالذهاب إلى أحد البرك في مزارع خاصة بدلا من الأعيان العامة، كما تغير موعد الوجبة الرئيسية من الغداء إلى العشاء»⁽¹⁾.

وفي ليلة الزواج بعد أكل الوجبة يستضيف بعض أبناء عمومة العريس، وأصدقاء العائلة حفلة العرس ومن حضر فيها من المدعويين، وذلك في منزله لمدة قصيرة، لا تتجاوز وقت شرب القهوة، وتناول المرطبات في مجالسهم، وهو من مظاهر الزواج التي دخلت مؤخرا، وعادة ما يبرز أصدقاء العريس وفاءهم له وذلك بترديد أناشيد الفرح «الجلوات» في ليلة الزواج وهي كثيرة جدا، وعادة ما تتضمن الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبعض منها شعرا غزليا لمناسبته التامة لليلة الزفاف، ومنها على سبيل المثال:

أبشروا بالمواهب آل فهـرر وغالب
شع في الناس فضلكم وعلا في المراتب

(1) -مقابلة مع الأستاذ علي بن جواد الخرس.

أفخروا بالقومنا بالثنا والرحائب
قد فخرتهم بأحمد زين كل الأطايب
فهو كالبدنوره طالع ليس غائب
قد ظل فرت خديجة بجليل المواهب
بفتى هاشم الذي مال من مناسب
جمع الله شملكم فهو رب المطالب
أحمد سيد السورى خير ماش وراكب
فعليه الصلاة ما سار عيس براكب

وجلوة أخرى:

صلى الإله وسلم على الحبيب المكرم
إن الصلاة عليهم تفرج الهم والغم
أحمد الهادي أميني وهو شفيعي مسلم
أودع طمعه علوم أسرارها له علم
حج وصوم صلاة بالمرتضى له أكرم

وجلوة أخرى عادة ما تقرأ والشبان يحوطونه وهو متوجه إلى بيت الزفاف:

ألف صلى الله على أحمد سيدي بدر التمام
وصلاتي وسلامي على المظلل بالغمام
زارني المحبوب ليلا يا خلي لي في المنام

فدنا منني وأبدا عن محييه الـثام
والذي أدهى فـؤادي فبرى منني العظام
قد بصرت الوجهه منها زاد شـوقي وغرامي
وجهها يشبه بدر أو كشمس في تمام

وبعضهم كان يدعو فرق العرضة الشعبية، وكانت قليلة جدا لدى سكان حي الرفعة الوسطى، والشمالية، ومألوفة لدى سكان الرفعة الجنوبية والنعائل، ويستمر الزواج قديما سبعة أيام، يتم خلالها في كل يوم إعداد وليمة من أكلة شعبية خاصة، يوم يطبخ فيه المفلق، وآخر جريش، وبعده هريس، وهكذا، وتبدأ فعاليات العرس قبل يوم الزفاف الذي ستكون الحفلة في مسائه، ابتداء من صباح ذلك اليوم وحتى ليلة الزفاف، تستضاف فيه عائلة العروس والعريس وبعض من الأصدقاء والأصدقاء، و يكون الزواج في بيت والد العروسة طيلة الأيام السبعة، وفي آخر ليلة تنتقل العروسة إلى بيت زوجها، وعادة ما يجلس العريس، و والده، وأبناء عمومته، لتلقي التهنة بالزواج لمدة ثلاثة أيام، ومن الأعراف أن يقال حال التهنة للعريس، "مبروك، منك المال ومنها العيال" ويرد عليه بعبارة "الله يبارك في حياتك"، وحال الخروج يقول المهني "حركة مباركة"، وكان آنذاك يلزم القادم للتهنة أن يصافح جميع الموجودين بالمجلس، وخلال المجلس تدار القهوة على الحضور، والمبخر المجهز بجمر "الغضا"، والموضوع فيه قطعاً من طيب العود "الصنفي" المجلوب من: الهند، أو جاوه بإندونيسيا، أو تايلاند، أو ماليزيا.

المطلب الثاني

تقاليد مناسبة الأعياد

الأعياد هي الأخرى من المناسبات التي يفتنمها سكان مدينة الهفوف لتأصيل معاني المحبة والإخاء، حيث تبدأ تقاليدها بلبس الثياب الجديدة، وأكل شئى من الحلوى، أو التمر إذا كان في عيد الفطر، ثم الذهاب إلى المسجد لصلاة العيد، وبعد الصلاة يقوم كل فرد منهم بزيارة أبناء عمومته من كبار السن في منازلهم، ويمكن في بعضها، وفقا لوجاهة صاحب المجلس ومستوى علاقته الاجتماعية به.

وعادة ما يلزم على القادم على المجلس أن يصافح الجالسين، وتبادل القبلات بصفحة الخد، غير أنه يخص كبير السن بتقبيل رأسه، وهو يقول «عيدك مبارك»، وفي المجلس تدار القهوة والتمر، والطيب بالمبخر، وعند مغادرة المجلس يقول «أشرف الأعياد» ويردون عليه «أعادكم الله على أمثاله».

ومن أوجه تداعيات زيادة دخول الأفراد في عهد الطفرة الاقتصادية، عمدت الكثير من العوائل إلى تأسيس مجالس لأفرادها، فالشيعة منهم جعلوها تحت مسمى حسينية؛ لكونها تستغل بشكل كبير في إحياء ذكرى المناسبات الدينية بالإضافة إلى المناسبات الاجتماعية من فرح وحزن، أما السنة فيطلقون عليها مجالس العائلة.

المطلب الثالث

تقاليد مناسبة الوفيات

عند حدوث وفيات في أحد أفراد العائلة، وهي سنة الله في خلقه، تجد في أبناء الحي حالة تكاتف وتعاون جديرة بالذكر، حيث يتولى مجموعة منهم إبلاغ أبناء

عمومتهم جميعاً، وأصدقائهم بحالة الوفاة، وكان قديماً يتم تغسيل المتوفى في بيته، وتبدأ مراسيم التغسيل بخلع أحد الأبواب الكبيرة للمنزل، التي تتركز على رجل واحدة، وعادة ما يتم اختيار باب السمادة أو باب الحوي، ثم يوضع على أربع حجار كبيرة، بعدها يسجى المتوفى على الباب استعداداً لتغسيه، وتحنيطه، وتكفينه، وإذا أدرج في أكفانه، يؤتى بنعش من المسجد القريب لبيت المتوفى إذا كان متوفراً فيه، ليتم نقل الميت عليه إلى المقبرة، ومن ثم يتم إعادته إليه مرة أخرى، أما تشييع جثمان المتوفى فعادة ما يكون على أكف، وأكتاف أهله، وأصحابه، وجمع من ذويه، يسيرون به على الأقدام، ويتبادلون دور حمل الجنازة فيما بينهم، في أجواء من ذكر الله، مكررين ذكر الله أكبر، وإذا حدث أن توفي أحدهم ليلاً، فإن مسألة الذهاب إلى المقبرة ليلاً يكون من الأمور العسيرة جداً، ونظراً لعدم وجود الكهرباء، أو وسيلة حفظ لجثمان المتوفى في مكان يحفظ سلامته من التعفن، فكانوا يعمدون إلى وضع حجر على بطن المتوفى؛ خوفاً من تكون غازات في بطنه، وعند انبلاج الفجر، يباشرون في مراسيم التغسيل، ومن ثم تشييع الجثمان إلى مثواه الأخير.

يمتاز مجتمع مدينة الهفوف بترابط كبير، تتجلى معالمه في مناسبات العزاء بشكل واضح، فمجلس العزاء هو الأرضية المشتركة لكل من يرغب في تقديم مشاعر العزاء لذوي الفقيد، ولكن هناك من لا ينتظر تلك المجالس الرسمية في حين انعقادها، بل تجده يبادر بكل حرص إلى حضور مراسم الدفن، والوقوف بجانب أهل العزاء في أولى ساعات الفراق، لذا تجد أن المقبرة لا تضم أبناء عمومة المتوفى وأصدقائه المقربين فقط، بل تتسع دائرة الحضور لتشمل الجيران، والأصدقاء، وأطراف النسب مع أبناء العمومة في الكثير من المناسبات، وهناك تؤدي الصلاة على المتوفى خلف أحد المشايخ.

بعد مراسيم الصلاة والدفن، يقفلون راجعين إلى إحدى مجالسهم الرئيسية، أو في

بيت المتوفى، وعادة ما توضع أجزاء القرآن على إحدى الطاولات في منتصف المجلس وتقرأ سورة الفاتحة وتهدى إلى روح المتوفى عدة مرات، والتكرار يعود لمراسيم جرت العادة أن يقوم بها المعزين الوافدين إلى المجلس، حيث يلزمه بعد الدخول أن يصافح الجميع من أول المجلس إلى آخره، قائلًا لكل واحد منهم «عظم الله أجرك»، وقبل أن يأخذ مكانه من المجلس يتوجه إلى المكان الذي وُضعت فيه أجزاء القرآن إذا كان يعرف القراءة؛ ليأخذ أحد الأجزاء وقبل القراءة يقول بعالي صوته: «رحم الله مُعيدَ الفاتحة» فيرد عليه البعض من مجاوريه في المكان «أحسنت»، وإذا فرغ من قراءة القرآن يقول: «رحم الله معيد الفاتحة» ويرد عليه كما مر «أحسنت» ومن لا يعرف القراءة يقرأ ما يحفظه من قصار السور أو أي من الذكر الحكيم ويكثر من قول: «رحم الله معيد الفاتحة» وكذلك تقال بين الحين والآخر حتى ممن قرأ بعض أجزاء القران، وذلك لإشاعة أجواء الوقار على الفاتحة وإهداء أكبر مقدار من الثواب إلى روح المتوفى، وبهذا تترد سورة الفاتحة كثيرا على روحه، كما أنه يجلب لدى عوائل الشيعة الخطباء الوعاظ المذكرين بسنة الله في عباده، وما يلزم العباد من: الصبر، والسلوان، والاتعاظ بحال الماضين، وأن لا يفتروا بالدنيا وزينتها، وأن يتوجهوا إلى الله بالتوبة والمغفرة... وغيرها من مجالس الوعظ، ومن أجل تحقيق هذه المعاني يعتمد كثير من الخطباء إلى إدراج بعض خطب الامام علي بن أبي طالب في خطبته، ومنها خطبته في وصف المتقين، عندما طلب منه أحد أصحابه ذلك ويقال له همام، وكذا قصيدة أبو الحسن التهامي في رثاء ابنه، وعند خروج المعزي عليه أن يقول «أحسن الله عزاءكم» ويصافح المعزي وبعض أقربائه، وعليهم أن يردوا عليه بـ «شكر الله مسعاك» و«جزاك الله خير».

ولعل أبرز ما تتميز به مجالس العزاء في عهد الطفرة، انتشار ظاهرة الإطعام في مجالس العزاء للحاضرين بشكل ملفت، حتى لقد تتخللها وجبتي طعام غداء،

وعشاء من اللحم، والرز المبالغ فيه، هذا غير تقديم المرطبات سائر وقت العزاء من الصباح حتى المساء، وذلك يعود إلى حالة اليسر المالي الذي أطلت به الطفرة الاقتصادية على حياة الناس، وقد سبب ذلك إرهاقا شديدا لغير المقتدرين ماليا، وبذا يجمع في أيام عزاءه مصيبتين، مصيبة فقد المتوفى والثانية تحمله نفقة أيام الفاتحة الباهظة.

المطلب الرابع

تقاليد الضيافة

وصف طه الشبخلي العديد من العادات، والتقاليد في مجتمع الهفوف قبل عهد النفط، فقد ذكر بأنه «إذا دعوا أحدا في الأيام العادية «غير الولايم الخاصة» يقدمون له القهوة فقط، وللإكرام يتقدمها تمرات يقال له «كدوع»، وإذا أضيف إلى ذلك اللبن، كان مبالغة في الإكرام^(١)، ويقول أيضا: إذا شربنا القهوة وأرادنا الخروج «قال صاحب الدار تطيب تطيب، فنجلس ثانيا فيأخذ المجر، وهو من الخشب لها مقابض من أسفلها ومبطنه من النحاس فيضع فيها الجمر وينفخ عليها، وعند صعود الدخان يتطيب بها هو أولا يسوق الدخان بكفه إلى جانبها، ويشمها بأنفه بصوت مسموع، ويضعها تحت لحيته، ثم تحت عباؤه وثيابه، ثم يعطيها للجالس بجانبه، يفعل مثل فعله، وهذا إلى الذي بجانبه، وهكذا تدور المبخرة إلى أن ترجع إلى صاحب الدار، ثم يعطيها كذلك للدور الثاني، ثم ترجع إليه إلى أن يضمحل العود الذي بها، ولا يخرج منها دخان».

أما بالنسبة للقهوة فإنهم «يعملون لكل وافد سواء كان شخصا واحدا أو أكثر قهوة جديدة باسمه، فإذا جلس الضيف قال صاحب الدار لعامل القهوة: شب أو شب

(١) - محمد طه الشبخلي، مراحل الحياة المظلمة وما بعدها، مصدر سابق، ص ٢٨٧.

الضوء، فيقول الضيف: لا القهوة زاهبة، أي أعطوني من القهوة الموجودة، ويقول الأول «صاحب الدار»: لا بالله شب، يكررونها مرتين أو ثلاث، وأخيرا تنتهي القضية باشعال النار وعمل القهوة مجددا ليس منها من محيص، إلا في العيد، فيعيدون هذه النغمة، ولكن الضيوف لا تقبل، فيقول الضيف، قهوة العيد زاهبة، ولا يدعهم يشبون الضوء إلا ما ندر، كأن يكون الضيف غريبا عن الديار أو قد أتى من إحدى القرى البعيدة، وإن كان شخصية كبيرة ولو من نفس البلد يشبون الضوء على كل حال، فإذا اشتعلت النار ذهب عامل القهوة، أو أحد أعضاء البيت، أو صاحب الدار نفسه إلى داخل الدار فأتى بشيء من القهوة في يده، وأعطاه لعامل القهوة، وأحيانا تكون حاضرة عند صاحب الدار، فيخرج منها مقدارا ويعطيه لعاملها، فيضعها في المحماس ويقلها، ويعملونها شقراء على حد قولهم، ثم يصبها في طبق صغير من ألياف الأشجار فتبرد فيضعها في الهاون «النجر»، ويدقها، ثم يأخذها وفي هذه الفترة يكون الماء قد فار، فيضعها في إبريق أصغر من «دلة القهوة»، ثم يغسل الفناجيل ويعرضها على النار؛ لتذهب عنها الرطوبة، ثم يصب ويقدم القهوة للضيوف وللموجودين قبلهم، وإذا أتى أحد بعد ذلك فيعملون كذلك وهكذا⁽¹⁾. أما عند صب القهوة فإنهم «يعطون القهوة بيدهم اليمنى، ويمسكون الإبريق «الدله» في اليسرى، كما عليك أن تسلم الفنجان بيمينك، ويضاف على ذلك، ينبغي للضيف إذا اكتفى من شرب القهوة أن يهز الفنجان أمام الذي يصبها، إشارة منه بعدم الرغبة في فنجان آخر.

أما في عهد ما بعد النفط، فقد استمرت تقاليد الضيافة كذلك لاحتفاظهم بالوجاه وأدواته من دلال قهوة نحاسية وحماس ومبخر، غير أن هذه التقاليد تغيرت في عهد الطفرة الاقتصادية لحدثة المجالس وأناقة الأثاث حيث صارت القهوة تعد في داخل المنزل، أما من حيث تجديدها للضيوف فهو لا يزال قائما في الكثير من المجالس

(1) - محمد طه الشبخلي، مراحل الحياة المظلمة وما بعدها، مصدر سابق، ص 287.

الكبيرة، هذا بالنسبة إلى القهوة وتقاليدها، وعادة تقديم طيب العود لا تزال كما كانت منذ ذلك الزمان وحتى العهد الحاضر.

المطلب الخامس

تقاليد الأسواق والشراء

في فترة ما قبل عهد النفط، يقول طه الشихلي، «وقد عايشتهم في فترة قاسية، خيم فيها الفقر على الكثير من سكان المدينة؛ نظرا لما كانت تأخذه الحكومة العثمانية من ضرائب، و أتاوات تحت عناوين كثيرة، وللسلب والنهب التي تتعرض له المدينة من البدو المحيطين بها ولاخفاض كبير في إيراداتهم المالية، ويضيف الشихلي على حد تعبيره لتجد الكثيرين منهم:»يحملون اللحم تحت ثيابهم للحسد الموجود عندهم»، ويقول أيضا:» يلبسون العباءة مقلوبة إلى أن يتغير لونها، ثم يلبسونها على وجهها قدر تلك المدة؛ لفقرهم المدقع»، ويقول أيضا عن عاداتهم في عرض اللحم للبيع:»أما القصابون فإنهم يضعون اللحم على لوحات خشبية ولا يعلقونها لئلا يشبه المصلوب»، أما عن عاداتهم في ركوب الحمير يقول: « فإنهم يركبونها قعودا فوقها، ورجلاهم على جانب واحد، وهو الأيسر من الحمار، ويقولون لا يليق بالرجل أن يركب الحمار كما يركب الخيل».

أما بالنسبة للمساومة فهي أمر ضروري عندهم، ويدل على نباهة المشتري، وحذاقته.

ومن ممارستهم في الشراء فقد أوضح الحاج عبد الله بن محمد بن علي الخرس «بوسعيد» للباحث، بأنهم يعتمدون علامات تدلهم على جودة الصنف المطلوب شراؤه، وهي علامات كثيرة: ففي شراء القعود يتحسسون السنم إذا كان مليئا بالدهن أم لا

وهو الجيد، أو من ضلعه إذا كان مكسوا باللحم، أما في شراء البقر يتحسسون إبط الفخذ إذا كان متينا وبه شحما، وكذلك يتحسسون كامل المنطقة الواقعة من الذنب إلى ضرع البقرة، أما الضرع ففيه علامة يحرصون على التأكد منها: فإذا كان الضرع به دسما خارجيا، ولينا واضحا دلهم ذلك على طيب الحليب وكثرتة، أما الخروف فيتحسسون فيه الرقبة إذا كانت مكتسية باللحم أم لا، بينما التيس يدلهم على وفرة لحمه ذيله إذا كان متينا، ووفرة الحليب في الماعز يستدلون عليها بارتفاع الضرع وامتلائه، إذ لو كان شبه المعلق المتدلي فإن ذلك دليل على خلوها من الحليب، والدجاج علامتهم في طيب لحمه ليونة جلده، هذا في الحيوانات أما في الخضار والفواكه فلهم علامات عدة على الجودة، منها: أن يكون البامية لونها أخضر وينكسر رأسها المدبب، أما القرع فيشترط فيه أن يكون مشربا بالخضرة وبه زغب، والبعض منهم يعتمد إلى إدخال أحد أظفاره بها للتأكد من ليونته، أما الباذنجان فعلامته شدة السواد وأن تكون قاعدته خالية من التقعر؛ لاعتبارهم أن المتقعرة أو الشبيهة بالمشقوبة ذكرا وهو خلاف الجودة، أما الخوخ فإنهم يفرقون بين نوعين منه: ما كان له زائدة في أسفله أشبه بالسر، والآخر خالي منه، والطيب الحلو هو الخالي منه، أما البطيخ الحساوي، فيستدل عليه بالشم، وأن يكون قشره الخارجي خشن، إذ كلما ازداد خشونة دله ذلك على أنه ملئ بالماء، وعلامة أخرى يستدلون عليها من القشر، وهو أن يكون غير مستوي في خارجه بل معزل بكل خط فيه بشكل طولي في استدارته، وهذا يدعى عندهم بـ «الفريدوني» أي كل جزء منه منعزل بمفرده.

المبحث الثالث

أفراح الأطفال وألعابهم

ويشتمل هذا المبحث على المطالب التالية:

المطلب الأول: أفراح الأطفال الدورية.

المطلب الثاني: الألعاب التي يمارسها الآباء والأمهات للأطفال في البيت.

المطلب الثالث: ألعاب الأطفال خارج البيت.

المطلب الرابع: الألعاب الشعبية التي دخلت على أثر التقنية.

المطلب الأول

أفراح الأطفال الدورية

وفيه عدة فروع:

الفرع الأول: «حجوا مدينة».

من أفراح الأطفال السنوية المقتصرة على البنات فقط، وهو فرح يتم في نهار ليلة النصف من شعبان، ويدعى عندهم بـ «الناففة»، حيث يجتمع بنيات الحارة في بيت إحداهن، ويؤتى بقدر «الغبوبة» وهو عبارة عن كمية الرز المتبقية من عشاء ليلة البارحة، حيث يكثرون من كميته احتياطا لمجيئهن، ومن المراسيم التي اعتدنها في

هذه المناسبة آنذاك أن يقلب غطا القدر إلى الداخل، و يدق عليها أثناء نشيدهن المعروف:

أنشودة الناصفة «حجوا مدينة»:

حجوا مدينة يا الله لقمه وسمينة يا الله
عسا نعوده يا الله نركب قعوده يا الله
قعود لحمريا الله

ولا تزال هذه الأفراح ترسم على شفاه الأطفال كل عام حتى الوقت الراهن.

الفرع الثاني: «القرقيعان».

من العادات الجميلة التي تحتفي بها عوائل مدينة الهفوف؛ فرحة للأطفال بمناسبة السنوية التي أشبه شيء بالكرنفال السنوي في نهار منتصف شهر رمضان، حيث ينظمون مع أبناء حارتهم في المشاركة بإنجاح تلك الاحتفالات البهيجة الواسعة النطاق، التي لا تقتصر على البنات فقط كما في «حجوا مدينة»، بل يشاركونهم الأبناء، فتجدهم يستعدون قبل يوم أو يومين بشراء الحلويات، والمكسرات؛ لتوزيعه حال مجيء الأطفال أمام البيوت، وأثناء تجوالهم في السكك، وهم يرددون أناشيدهم الطفولية الجميلة، لابسين الثياب الجديدة، وقد طوق كل منهم رقبتة بكيس صغير من قماش السواحل، أو علقه على كتفه، وذلك لجمع ما يفرق عليهم من هدايا الجيران أثناء تجوالهم.

وهذه الفرحة الدورية مستمرة إلى الوقت الراهن بل إن المحلات التجارية المتخصصة في بيع الحلويات والمكسرات، تتحين هذه الفرصة لمزيد من التسويق

ورفع مستوى الخدمة لعملائها من خلال توفير أكياس القرقيعان للأطفال بأشكال جذابة، وتعبئة المكسرات والحلويات في عبوات مناسبة للتوزيع، بل والبعض يدون عليها عبارات رقيقة تدغدغ مشاعر الأطفال في هذه المناسبة

أنشودة القرقيعان:

قرقع قرقع قرقع قرقيعان يم قصير وارميضان
عاما عام ياصيام ياصايمين شهر رمضان
كله كله بالتمام الله يعز الإمام
إلي عطانا البستان نطف خوخ ورمضان

عطونا الله يعطيك بيت مكة يوديك
يوديكم إلهايكم

إماتواب وإما جواب وإما قطيعة من الباب

قرقش له يا قرقش له خل الطيرين قش له
نقش الطير بروسه لوماعيا لكم ماجينا
كسب الكيس يعطينا

ياربي سلمه لأمه ويا حنه بالجامد
عن المطر والرعد

والعيش عيش القارة طارت به السحارة

عطونا من مال الله يسلم لكم عبد الله

عطونا من مالكم يسلم لكم عيالكم

عطونا وإلا بنروح و رانا سبعة بيوت

واقريه شبه حلاوات على النبي صلوات

واقريه شبه حلاوات على النبي صلوات

عساكم من عواده ولا تقطعون العادة

المطلب الثاني

الألعاب التي يمارسها الآباء والأمهات للأطفال في البيت.

تسكب عوائل مدينة الهفوف حنانا دفاقا في قلوب أبنائها من خلال ملاعبتهم ألعابا ممزوجة بالحركة والإيقاع الشعري البسيط، الذي يشيع جو الفرحة والتسلية للأطفال، وستعرض تلك الألعاب عبر الفرعين التاليين:

الفرع الأول: لعبة قرصة القروص وإلا مهفة العروس.

يجمع أكثر من طفل، ويجلسون على الأرض، وباطن أكفهم على وجه الأرض، مشكلين

في تجمعهم نصف دائرة، وعندها يقوم ملاعبهم بإنشاد هذه الكلمات الرقيقة، وهو يتنقل بإيقاعها على أيدي الأطفال واحدا بعد الآخر بيده يقول:

حديرجه بالديرجه ... مريت على غرايين ...، وقلت يا عمي حسين ... ويش
بقي على رمضان ... قال ... سبعة أيام تمام ... والحركة والبركة في ذي.

وما ينتهي بكلمة «في ذي» إلى على يد أحد الأطفال مصادفة، وهنا يسأله هل تريد قرصة القروس وإلا مهفة العروس؟، وطبعاً يطلب الطفل مهفة العروس لأنها أحسن، وهنا يهف عليها بيده، ويقول له: احفظها دافئة وإلا نقرصك قرصة القروس، وعندها يستجيب الطفل لهذه التوصية فيقوم بدسها في جيبه، وقد جمع على راحة يده بأصابعه الصغيرة بأقوى ما عنده؛ ليؤكد أنه يستحق مهفة العروس، وهكذا يعيد قراءة الكلمات مرة أخرى كما فعل في الأولى حتى ينتهي من آخر يدين، حيث يراوح بالتنقل بينهما بيده.

الضلع الثاني: لعبة ياكاسي يانابتي:

يستلقي الأب على ظهره - إذا كان هو الملاعب للطفل -، ويثني ساقيه واضعاً رجليه على الأرض، بعدها يضع طفله واقفاً على قدميه محتضناً ساق الأب، وهنا يرفع ساقيه إلى الأعلى وهو يقول في كل مرة إحدى مقاطع هذه الكلمات:

ياكاسي يانابتي ... يا حبيش ... يا ربيش ... يا أكال العيش.

وهكذا يعيد الكلمات بعد نهايتها مرارا والطفل في فرحة غامرة، لنزول الأب إلى هذه الدرجة من اللعب والمؤانسة.

المطلب الثالث

ألعاب الأطفال خارج البيت

وهذا المطلب يشتمل على الفروع التالية:

الفرع الأول: هدو سليسل:

وهي لعبة اللبيده، حيث يختبئ الأطفال عدا واحدا منهم، عليه أن يبحث عن أحد بقية الأطفال المختبئين؛ ليحل محله في اللعب، و ليبحث هو بدوره عن طفل آخر؛ ليكون دور اللعب عليه وهكذا طول اللعب، ففيها يجتمع الأطفال الراغبين في هذه اللعبة وقليلاً من يتخلف عنها، ويقترعون على من عليه افتتاح اللعبة بالبحث عن أحد المختبئين، وفي الاقتراع يصفون بجوار أحد الجدران مسندين ظهورهم عليه، أما الذي يتولى عد اللاعبين لإخراج من عليه دور البحث، فهو من يكون صالحاً للقيادة فيهم، وهنا تبدو نزاعات طفولية، يكون الحاسم فيها كبر السن تارة، وقوة الجسد تارة أخرى، وأحيانا تنتهي عند المنصفين منهم أن يكون الرئيس لمن لم يسبق له في المدى القريب أن قام بهذا الدور، وفي أثناء دور العد تبدو قوة الشخصية، و مناسبة القيادة، فدوره يقول، وهو يشير إليهم، وأحيانا يدق على أكتافهم أو على صدورهم.

عقرة، بقرة، قلي ربي، عد العشرة، واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة... «حتى يصل إلى العشرة» ومن يصل إلى دور العشرة يقع عليه الدور، وبعدها يؤخذ رأسه ويوضع في حجر قائد اللعبة، وهو يردد العبارات التالية، والأطفال يقولون بعد كل عبارة كلمة «هدوه»:

هدو سليسل هدوه تراها جاكم «هدوه»

طير خثاكم هدوه وأكل عشاكم «هدوه»

إذا جاكم كلب الأبيض لا تخافون وهم يقول من خلفه لا.
إذا جاكم كلب الأحمر لا تخافون = = = = =

إذا جاكم كلب الأصفر لا تخافون.....وبالمناسبة بعضهم لا يدع لون كلب
إلا ويقوله، حتى يعطي الفرصة للجميع اللجوء إلى مكان يختبئ فيه، بشكل يصعب
العثور عليه من قبل من عليه الدور بالبحث.

وإذا أراد الختام يقول:

إذا جاكم كلب المقابر خوفوا وهنا ينصرفون باحثاً كلا منهم لمخبأً يلبد فيه،
فإذا وقع من عليه البحث على أحدهم، عليه أن يأتي هو الآخر ليضع رأسه في حجر
قائد اللعبة ليرد عليه ما قاله لمن سبقه، وهكذا طيلة اللعبة.

الفرع الثاني: السكونة.

تعمل خطوط في أرض صلبة، وعادة ما يعمد إلى أرض مرشوشة بالماء لتساعدهم
على الاستمتاع باللعبة بشكل أفضل، حيث تقسم إلى ٨ بيوت، و يبدأ الطفل برمي
قطعة خشب أو حجارة ملساء...، في أول بيت ويبدأ بدفعه برجل واحدة، وقد رفع
الأخرى على هيئة الحجال، وهكذا من بيت إلى آخر حتى يلف جميع البيوت بالقطعة
التي رماها، وعندما ينتهي منها يحق له تملك أحد البيوت، وعادة ما يميل إلى البيوت
التي تصعب على اللاعب الآخر الفوز عليه بتملك بيوت أكثر منه وهي بيوت رقم ثلاثة
وأربعة، أو سبعة وثمانية حيث يحق للاعب الاستراحة فيها بوضع قدميه بدلا من
الحجل.

الفرع الثالث: اللقصة.

تؤخذ خمسة حصيات كروية الشكل بمقدار الأنملة، وترمى في الأرض بحذر تبدو فيها مهارة اللاعب، بحيث لا تنتشر وتتفرق عن بعضها؛ ليسهل عليه جمعها مرة أخرى، وعليه هنا أن يختار واحداً من أبعدها، ويقذف به في الهواء يعقبها حركة سريعة منه لجمع الحصيات، وجمع الحصيات يكون على نحو التدريج، إذ في أول مرة يجمعها واحدة واحدة، ثم اثنتين اثنتين، ثم ثلاث وواحدة، ثم أربع جميعا وفي كل مرة عليه أن يستعد لاستقبال الحصية المقذوفة في الهواء مع المأخوذة من الأرض، بعدها ينتقل إلى «مرحلة التلحس»، ومن هذه المرحلة حتى آخر اللعب يتدخل اللاعب المنافس بتحديد «الخال» وهو أحد الحصيات التي ينبغي على اللاعب أن يجعله آخر ما يلتقطه من حصى، وعادة ما يختار أصعب واحد على اللاعب في التقاطه. أما في المرحلة التي نحن بصددنا فهنا يقذف اللاعب بأحد الحصيات في الهواء ويدعى بـ«الحل» ويلزمه بعد ذلك أن يجمع الحصيات دفعة واحدة ويلقف الحل بعدها ثم يضعها على الأرض، ثم يجمعها مرة أخرى معفرا بإصبعه السباب بعدها يلتقط الحل منها بذلك مرحلة التلحس، ثم تأتي «مرحلة المبخر»، وفيها يضع إحدى يديه على الأرض مفرقا بين أصابعه، رافعا راحتها عن وجه الأرض، ثم يضع بين كل إصبعين إحدى الحصيات، وهنا عليه أن يقذف بالحل في الهواء يتبعها حركة سريعة نحو أحد الحصيات الموجودة بين الأصابع إلى تحت يده، وهكذا الواحد تلو الآخر، ثم يجمعها مرة واحدة بعد أن يكون قد رمى الحل في الهواء ليستقبله منها مرحلة المبخر، ثم تأتي «مرحلة الفوقية» وتدعى بالفوقية لوضعه إحدى يديه فوق أحد فخذه، وعليه في هذه المرحلة أن يرمي الحصيات وينقلها واحدة واحدة من الأرض إلى اليد الفوقية ثم يقذف بالحل ليستقبله وفي يده بقية الحصيات لينهي بذلك مرحلة الفوقية، ثم تأتي «مرحلة التحتية» وهي مشابهة للفوقية غير أن الفرق فيها أن يضع اللاعب يده على

الأرض بدلا من فخذ، وفي الختام تأتي «مرحلة العتقة»، حيث يثني اللاعب إصبعه السباب على الأوسط، ويفرج بين الإبهام والسباب، مشكلا قوسا فيما بينهما، وواضعا إياهما على الأرض، ليكونا معبرا للحصيات من جهة إلى أخرى، واحدا تلو الآخر، ثم على اللاعب بعد عبورهم، أن يجمعهم وقد قذف الحل ليستقبله بيده المملوءة ببقية الحصيات، وبهذا ينتهي لعبة اللقصة التي ربما طال شرحه؛ لأنها فعلا هي طويلة أثناء لعبها، بحيث أنها كانت تأتي على الوقت بشكل كبير فكم مرة يقع الحل منها دور اللاعب وهو في حالة من الغضب، أو ساقطا على رأس أحدهم، فيكون عرضة للتندر والضحك من قبل أقرانه.

المطلب الرابع

الألعاب الشعبية التي دخلت على أثر التقنية

حافظ أطفال مدينة الهفوف على الألعاب الشعبية الموروثة لهم جيلا بعد جيل، غير أن دخول الكهرباء، ومشاهدة التلفزيون زعزع الكثير منها عن موقع الصدارة، وصار أكثر تسلية لهم، فقد أمست برامج الأطفال الكرتونية التي كانت تقدم لهم عبر جهاز التلفزيون بلونيه التقليديين آنذاك: الأسود والابيض أكثر متعة وإثارة، كما أن بعض الأطفال بدأ يستفيد من مستهلكات بعض التقنيات الحديثة في ألعابه ومنها على سبيل المثال ما سيتم عرضه عبر الفروع التالية:

الفرع الأول: الدراجة.

استفادوا من الإطار الحديدي للدراجات العادية والنارية، وذلك بعد تعريته من الإطار المطاطي، وقضبان الحديد الصغيرة التي تربط بين الإطار وأعمدة الدراجة، عندها يأتي الطفل بقطعة خشب أو حديد ويضعها في التجويف الخارجي للإطار المعدني دافعا بها نحو الأمام فتجري العجلة وهو يجري من خلفها.



صورة أطفال يلعبون بالدربابة حولوا أحد فلاتر زيت السيارات إلى لعبة "الدربابة".
(عدسة: عادل القضيبي)

الفرع الثاني: الدربابة.

استفادوا من فلتر زيت السيارة، حيث أدخلوا في محوره قضيب حديد ١٢ ملمتر، ثم يثنى قضيب الحديد ويقطع بطول يكفي للطفل لقيادة مركبته الصغيرة.

الفرع الثالث: دراجة الرمان بيلى.

استفادوا من عجلات الرمان بيلى، بأن يصل الطفل بين اثنتين منها بخشبة طولها ٥٠سم، وتوضع هذه في مؤخرة العجلة، أما الأمام فيكتفى بواحدة هي الأخرى يحشر في منتصفها بقطعة خشب بطول ١٠ سم، ويوصل بين طرفي هذه القطعة الصغيرة بالخشبة الطويلة الخلفية، ويوضع لوح خشبي على الأخشاب الموصلة فيما بينها بمساحة تكفي لجلوسه، ويبقى عليه أن ينتدب أحد رفقائه ليدفعه من ظهره وهو جالس عليها، وهذه المركبة الصغيرة من أحدث الألعاب آنذاك.

الفرع الرابع: طوب اللستك.

استفادوا من مدخل هواء إطارات السيارات، وذلك بأن يقطع من الإطار المطاطي الداخلي، ثم يحرق ليصفي لهم منه القطعة الحديدية التي بداخله، حيث تتحول على هيئة مقبض من الحديد في طرفها قطعة حديد دائرية الشكل، في منتصفها فتحة دخول الهواء، وما عليهم سوى أن يأتوا بأعواد كبريت يأخذون منه البارود الذي في رأس العود، ويحشونه في الفتحة، ثم يأتى بمسمار صلب، يكفي لدخوله في الفتحة، بعدها يمسك به الطفل من طرف المقبض، ويضرب المسمار على أحد الجدران المطوية بالأسمنت، لتحدث صوتا مزعجا لسكان الفريج، ومفرحا لقلب الطفل الذي استطاع أن يحاكي مدفع رمضان، الذي عادة ما يطلق ذخائره مؤذنا بدخول وقت الإفطار، أو السحور، وعليه فإن هذه اللعبة عادة ما تنتشر في وقت رمضان خاصة.

الفرع الخامس: طوب البوجي.

وهو أيضا من ألعاب شهر رمضان، ويشبه طوب اللستك تماما في ذخيرته، المكونة من بارود الكبريت، غير أنه يفترق عنه في أنهم يأخذون قطعة من بواجي السيارات بها فتحة كافية للحشو بالبارود «فتات الكبريت الموجود على رأس عود الثقاب»، ثم تثبت في قطعة خشب، ويثبت في أعلى الفتحة المحشوة بفتات الكبريت، بعده يمسك الطفل بطرف الخشبة، ويضرب الطرف الآخر منها على جدار إسمنتي، وإذا خاف الطفل من قوة الانفجار، ثبت الخشبة في الأرض، وضرب المسمار بخشبة أخرى أو حجارة.

الفرع السادس: النبالة.

استفادوا من مطاط إطارات الهواء الخاصة بـ«كفرات» السيارات، وذلك بتشريحها إلى شرائح طويلة تصل إلى متر تقريبا، ويعرض ١ سم، وتلف على قطعة خشب أثل

على هيئة حرف ٧، حيث تلف على الخشبة وتعد في طرفيها بزيادة من المطاط بطول ٢٥ سم، ويوصل فيما بين هاتين الزياتين بقطعة جلد طبيعي يدعى بـ«النتع» يؤخذ من الإسكافي«خراز النعل» حيث يوضع في «النتع» الحجارة، وما على الطفل إلا أن يباعد بإحدى يديه النتع عن الخشب الممسوكة باليد الأخرى، ليستهدف بها عصفورا أو طيرا، و أحيانا يعيث بها فسادا، فيعمد إلى إنارات الطريق الكهربائية التي للجيران وربما العامة أيضا.

الفرع السابع: الصقعه، و صقعة وشبر.

أداتها الرئيسية كرات زجاجية ملونه مفردها «تيلة»، وقد استفادوا منها في لعبة اللقصة السابق ذكرها بدلا من الحجارة، ولجمالها وقيمتها المادية أدخلوها في ألعابهم كما استخدموها في لعبة أخرى تدعى لعبة الصقعة، و صقعة وشبر وتتم هذه اللعبة ما بين اثنين فقط، بحيث يقابلان أحد الجدران، فيرمي أحدهم تيلة، وعلى الآخر ضربها بتيلة أخرى ليكسب اللعبة، وقد لا يتمكن من ضربته الأولى، فيلزم الدور على الأول أن يرمي هو الآخر تيلة أخرى، وهكذا يستمر اللعب فيمن يكسب التيل المرمية على الأرض، وتارة تتم نفس اللعبة ولكن من دون أن يلتزموا بالرمي عند جدار بل في أرض خلاء، وهنا تكون الفرصة للكسب بتيلة واحدة فقط، حيث يلزم على أحدهم أن يضرب تيلة منافسة ليكسبها، وتكرر محاولة الضرب مرارا، وبعد أن تكسب المرمية في الأرض ترمى تيلة أخرى؛ ليأتي الدور عليها بالمنافسة فيما بينهم لمن يكسبها، وتارة أخرى يتفقان فيما بينهما على أنه يمكن أن يكسبها ليس بضربها فقط، وإنما أيضا إذا كانت المسافة بينهما بمقدار شبر، وهنا تبدأ المغالطة فيما لو كانت المسافة بينما أكبر من الشبر بقليل، يكاد أحدهم أن يطيل يديه الصغيرة لتبلغ مرامه وأنى له ذلك !!!.

أما في عهد الطفرة الاقتصادية فقد أمسى التلفزيون ينافس الألعاب الشعبية على عرش الصدارة بشكل كبير، حيث بدت الأخيرة بالتوازي لتفسح المجال للألعاب

الإلكترونية، عبر الأجهزة المعدة لذلك، سواء منها المحمولة في الأجهزة بشكل ثابت، أو عبر أقراص التخزين الممغنطة، و الصلبة، أما ممارسة الرياضة عبر لعب الكرة؛ خاصة منها كرة القدم فقد أخذت مكانة خاصة لم تقتصر على الأطفال فقط بل شاركهم فيها الكبار.

المبحث الخامس

لغة ولهجات سكان مدينة الهفوف.

سكان مدينة الهفوف يتكلمون العربية، عبر عدة لهجات، منها ما هو مشهور على صعيد الوطن العربي، وأخرى محلية على مستوى الحاضرة.

ويجدر بالبحث قبل أن يعرض لك اللهجات، أن يقف على طبيعة العلاقة التي تربط بين اللغة واللهجة.

يقول رمضان عبدالتواب في كتابه فصول في فقه اللغة العربية: العلاقة بين اللهجة واللغة، علاقة الخاص بالعام^(١)، معللا ذلك بما ورد عن إبراهيم أنيس في كتابه في اللهجات العربية، «وذلك بأن اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية، التي تيسر اتصالا لأفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة، التي تربط بين هذه اللغات، وتلك البيئة الشاملة، التي تتألف من عدة لهجات، هي التي اصطلح عليها باللغة»^(٢)

وقد عكست لهجات سكان مدينة الهفوف المتعددة عمق تراثهم الحضاري القديم، وتنوع أصولهم القبلية، والديار التي هاجروا منها، ويتضح هذا الواقع من خلال تطبيق

(١) رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، (القاهرة: مطبعة الخانجي، ١٩٨٢ م) ص ٧٢.

(٢) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، (القاهرة: "مكان الطبع: بدون"، ١٩٦٥ م)، ص ١٦.

واقع لهجات سكانها على القواعد اللغوية التي أصلها علماء فقه اللغة في هذا المجال، حيث لم يكتفوا بأن وصفوا تلك اللهجات، بل وعينوا القبائل العربية الناطقة بها، وسيتم عرضها عبر المطالب التالية:

المطلب الأول: لهجات سكان مدينة الهفوف المشهورة عند علماء فقه اللغة العربية القدامى.

المطلب الثاني: لهجات سكان مدينة الهفوف غير المعروفة عند علماء فقه اللغة العربية القدامى.

المطلب الأول

لهجات سكان مدينة الهفوف المشهورة عند علماء فقه اللغة العربية القدامى

هناك العديد من اللهجات المشهورة عند علماء اللغة العربية قديماً، فقد روى عن الأصمعي، وأبو الحجاج البلوي أن جرى في إحدى مجالس العرب سؤالاً عن أفصح الناس، فقام إعرابي مادحاً إحداها، ومورداً أسماء اللهجات المتداولة على ألسنة العرب آنذاك، وقد ورد في تلك الروايات على اختلاف راويها العديد من الأسماء منها: رثة العراق، وكسكسة بكر، وكشكشة وعنعنة تميم، وشنشنة تغلب، وغمغمة قضاة، وطمطممانية حمير، وبعد مطابقة أوصاف تلك اللهجات على لهجات سكان مدينة الهفوف، اتضح بأن فيهم من ينطق ببعضها وبغيرها من اللهجات الغير مسماة حتى وقتنا الحاضر، وسيتم عرضها عبر الفرعين التاليين:

الفرع الأول: الكشكشة.

«يعزى هذا اللقب إلى ربيعة ومضر، كما يعزى إلى بكر، وبني عمر بن تميم وناس من أسد. وهذه الظاهرة عند اللغويين، عبارة عن إبدال كاف المؤنثة في الوقف شيئاً،

أو إلحاقها شيئاً، وقد ذكر سيبويه هذين المذهبين من مذاهب العرب في الكشكشة، فقال: فأما ناس كثير من تميم، وناس من أسد، فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين، وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف، لأنها ساكنة في الوقف، فأرادوا الفصل بين المذكر والمؤنث، وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل، لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف، كان أقوى من أن يفصلوا بحركة، وذلك قولك، إنش ذاهبة، ومالش: يريد إنك، ومالك.

ويقول ابن دريد: وإذا اضطر الذي هذه لغته، قال: جيدش، وغلامش، بين الجيم والشين، إذا لم يتهياً له أن يفرد، كما يقول البلوي: ومن العرب من يلفظ بهذه الكاف بين الجيم والشين، وذلك في اللغات المرغوب عنها، لما لم يتهياً لها أن يفرد الجيم، ولا الشين^(١) وهذه اللهجات كثيرة التداول لدى أهل الهوف خاصة عن الشيعة منهم، في «حي الرفعة» و «حي الكوت» و «حي النعائل»، غير أن البعض منهم يستبدل الكاف بالشين مطلقاً، كما هو حال محلة الرقيات، وبعض عوائل الفوارس كقول أحدهم ثوبش، وكتابش في: ثوبك، كتابك. ومنهم من يلفظ الكاف بين الجيم والشين كما هو الحال لدى عوائل محلة «سوق الصاغة».

ويجدر بنا التفريق هنا بين الكشكشة والشنشنة التغلبية اليمانية كما روت المصادر هذا اللقب، منسوباً إلى لغة اليمن، ورواه ابن عبد ربه، لقبيلة تغلب، وهو عبارة عن جعل الكاف شيئاً مطلقاً، فقد سمع بعض أهل اليمن في عرفة يقول: لبيش الله لبيش، أي لبك اللهم لبك: ^(٢) فأهل اليمن يقولونها مطلقاً للمذكر والمؤنث، بينما الكشكشة للمؤنث فقط.

(١) رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مصدر سابق، ص ١٤١-١٤٦.

(٢) رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مصدر سابق، ص ١٢٧.

الفرع الثاني: العججة.

و ينسب هذا اللقب إلى «قضاة»، فقد حكى الأزهري، عن أبي زيد أنهم قال:
والعججة في قضاة، كالعننة في تميم، يحولون الياء جيما، كقوله:

المطعمون اللحم بالعشج

وبالغداة كسر البرنج

يقلع بالود وبالصيصح^(١)

أراد بالعشي، والبرني، وبالصيصي»

وظاهرة هذه اللهجة غير منتشرة في كلمات أهل مدينة الهفوف في الوقت الراهن ولا من قبل، غير أن حالة واحدة عثر عليها المؤرخ محمد رؤوف الشبخلي، عندما أرخ لبعض عادات وتقاليد مدينة الهفوف قديما قبل اكتشاف عهد النفط حيث لاحظ أن البعض ينطق كلمة جهودي ويريد بها يهودي، وقد علل ذلك بأنهم لا بد وأنهم فهموا أن بعض العرب يلفظ الجيم ياء ففي وهمهم أنه يرجعونها إلى أصله،^(٢) لما كان منتشر عندهم بعض الكلمات التي ينطقونها على لغة تميم من حيث ابدال الياء جيما إذ يقولون في «مسجد» مثلا: «مسيد»، فقد روى أن بني تميمي يقولون في: «الصهريج»، وفي جمعه «الصهاريج» وهو الذي يجمع فيه الماء: «الصهري والصهاري».^(٣)

الفرع الثالث: الكسكة.

يقول رمضان عبد التواب في كتابه فصول في فقه العربية أنه: يعزى هذا اللقب إلى قبيلة بكر كما يعزى إلى هوازن وعن الفراء أنه في لغة ربيعة ومضر، وفي القاموس

(١) رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مصدر سابق، ص ١٣٠.

(٢) محمد رؤوف السيد طه الشبخلي، مراحل الحياة المظلمة وما بعدها، مصدر سابق، ص ٢٨٥.

(٣) رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مصدر سابق، ص ١٣٣.

المحيط أن الكسكسة لغة تميم لا ليكر، وهي إبدال كاف المخاطبة سينا، كما اقتصر بعضهم على القول بأنها زيادة سن على كاف المخاطبة في الوقف.^(١)

أما من ينطق بها في مدينة الهفوف فهم بعض الساكنين في حيي الرقيقة، اذ يقولون في «أعطيتك» مثلا: «أعطيتكس».

الفرع الرابع: لهجات عربية متفرقة في مدينة الهفوف.

ومنها ما يلي:

١- يتفق أغلب سكان مدينة الهفوف على نطق العديد من الكلمات المعروفة في اللهجات العربية، ومن تلك قولهم «هذي فلانة» بدلا من «هذه فلانة»، فقد ورد عن تميم أنهم يبدلون «هاء» هذه «ياء» حال الوصل، اذ أن كلمة «هذه» مركبة من «هاء» التلبية، واسم إشارة «ذه» وكلمة هذه تثبت هاؤها وصلا ووقفا لدى القبائل العربية، وقد ورد بها القرآن الكريم نحو قوله تعالى: «هذه بضاعتنا ردت إلينا».^(٢)

٢- تختص العديد من عوائل الشيعة في مدينة الهفوف، بإضافة هاء السكت بعد ياء المتكلم خصوصا منهم في الرفعة الشمالية، والرفعة الوسطى وبالتحديد فريج الرفاعة المشتغل على سوق الصاغة، وأيضا محلة الرقيات و محلة الفوارس، والرفعة الجنوبية وكذا بعض عوائل الرفعة الجنوبية وبالتحديد مساكن الحاكة، حيث يقولون في «كتابي، وسيارتي، وقلمي» مثلا «كتاييه، وسيارتيه، وقلميه»، وهي لغة عربية نطق بها القرآن الكريم كما في قوله تعالى: «فاما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتاييه، إني ظننت أني ملاق حساييه».

(١) رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مصدر سابق، ص ١٤٠-١٤١.

(٢) محمد سالم محيسن، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، (القاهرة، مؤسسة الشباب: ١٩٨٦ م)، ص ٢٧ سورة يوسف آية

المطلب الثاني

لهجات سكان مدينة الهفوف غير المعروفة عند علماء فقه اللغة العربية
القدامى

هناك من اللهجات الغير معروفة عند علماء فقه العربية القدامى، ولعل البعض
منها ليس من مختصات سكان مدينة الهفوف ومن تلك اللهجات:

١- إبدال القاف غينا، والغين قافا: وهذه منتشرة بشكل كبير في مدينة الهفوف،
وهي ليست من مختصات مدينة الهفوف بل يصل حد انتشارها في المنطقة الشرقية،
وبعض دول الخليج كالكويت على سبيل المثال.

٢- حذف نون الوقاية من الكلمة: وهذه قليلة الانتشار وأظنها لا تتعدى حدود حي
الرفعة الوسطى، وبالتحديد بعض عوائل حي الرقيات، وما جوارها.

٣- مفردات لغوية عربية مهجورة: يستخدمها صاغة الذهب في فريج الرفاعة
بحي الرفعة الوسطى، وتدعى بالزرجلية، نسبة إلى زرجل ومعناها في إحدى اللغات
الهندية: صائغ، وقد انتشرت في أوساط خياطي البشوت في هذا الفريج أيضا، و
اتسع استخدامها في أوساط خياطي البشوت في حي الكوت أيضا وفريج الفوارس من
حي الرفعة الوسطى عبر خياطي فريج الرفاعة. وهذه المفردات لا يستخدمونها على
الدوام، وإنما لدواعي خاصة بهم، وتتحصر دواعي استخدامها في طبيعة مهنتهم
التي قد تتطلب كثرة الاتصال بأبناء البادية، وأهل القرى، فأهل هذا الحي يمتنون
خياطة البشوت، وصياغة الذهب والفضة، فقد يستلزم الأمر التفاهم بين مهنيي الحي
عن بعض التفاصيل في المهنة، أو في سعر البيع والشراء، دون أن يسبب ذلك التفاهم
فقدان زبائنهم، أو في عدم رضاهم، وقد يتسع نطاق استخدامها فيما بين أفراد
الحي، إذا كانوا بين أفراد من خارج حيهم، فهنا تجدهم يلجئون إلى استخدام تلك

المفردات اللغوية في ضمن محادثتهم فيمررون المعلومات المراد إخفائها بسهولة، دون إحداث أي إزعاج للطرف الآخر فعلى سبيل المثال ما يلي:

أ- إذا أراد أن يقول لآخر: «كف عن الاسترسال في الحديث والتوضيح إلى أن يذهب الجالس بيننا» يقول: «جزن إلى أن يكسع الشفت الرابص».

ب- إذا أراد أن يخبر أحدهم بأن في المكان شخص لا يليق الحديث أمامه بمعلومات معينة: «جزن ترى في الحوض رصعة»

ت- إذا أراد أن يقول بأن «الجالس بيننا ليس على مستوى رفيع من الفهم» يقول: «ترى الشفت الرابص طسيس».

ث- أو إذا أراد أن يجيب عن أن فلان ذهب، يقول «طس».

ج- لو أراد أن يصف وجبة غداء مكونة من رز ولحم يقول: «محزز على مرزز».

وفيما يلي بعض المفردات المتداولة فيما بينهم ومعناها في اللغة العربية الفصحى موضحة في الجدول رقم «٥/٢».

جدول رقم "٥/٢": قائمة بمفردات لغوية مستخدمة من قبل العاملين في مجال صياغة الذهب في محلة الرفاعة بالرفعة الوسطى بمدينة الهفوف، والمعاني المقصود منها، كما وردت في معاجم اللغة العربية.

الكلمة	معناها	معناها في معاجم اللغة العربية	المصدر
كَسَعَ	ذهب وأخلى سبيله	كَسَّعَه: طرده	المنجد: ص ٦٨٥، الطبعة السابعة والعشرون، ١٩٨٤م.

المصدر	معناها في معاجم اللغة العربية	معناها	الكلمة
		الجالس، وتستخدم في حالة الأمر بإتمام عملية البيع أو الشراء إلى طرف معين فيقال: ربصه بمبلغ ١٠٠٠ ريال، أي بعه بمبلغ ١٠٠٠ ريال.	الرابص
المصدر السابق: ص ٢٤٥.	ربص في المكان: لبت في المكان	ويقابلها في الاستخدام كلمة كسه: أي اشترى منه أو أعطه مبلغ معين، وأغلب استخدامها في حالة طلب دفع مبلغ قليل عن القيمة السوقية، وهي في اللغة العربية مأخوذة من الكساء.	
المصدر السابق: ص ٢٥٧.	المرزز من الطعام ما فيه رزا.	الرز	المُررَز

المصدر	معناها في معاجم اللغة العربية	معناها	الكلمة
المصدر السابق: ص ١٨١.	الخشاف: زبيب ينقع بالماء ثم يؤكل بمائه، خشاف الرمان: يكون في حب الرمان بدلا من الزبيب و يحلى بالسكر.	الشيء الطيب الحلو	خِشَف
المصدر السابق، ص ٢٦٥.	رصع رصوعا بالمكان: أقام بالمكان	الموجود في المكان	رَصَعَة
المصدر السابق، ص ٧٧٣.	الملاخ: الملاق	ينافق، وأحيانا يريدون منها الكذب، وكلاهما يلتقيان في صفة قول غير الحقيقة.	يَمَلِّخ
		أسكته شخص آخر، وإذا قال بأن الآخر طسيس، أي ضعيف البيان، وغبي، وطس القوم: أبعدها في المسير، يقال "ما أدري أين طس، أي أين ذهب".	طَسَّه، و طسيس

المصدر	معناها في معاجم اللغة العربية	معناها	الكلمة
المصدر السابق، ص ٤٦٥.	طَسَّه: خصمه وأبكمه	ومن استخداماتها الكثيرة في حالة إنهاء حالة البيع أو الشراء بأي مبلغ ينهي عملية البيع لصالحه يقال أيضا: اكسر طست الشفت، أي اعطه ما يسكته فقط.	

المصدر: تم جمع المفردات اللغوية من خلال جلسات متعددة في كل من مزرعة رجل الأعمال أمين بن إدريس الخواجة، ومزرعة رجل الأعمال الحاج حسن بن محمد البقشي، بمشاركة وحضور كل من: محمد بن أحمد بن عبدالمحسن بوجبارة، و باذر بن ناصر الباذر، والأستاذ عبدالمجيد بن أحمد الحسن بن إبراهيم، والأستاذ جعفر بن محمد علي العبد الباقي، وعلي بن حسن بن عبدالمحسن العبد الباقي، و باسل بن حسن بن محمد البقشي، و راضي بن جمعة بن حسن الخليفة، و صالح بن محمد السماعيل، وأحمد بن محمد بن عبدالمحسن بوحليقة.

وإمعانا منهم في التعبير عن مرادهم أثناء التخاطب دون أن يفهم الغريب حديثهم أضافوا إلى تلك المفردات المذكورة في الجدول السابق العديد من المفردات التي اصطلاحوا على معانيها، غير أنها ليست عربية أصيلة، وإنما اخترعوها بشكل أو بآخر، على أقل تقدير منه أنهم وظفوا وصفا متصل بها يفضي إلى المعنى المراد، كما هو في مفردة النبارة ويراد بها الدجاجة حيث أنها تقوم بالبحث عن بعض الطعام من خلال نبش الأرض برجليها، أو السباح للسماك؛ لأنه يسبح في الماء، أو عباس أحمر

للشاي لما يتصف به الشاي باللون الأحمر، أو المصفق للخبز؛ لأنه يتعرض إلى صفق باليدين عند إعداده، وفي الجدول رقم (٥/٣) عرض للعديد من تلك المفردات:

جدول رقم "٥/٣" : قائمة بمفردات لغوية مستخدمة من قبل العاملين في مجال صياغة الذهب في محلة الرفاعة بالرفعة الوسطى بمدينة الهفوف، لم ترد في معاجم اللغة العربية:

جدول رقم ٥/٣

الكلمة	معناها
أدوى الهاروت	الكبريت
البرعاص	التمر
البورق	اللبن
تقيطن	أكل خارج المنزل، ونال في تلك الوليمة غاية الإكرام، وتناول خلالها ما لذ وطاب من الأكل والشرب. وهي مأخوذة من أحد مراحل خياطة البشت، حيث يوضع مجموعة من خيوط القطن قبل أن تكسى بخيوط الزري المطلية بماء الذهب.
الديبانة	القهوة
الدحاريج	البيض
خوباد	وهي كلمة فارسية، ويراد بها النوم، سواء في حقيقة الأمر نائم، أم هو غافل فيقال في الاستخدام الثاني على سبيل المثال: الشفت الرابص تراه مخوبد.
رخاي	حرامي، يقال رخاها: أي سرقها، ومن توظيفاتها اللغوية في حال البيع إذا كان أحد الحضور عرف عنه السرقة، ويراد التنبيه لحالته بأن ينبغي أن لا يبقى في المحل مدة أطول، يقال حينئذ: كسع الشفت الرابص تراه رخاي.

معناها	الكلمة
صائغ، وفي حال الجمع يقال زراجلة، وتعرف هذه المفردات الواردة في هذا الجدول بالزرجلية.	زرجل
السماك	السيحاح
الدهن	السيحاح
فضة	شاخ
الفرد من الذكور، أما الأنثى فيقال لها شفته.	الشفث
ضرب، ويقال صاعه بمبلغ كذا، في حالة الإخبار بأن البيعة تمت بمبلغ أقل من القيمة السوقية، ويقال صعه بمبلغ كذا، أي قم بإنهاء عملية البيع أو الشراء بمبلغ بخس.	صاع
الحال طيب ويستحق المدح، يقال: اليوم السوق طروخ، أي رائع.	طروخ
الشاي	عباس أحمر
كذب	كسر طست
الخبز	المصفق
الأكل، يقال: تمنقرت أي أكلت.	المنقرة
البقرة	النطاحة
الدجاج	النبارة
وأصلها كلمة فارسية: نماز، أي صلاة.	نوماز
نحاس	مس
مات	مردس
جائع	مرجسن

معناها	الكلمة
الرز	الممدد
سجائر الدخان	الهاروت
رديء، ويقال لا توهص، في حالة حضور طرف آخر ينبغي أن لا يدل بحضوره أي معلومة.	وهيص

المصدر: تم جمع المفردات اللغوية من خلال جلسات متعددة في كل من مزرعة رجل الأعمال أمين بن إدريس الخواجة، ومزرعة رجل الأعمال الحاج حسن بن محمد البقشي، بمشاركة وحضور كل من: محمد بن أحمد بن عبدالمحسن بوجبارة، وبادر بن ناصر الباذر، والأستاذ عبدالمجيد بن أحمد الحسن بن إبراهيم، والأستاذ جعفر بن محمد علي العبد الباقي، وعلي بن حسن بن عبدالمحسن العبد الباقي، وباسل بن حسن بن محمد البقشي، وراضي بن جمعة بن حسن الخليفة.

الفصل الخامس

ملامح الحياة الاقتصادية لسكان مدينة الهفوف

تتعرف خلال هذا الفصل على ملامح الحياة الاقتصادية لسكان مدينة الهفوف قبل اكتشاف النفط، وبعده، وخلال عهد الطفرة الاقتصادية الأولى عام ١٣٩٠ / ١٣٩١ هـ والثانية عام ١٤٢٤ / ١٤٢٥ هـ، وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: واقع النشاط التجاري» الأسواق، والعملات، والأوزان والمقاييس في أسواقها.

المبحث الثاني: واقع النشاط الزراعي»تقسيم الحيازات الزراعية، وأعمالها، ومعدات الفلاحة فيها».

المبحث الثالث: واقع النشاط الصناعي:

- الصناعات السلعية «البشوت، والذهب، والفضة، والأثاث، والمعدات الخفيفة».

- الصناعات الخدمية «الحج، و البنوك، والصحة، والنقل، والتصوير،

والصيانة».

تمهيد:

تنوع الواقع الاقتصادي في الأحساء بين تجاري، وآخر زراعي وصناعي، وقد يرى البعض أن من الظلم للأحساء أن يختزل تاريخها الاقتصادي عند الحديث عن مدينة الهفوف كإحدى حواضرها، لكن من يقترب من واقع هذه المدينة ويعيش صخبها آنذاك يدرك بأن مدينة الهفوف في واقعها القديم - قبل هدم سورها عام ١٣٧٧هـ - مركزا اقتصاديا هاما للواحة، تدار فعاليات حركته عبر سكان المدينة أنفسهم، وبمعنى آخر كانت الهفوف مركزا اقتصاديا يسكن في ثناياه فرق العاملين فيه، حتى لقد بلغ الحال بأن أصبحت بعض الأحياء السكنية مكتظة بالحرفيين والمهنيين أنفسهم، يمارسون حرفهم في بيوتهم، والبعض منهم شطر جانبا من منزله، وحوله محلا تجاريا، أو مشغلا لحرفته، هذا واقع مدينة الهفوف آنذاك ولا يشاطرها في هذا الواقع من جميع حواضر الواحة غير مدينة المبرز ولكن ليس على مستوى المنافسة، هذا على صعيد الجانب التجاري، والصناعي فيه، أما الجانب الزراعي فيها فكان لها دور هام أيضا، وذلك من خلال كثرة ملاك الحيازات الزراعية فيها سواء في قرى الأحساء الشرقية أو الشمالية، سواء كانت حيازات استثمارية^(١)، أو أوقاف على مشاريع دينية^(٢)، أو اجتماعية، وذلك يعود إلى قدراتهم المالية الجيدة، والناجحة من قدراتهم الاستثمارية في مجال التجارة، وهناك أيضا فئة هامة كان لها حضور زراعي وهم من سكان مدينة الهفوف، أولئك فئة الفلاحين، فقد كانت تحيط بمدينة الهفوف

(١) - كان الشيخ موسى بن عبدالله بوخمسين، يمتلك الكثير من الحيازات الزراعية في قرى الأحساء منها: المعامرة، وأبورامل، والأظلم، والرويس، والقرايع، والضاحية، وضويط، ومن أراد التوسع في معرفة أماكن هذه الحيازات المملوكة للشيخ المذكور، وغيرها من الحيازات يمكنه مراجعة كتاب محمد جواد الخرس، "عائلة الخرس: حالة دراسية لمجتمع الأحساء في المملكة العربية السعودية، مصدر سابق، ص ٢١١.

(٢) - "مدرسة القبة" الحنفية تأسست عام ١٠١٩هـ، على يد علي باشا، وعين الشيخ محمد بن الملا على الواظ الحنفي مدرسا فيها، كما أوقف عليه وعلى ذريته أوقافها وكان ذلك في أوائل شهر شعبان، كما أوقف على تلك المدرسة أملاكه الزراعية التالية: شطيب الدرب، وصابخ ناشرة، والعميرة، وشطيبات أم شعيب، والجبيلة، والبدع، وضاحية أبو فهد، وضريخم، وصريمة، وأبوريشه، وصبيخة النافلة، والحريث الكائن موقعها جميعا بطرف قرية القارة، وهذه الحيازات المذكورة في قرية القارة، من المؤشرات الدالة على ارتباط العديد من الحيازات الزراعية في القرى الشرقية لسكان مدينة الهفوف. أنظر: - عبد اللطيف بن عثمان الملا، لمحات من الحياة التعليمية في الأحساء من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر الهجري، بيانات النشر "بدون"، ص ٢٤-٢٥.

من جهات ثلاث: الشمالية، والشرقية، والغربية، وجميع تلك الحيازات الزراعية كان فلاحو مدينة الهفوف يمارسون فيها عملهم الفلاحي، فالمزارع محيطة بها، وذلك يعود إلى وفرة المياه المتدفقة من عيون ماء شهيرة على مستوى الواحة بغزارتها و حجم الأنهار التي تصب فيها، وهي قريبة كل القرب من المدينة إذا ما تمت المقارنة بتلك التي تقع في أقاصي الواحة من الشمال كعين الحارة، وعين أم سبعة، وعين المطيرفي، وفي الشرق عين الجوهريّة، ولعل من أشهر العيون الرئيّسة والقريبة في الوقت ذاته من مدينة الهفوف: عين الخدود، وعين الحقل من الناحية الشرقية، وإلى الغرب كان هناك عين البحيرية، ومن الشمال عين أم خريسان، بل لشدة وثاقة الواقع الزراعي في واقع مدينة الهفوف كانت «الرقيات» قرية تقع في شرق المدينة، كما رصدها المؤرخون قبل هدم السور، ويؤكدون أن هذه القرية كانت تحتضن الفلاحين الذين يقومون بمهام الفلاحة في الحيازات الزراعية القريبة منهم، ومن الطبيعي أن يكون سوق الهفوف، وطبيعة نشاط الحركة التجارية فيه من أبرز مراكز تسويق منتجات تلك الحيازات.

لكل هذه المعطيات جعل من واقع المدينة أن يكون لها دورا مفصليا في مجمل الحياة الاقتصادية فيها، الأمر الذي يستدعي أن تعرض الدراسة لواقع الحياة التجارية في الهفوف، وتبين، ما هي العملات المتداولة فيه كوسيط بين المتبايعين؟ وما الموازين والمقاييس المستخدمة في تحديد كميات السلع المتبايع عليها؟ وما أنواع تلك السلع ووفرته؟ وهل كانت بمستوى من الجودة ما يؤهلها أن تصدر إلى خارج الواحة أم أن استهلاكها كان محليا فقط؟ وما هي الصناعات التي احتضنتها مدينة الهفوف فأشغلت حياة سكانها؟ حتى لقد تحولت بيوتهم إلى ورش عمل، وتصنيع، وأسواقها معرضا لبيع تلك المنتجات، هذه الأسئلة وغيرها سيتم الإجابة عليها في هذا الفصل وغيرها من الأسئلة الأخرى من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: واقع النشاط التجاري « الأسواق، العملات والأوزان والمقاييس في أسواقها.

المبحث الثاني: واقع النشاط الزراعي«تقسيم الحيازات الزراعية، وأعمالها، ومعدات الفلاحة فيها».

المبحث الثالث: واقع النشاط الصناعي:

- الصناعات السلعية «البشوت، والذهب، والفضة، والأثاث، والمعدات الخفيفة».
- الصناعات الخدمية «الحج، والبنوك، والصحة، والنقل، والتصوير، والصيانة».

المبحث الأول

واقع النشاط التجاري «الأسواق، و العملات والأوزان والمقاييس في أسواقها»

ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: التجارة في حاضرة الهفوف.

المطلب الثاني: العملات المتداولة في الأحساء قبل عهد النفط.

المطلب الثالث: المقاييس المستخدمة في أسواق مدينة الهفوف قبل عهد النفط.

المطلب الرابع: السلع في أسواق حاضرة الهفوف.

المطلب الخامس: أسواق حاضرة الهفوف، والآثار الإيجابية والسلبية لاكتشاف

النفط عليها.

المطلب الأول

التجارة في حاضرة الهفوف

الهِفُوف مدينة تاريخية، ومنذ القدم تتسنى قمة الهرم الاقتصادي في واحة الأحساء؛ لاحتضانها أسواق الحاضرة الرئيسة: سواء منها الثابتة كمحلات بيع الأرزاق المنتشرة على جانبي السوق العام المتاخم لسور الكوت التاريخي القديم، وما يتفرع من هذا السوق لمحلات المهنيين الذين يمدون شريان الحياة اليومية بالسلع المصنعة محليا في حوانيتها، أو لعقد «سوق الخميس» الذي يعتبر أهم الأسواق الدورية في الأحساء، و تبدو أهمية الأسواق الثابتة والدورية في الهفوف ليس لسكانها خاصة فقط بل لمدينة المبرز والقرى الأحسائية الأخرى، وأهل البادية أيضا، وقد بلغ الحال من رواج الحياة الاقتصادية في هذه المدينة، أن أصبح حرمان البدو من دخول أسواقها الدورية، أهم أساليب العقوبات التي توجه لهم بسبب حالات الغزو والنهب التي يشنونها بين الحين والآخر على مزارع قرى الأحساء كما مر سابقا، وهذا ليس مقتصرًا على أسواق مدينة الهفوف فقط بل جميع أسواق واحة الأحساء، ومنها أسواق مدينة المبرز فكان حرمان البدو أحد العقوبات؛ لأهميته، ومن تلك العقوبات الموجهة ضدهم ما جرى في أعقاب وقعة الحزم والوزية سنة ١٣٢٤هـ التي نشبت بين سكان مدينة المبرز والعجمان على أثر هجمة الفريق الأخير على نخيل «عين الزواوي»، حيث وقع القتل بين الفريقين، وانتهى الأمر لصالح أهل المبرز وذلك بحرق منازل العجمان ودحرهم، وكان من أهم العقوبات الموجهة إليهم هو إعلان الحرب عليهم ومنعهم من ارتياد أسواق الأحساء ودام ذلك من جمادى الثانية إلى رمضان من هذه السنة^(١). أما من حيث سعة هذا السوق، ورواج التجارة فيه أن وصفه أمين الريحاني بقوله: «أعرض شارع شاهده في شبه الجزيرة العربية وأكثرها ازدهاما، وهو شارع عريض وجذاب، مع ممرات مقنطرة على واجهة الدكاكين، إنه ريفيرا الأحساء»^(٢).

(١) - عبدالرحمن الملا، تاريخ هجر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٥٣.

(٢) - فيديريكو شميد فيدال، واحة الأحساء، مصدر سابق، ص ١٠٩.

لعل من أهم دعائم اقتصاديات حاضرة الهفوف غنى الأحساء بالمياه الجوفية العذبة، مما أعطى فرصة كبيرة لترعرع الزراعة في أراضيها، وتعدد منتجاتها من: حبوب، وفواكه، وخضار، وإذا عدت منتجات الواحة الأحسائية جاء محصول التمر في الطليعة، لأنه يشكل المنتج الأكثر وفرة نظرا لجدواه الغذائية المرتفعة بحيث أنه لا تستغني عنه عائلة أحسائية آنذاك في اليوم واللييلة أبدا، مما رتب عليه أهمية اقتصادية بالغة، كما أنها تسوق منتجاتها الزراعية داخل الإقليم لغير الأحسائين في أسواقها، وأغلبهم من البدو، وخارج الإقليم، مما يوفر سيولة نقدية جيدة.

كما أن اشتمال الأحساء على ميناء العقير البحري الهام المطل على الخليج العربي، شكل لأسواق حاضرة الهفوف مكانة اقتصادية هامة، فهي بموقعها الجغرافي القريب من ميناء العقير جعلها تقع على أهم خطوط المواصلات التجارية الدولية إلى حواضر الجزيرة العربية، حيث تعبر منها البضائع الصادرة والمستوردة، ولتقدير حجم التجارة الخارجية العابرة عبر هذا الميناء التجاري الهام، ما خصه لويمر من بضائع تدخل إلى الهفوف تقدر بـ ٢٠٠ - ٣٠٠ جمل محمله بالبضائع أسبوعيا، فهي بحق تعتبر محطة تربط أطراف الجزيرة العربية المحيطة بها، وبين العالم الخارجي، ومن أهم المناطق المستفادة منها آنذاك، حواضر نجد وماحولها، فهي أشبه بمحطة «ترانزيت» للبضائع المارة بها، وللقارئ أن يتخيل حجم النشاط الذي كان يحدثه عبور هذا العديد الكبير من الجمال اسبوعيا، وهذا حتما سينعكس على حجم الاستثمار في مجال مستودعات مدينة الهفوف، وتجارة الجملة، والمفرق فيها.

أما قربها من البادية، فإن كان ذلك يشكل لها مصدر قلق كبير لسكانها من قبل البدو المناوئين لانتعاشها الاقتصادي، والذي يعبرون عن ذلك: بالفارات، والسلب لمقتنيات الموسرين في المنطقة من حلي وسجاد فاخر، أو مهاجمة مزارعهم وحوانيت

تجارهم ومستودعاتهم، وأخذ ما بها تارة، وبقطع قوافل تجارتهم تارة أخرى^(١)، إلا أن ذلك لا يغنى الحاضرة عن البادية في كثير من السلع الهامة لها: كحوم المواشي، وحطب الطبخ والتدفئة، و الصوف حيث لا يستغنى عنه في مشاغل الحياكة، فالعلاقة بين مدينة الهفوف، والبادية على الصعيد التجاري تبادلية.

إن محافظة الأحساء قبل عصر النفط تعتبر نموذجاً مثالياً لاقتصاد المحصول الواحد وهو التمر حيث يستوعب أغلب رقعتها الزراعية، وهذا الواقع يسبب تقلبات سوقية مؤثرة وحادة لها، مصدرها قوى العرض والطلب على سلعها، فقد تعلق فيها فرصهم التسويقية وقد تنخفض مسبة لهم الكثير من ضياع الفرص التسويقية الموسمية في توقيتها، والشديدة الأثر على إيراداتها السنوية بشكل عام، وعلى سبيل المثال عندما أدرك أهل القطيف ما للتمر القطيفي من ميزة نسبية، وهي ملاءمته للتصدير، وكثرة الطلب عليه في بعض الدول الآسيوية، قاموا بتحويله إلى «سلوق»، وصدروا منها إلى الدول المجاورة، والبعيدة مثل الهند، نظراً لارتفاع ثمنه بنسبة ١٠٠٪ عما لو بيع تمراً، مما حدا بهم أن حولوا ما يقارب من ٩٠٪ من إنتاجهم إلى سلوق، وهذا دفع بأهل القطيف إلى زيادة الطلب على تمور الأحساء، ونظراً لقلّة عرض تمور الأحساء أمام طلب أسواق القطيف والأحساء، والبدو وأسواق دول الخليج الأخرى التي اعتادت تسويقه في مواسم التمر، كل هذا أدى إلى ارتفاع ثمنه عن المعتاد، هذا لحالات ارتفاع السعر، أما في حالات الانخفاض فذلك يتمثل في حالات القلاقل السياسية التي كانوا يتعرضون لها؛ بسبب عدم الأمن وكثرة غارات البدو عليهم منذ القدم، فهي تحد من عمليات التصدير^(٢)، ويكثر العرض في أسواق الحاضرة أمام الطلب وعليه تنخفض أسعاره.

(١) - عبدالله السبيعي، الأمن الداخلي في الأحساء والقطيف و قطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨-١٢٣١، "الرياض: مطابع الجمعة، ١٤٢٠هـ" الطبعة الأولى، ص ١٧، نقلًا عن الارشيف العثماني، إدارة داخلية، رقم ٤٤٩٣٠، وهذا الملف ثلاثة تقارير مطولة بعث بها والي بغداد أحمد مدحت باشا، اثر زيارته للأحساء إلى المصدر الأعظم، وتاريخ تلك التواريخ جميعها في ٢١ شوال ١٢٨٨هـ.

(٢) - فيدريكو شميد فيدال، واحة الأحساء، مصدر سابق، ص ٢٢٣-٢٢٤.

ولا تنتهي مأساة الواقع الزراعي في الأحساء بتذبذب أسعار سلعتها الإستراتيجية تحت قوى العرض والطلب، فقد كانت تعاني من مشاكل أخرى، من أبرزها تعرُّض محافظة الأحساء لحالة من الانكماش البطيء، وذلك بسبب نضب ينابيعها الجوفية، وهي ظاهرة ثابتة على طول خط تاريخها القديم وحتى تاريخنا المعاصر، فقديمًا يروى بأن العقير، والأحساء، والقطيف واحة مستمرة^(١)، وقد يصعب قبول هذا الوصف، ولكن أيضا يصعب التشكيك فيه على حد قول «فيدال» الباحث الذي سبر الواقع الزراعي في الأحساء في عام ١٣٥٢هـ حيث يصفه بقوله: «توجد الآن بساتين قليلة في طور الإنطمار بالرمال تقع على بعد أميال قليلة غربي العقير، وكلما توغلنا وجدنا مجموعة من الآبار المهجورة^(٢)»، ويقول أيضا: «تشير المصادر المدونة أن المبرز كانت، إلى وقت متأخر ربما يصل إلى عشرينات القرن الحالي، محاطة بالزراعة من ثلاث جوانب، وأن عين الفاخرية عانت من نقصان في تدفقها في أوائل القرن الحالي، وقد غار ماء العين الآن إذ أن معظمه صار يرفع بالضخ الآلي، وأصبحت المبرز محاطة تماما بالصحراء^(٣)»، كما أنه ينقل كلام للريحاني يشير فيه إلى وجود بقع خضراء بين قرية الفضول والهفوف ولم يعد لها وجود في وقت كتابته لبحثه، كما أنه قارن بين عدة صور لعيون عدة منها: أم سبعة؛ والبحيرية، والحارة، أخذت لباحث قبله يدعى «ماكي» وواقع تلك الأعيان فقال بأن الكميات أقل غزارة مما هي في الصور^(٤). و من الجدير بالذكر أن فارق التاريخ بين زيارة «ماكي» و «فيدال» لم تكن كبيرة حيث الأول زار الأحساء في العشرينات من القرن العشرين، بينما الأخير في الأربعينات «١٩٣٣م. وهذا النضب المائي، والانحسار في الرقعة الزراعية يشكل ضعفا وتهديدا لفرص الاستثمار في منتجاتها الزراعية في داخل أسواق الهفوف وخارجها.

(١) - ذكر البعض للباحث أنهم اطلعوا على صك لحيازة زراعية قديمة، تقع في شمال مدينة المبرز فيما بين شركة الاسمنت الحالية وهجرة "الجوية"، حيث يشير الصك إلى أن تلك الحيازة تسقي من عين الخدود الشهيرة، وهي عين تقع بالقرب من مدينة الهفوف.

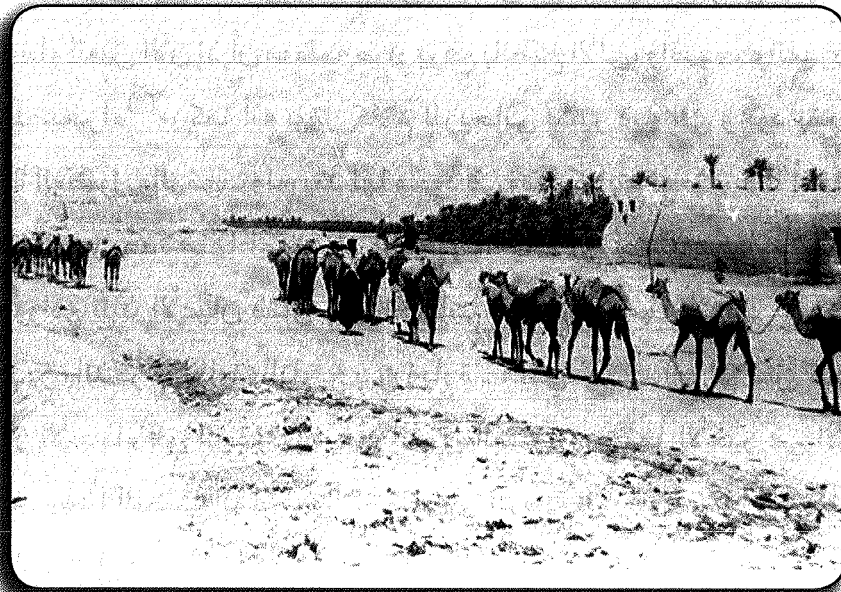
(٢) - فيدريكو شميد فيدال، واحة الأحساء، مصدر سابق، ص ٢٢٠.

(٣) - فيدريكو شميد فيدال، واحة الأحساء، مصدر سابق، ص ٢٢٠.

(٤) - فيدريكو شميد فيدال، واحة الأحساء، مصدر سابق، ص ٢٢٠.



بضائع مستوردة في ميناء العقير قبل دخولها إلى أسواق الهفوف.



جمال محملة ببضائع مستوردة عبر ميناء العقير وهي في طريقها نحو أسواق الهفوف، حيث تقدر عدد الجمال القادمة من ٢٠-٣٠ جملاً أسبوعياً و من أسواق مدينة الهفوف إلى العديد من المدن خارج الأحساء.

هذا وقد عانت محافظة الأحساء من الوجود العثماني الشيء الكثير، فقد تعرض مزارعيها، و تجارها، وحرفيها لألوان الابتزاز المالي من الحكومة العثمانية، تحت عناوين متعددة للنهب والسلب، تارة تحت مسمى الضرائب، وأخرى بمسمى الرسوم، ومنها أشكال متعددة شملت حتى البرسيم الذي تعلق به مواشي الحاضرة، وكانت سياستها في تطبيق تلك الضرائب أن تتعهد بعدم أخذ رسوم لا تتفق مع الشريعة الإسلامية، ثم سرعان ما تتخلى عن ذلك، وعلى سبيل المثال، شرعت في جباية ضرائب على المواشي بنسبة ٤٠/١ كما كان مطبقا في الولايات العثمانية الأخرى، ثم استبدلت ذلك النظام بفرض ضريبة نقدية سنوية مقدارها ريال فرنسي عن كل خمسة جمال ونفس المبلغ عن كل عشرة خراف، أو ماعز، وفي نهاية ١٢٨٩/١٨٧٣م جبت قران واحد عن كل جمل و٥,٠ قران عن الخراف والماعز. هذا غيض من فيض وفيما يلي جدول يوضح إيرادات لواء الأحساء في السنوات الأولى، علما بأن عوائد الجمارك ورسوم الديون العامة لا تدخل ضمن الإيرادات التالية المدرجة في جدول رقم « ٥/١ »

جدول رقم « ٥/١ » : إيرادات العثمانيين من لواء الأحساء «الأحساء والقطيف

وقطر» في السنوات الأولى لتواجدهم بالقرش العثماني

السنة	الإيرادات بالقرش العثماني
١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م	٣,٠٢٧,٦٥٧
١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م	٢,٨٥٢,٦٣٣
١٢٩٩هـ / ١٨٨١م	٢,٨٥٢,٦٢٣
١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م	٢,٦٣٥,٢٦٦
١٣١١هـ / ١٨٩٣م	٣,٠٧٤,٣٥٠

السنة	الإيرادات بالقرش العثماني
١٣١٢ هـ / ١٨٩٥ م	١,٩٩٣,٣٥٧
١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م	٦,٠٠٠,٠٠٠

المصدر: عبد الله السبيعي، اقتصاد الأحساء والقطيف و قطر أثناء الحكم العثماني، ص ٢٣٢.

ولإيضاح بنود إيرادات اللواء ومقدار مبالغها سيورد الباحث نماذج منها في جدول رقم «٥/٢»:

جدول رقم «٥/٢»: أنماط الضرائب والرسوم العثمانية المجبأة من لواء الأحساء «الأحساء، والقطيف، و قطر» ومبالغ الإيرادات بالقرش العثماني.

أنماط الضرائب والرسوم	١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م	١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م	١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ م
حاصلات الأعشار	١,٦٩٤,٨٤٨	-	-
رسوم الأبل	-	٣٠,٠٠٠	٣٠,١١١
أمانات الأعشار	-	٢,٠٠٠,٠٠٠	١,٠٣٣,٩٨٦
ضرائب العشائر الشخصية	-	٤٢,٢٥٠	٤٢,٣٥٠
رسوم المحاكم	-	٩,٠٠٠	١٨,١٥٠
رسوم متنوعة	٨٧٢,٨٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	٨٥٨,٧٦٠
حاصلات متنوعة	٦٧,٦١٨	٣,٠٠٠	١٠,٠٠٠

أنماط الضرائب والرسوم	١٣٠٨هـ/١٨٩٠م	١٣١١هـ/١٨٩٣م	١٣١٣هـ/١٨٩٥م
المجموع	٢,٦٣٥,٢٦٦	٣,٠٧٤,٣٥٠	٢,٠٦٣,٨٠٦

المصدر: عبد الله السبيعي، اقتصاد الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني، ص ٢٣٢.

ومقابل هذا السلب والنهب في محافظة الأحساء، أبدت القيادة في استانبول أقصى حالات التهاون والإهمال للبنية التحتية لاقتصاديات محافظة الأحساء بشكل عام، الذي أثر بشكل مباشر على الحركة التجارية في حاضرة الهفوف، وعلى سبيل المثال إهمالها لمشروع بناء مرسى جديد عميق في ميناء العقير على الرغم من كثرة مطالبة متصرفها في الحاضرة، حيث يعاني الميناء من مشكلة ضحالة مياهه، الأمر الذي يجعله عاجزا عن استقبال السفن الكبيرة القادمة من الهند، أسوة بغيره من المواني المحيطة به كالبحرين ولنجة، وبندر بوشهر بإيران والبصرة، مما يلجئ تجار الأحساء إلى نقل بضائعهم على قوارب شرعية تضر بسلعهم، وتسهل غرقها، وتطيل مدة نقلها تبعا للرياح وأحوال المناخ، فعلى سبيل المثال من البحرين تحتاج إلى ٢٤ ساعة أما من لنجة ١٠٠ ساعة،، هذا فضلا عن حالات السطو والنهب التي تتعرض له من قراصنة البدو، كما يفوت فرصة سرعة الحركة البريدية في المنطقة، والتي كان من المقدر لها أن تنعكس بشكل إيجابي على الحركة التجارية فيها، كزيادة حركة الاستيراد، والتصدير وما يتبع ذلك من تطور فعاليات النقل، والتخزين في أسواق حاضرة الهفوف، فقد كان أجره الدكان ٤٥ ريال في الشهر في الأحوال العادية، وإذا جاءت القوافل بلغت أجره الدكان في اليوم الواحد أربعة أمثال الأجرة العادية^(١).

(١) - عبد الله السبيعي، الأمن الداخلي في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨-١٣٣١، مصدر سابق، ص ٤٨.

كل هذا تجاهلته الحكومة العثمانية على الرغم من أن كلفة المشروع لاتتعدى ٢,٥٠٠,٠٠٠ مجيدية حيث لكل متر مكعب مجيدية واحدة^(١).

المطلب الثاني

العملات المتداولة في الأحساء^(٢) قبل عهد النفط

نظرا لاحتضان الهفوف أكبر أسواق حاضرة الأحساء فقد تم تداول العديد من العملات، وذلك قبل اقتصار التداول فيها على الريال السعودي، وتلك العملات موضحة في الجدول رقم «٥/٣»:

جدول رقم «٥/٣»: العملات المتداولة في أسواق مدينة الهفوف قبل عهد النفط

م	اسم العملة	بيان
١	الليرة العثمانية الذهبية	تتألف من مائة قرش ذهبي عثماني، وهي تساوي "١٨" ثمانية عشر شلنا انجليزيا، و"١٤" أربعة عشر روبية هندية. واستمر هذا النقد مستخدما حتى بعد زوال عهد العثمانيين، وقد استخدمته النساء كحلية ذهبية ثمينة يمكن الإفادة منها عند الحاجة؛ لأنها ذات قيمة عالمية ولها معادلاتها النقدية على المستوى العالمي.
٢	المجيدية	وهي عملة عثمانية فضية.

(١) - عبدالله السبيعي، الأمن الداخلي في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨-١٣٣١، مصدر سابق، ص٨٤-٥٣.

(٢) - عبدالفتاح حسن أبو عليه، دراسات في الجزيرة العربية، "الرياض: دار المريخ، ١٤٠٦هـ"، ص٣٧٥.

م	اسم العملة	بيان
٣	ريال ماريا تريزا "الريال"	ويسمى بالريال الفرنسي وهو مسكوك من الفضة وحجمه يساوي حجم قطعة الخمس شلنات الإنجليزية ويساوي ٣ قروش عثمانية.
٤	الطويلة	وهي عملة على شكل قضيب ملوي طوله "٥, ١" أنش وهو أشبه بالملقط، وهي مفتوحة من طرفها غير الملوي، وتوجد على وجه القضيب كتابة بخط كوفي لكنها غير مقروءة، وهي نقد فارسي انتشر في منطقة الخليج، يعود أصله إلى لار "LAR" وهي مسكوكة من الفضة، غير أن هناك طويلة معروف بطويله آل عريعر استخدمها بني خالد أثناء حكمهم للأحساء، ولكنها أقل قيمة حيث أنها مسكوكة من نحاس مخلوط بالفضة، وتساوي الطويلة ١/١٥٠ من الريال الفرنسي.
٥	الروبية الهندية	وهي تعادل ريال فرانسيسي غير أنها تستخدم بنحو قليل في الهفوف.
٦	البيزا	وهي عملة عمانية، وقليل ما تستخدم في الأحساء، وهي تساوي نصف طويلة.
٧	الجنية الإنجليزي الذهبي	وهي عملة ذات قيمة نقدية رسمية معترف بها، لكن استخدامها في الأحساء قليل إذا ما قورن بالريال الفرنسي، أو الروبية الهندية أو الطويلة.

المصدر: حسن عبد الفتاح أبو عليه، دراسات في الجزيرة العربية، مصدر سابق

ص ٣٨١.

المطلب الثالث

المقاييس المستخدمة في أسواق مدينة الهفوف^(١) قبل عهد النفط

استخدمت المقاييس التالية في أسواق مدينة الهفوف قديما ولازال البعض يستخدمها ولكن على نحو قليل، وقد حل الكيلو غرام بديلا عنها، كما في جدول رقم «٥/٤».

جدول رقم «٥/٤»: الأوزان المستخدمة في أسواق مدينة الهفوف قبل عهد النفط

م	وحدة الوزن	بيان
١	القياسة	وهي وحدة الوزن الرئيسية في الهفوف وقراها، وهي تساوي في حدود ١١ كغم. وهي تساوي أيضا "٨" ثمين، و"٣٢" ربة.
٢	الربة	وتزن ربة الهفوف في حدود "١٢" ريال فرانسي و١/٣٢ من القياسة. وتساوي "٠,٦٨" رطل.
٣	التمين	وتساوي "٢,٧٥" رطل.
٤	أقة	وتساوي "٤" ربات، وتساوي "٢,٧٢" رطل.
٥	وقية	وتساوي ربة.
٦	الصاع	وتساوي "٢" ثمين، ويستخدم في وزن الحنطة والشعير.
٧	المن	وتساوي "٢٤" قياسة، ويستخدم في وزن التمر.

المصدر: حسن عبد الفتاح أبو عليه، دراسات في الجزيرة العربية، مصدر سابق

ص ٣٨١.

(١) - عبد الفتاح حسن أبو عليه، دراسات في الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ٢٨١.



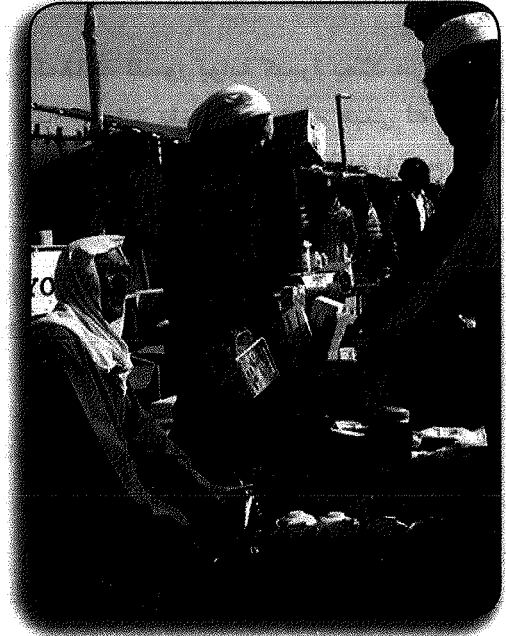
صورة مليئة بمفردات التراث الأحسائي قبل اكتشاف النفط فيها ما يلي:

١. ١- من أقصى اليمين يظهر سور الكوت المسمى ب (اللوحة) و أسفله الخندق.
٢. ٢- مشهد حافل بسوق يوم الخميس، نصب فيه الاكشاك (العماريات) على أطراف السوق.
٣. ٣- يظهر في منتصف المباني المقابلة للسور بوابة كبيرة يمتد من خلفها بقية سوق القيصرية و على يسار البوابة طريق و من ثم مبنى له أعمدة عددها ثمانية، يقال أنها لمدرسة دينية أو لمسجد حسب إفادة الشيخ جواد الرمضان.
٤. ٤- يلاحظ عدم وجود عربات (قواري) تجرها الحمير وسيلة النقل التقليدية لديهم و هذا مؤشر على حالة النقل في الأحساء قبل إكتشاف النفط عام ١٣٥٣هـ.
٥. ٥- التزام الرجال بلبس البشت كزي رسمي آنذاك.



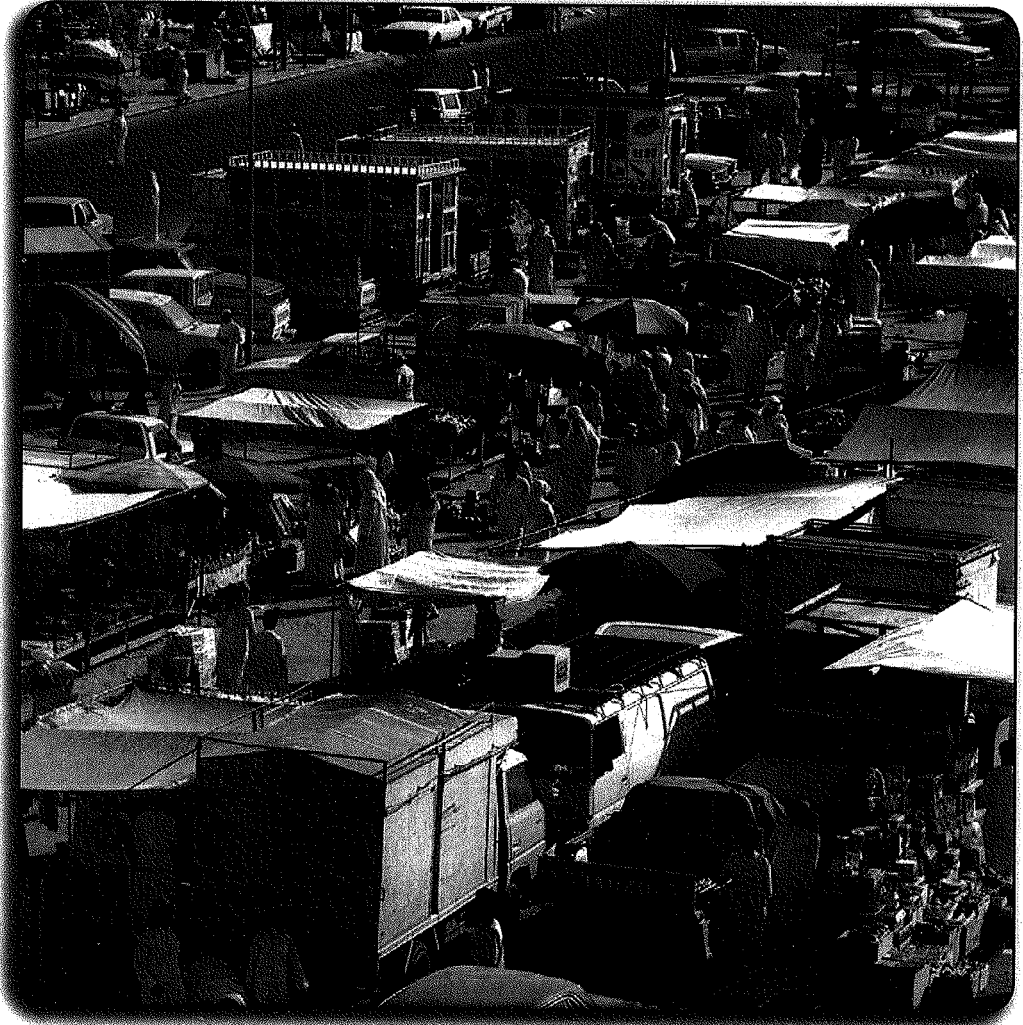
سوق الخميس بمنطقة (الخر) بعد انتقاله من جوار قيصرية الهفوف وحي الكوت حيث مكانه التاريخي العريق آنذاك، وتم الانتقال في السبعينات.

عدسة: عادل القضيبي

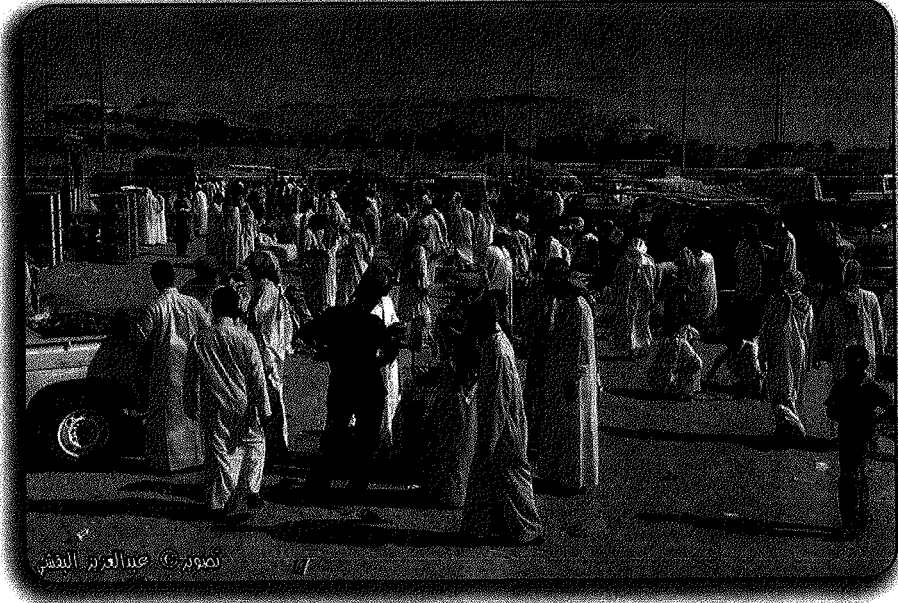


جوانب من سوق الخميس في منطقة (الخر)

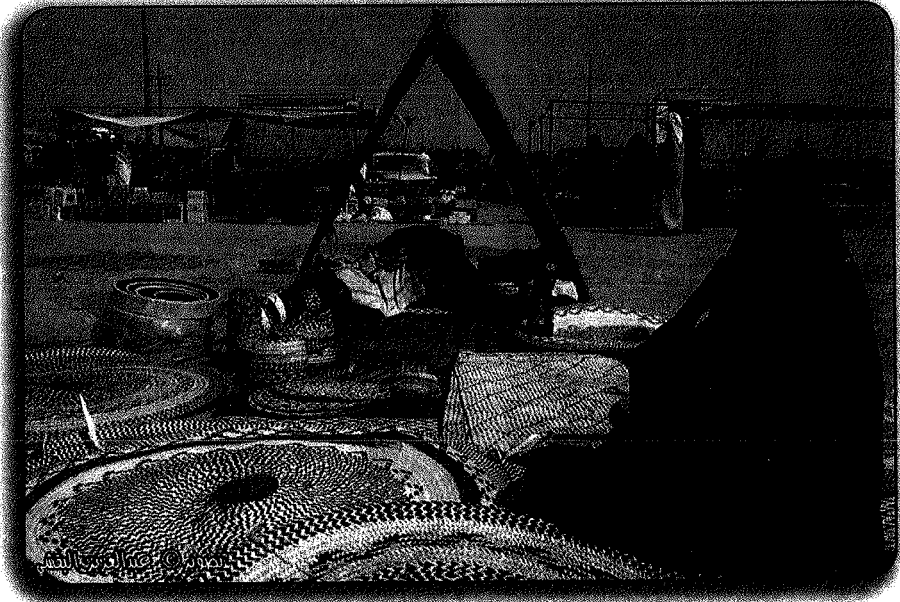
عدسة: استديو الخليفة



سوق الخميس بحي الفيصلية في مدينة الهفوف بعد انتقاله من منطقة (الخر) في عام ١٤٠٠هـ
المصدر: عبد العزيز العياف، المنطقة الشرقية ذاكرة مصورة
عدسة: محمد آل شبيب.



سوق الخميس بعد انتقاله من حي الفيصلية في مدينة الهفوف بجوار مجمع الدوائر الحكومية وهو مقره الأخير في الوقت الراهن و يظهر في الصورة جبل أبو غنيمة، أحد أهم مصادر إمداد المياه لمدينة الهفوف.



جانب من سوق الخميس بجوار مجمع الدوائر الحكومية.

المطلب الرابع

أسواق مدينة الهفوف

أقدم وصف لأسواق مدينة الهفوف، قام به السيد محمد رؤوف الشبخلي عام ١٣٢٩هـ، ذكر أن في الهفوف من المؤسسات التجارية نوع دائم ونوع مؤقت: الأول منها هو نواة سوق القيصرية القائم حاليا، والآخر متمثل في سوق الخميس المنعقد دوريا إلى جوار القيصرية، وقد تطورت أسواق المدينة من هذين المركزين التجاريين وفيما يلي سيتم وصف تطور الحياة التجارية فيهما عبر الفروع التالية:

الفرع الأول: أسواق الهفوف المتحركة «سوق الخميس».

تتركز الحركة التجارية في حاضرة الهفوف قبل عهد النفط في سوق الخميس العام المتاخم لسور الكوت، حيث يعقد بشكل أسبوعي، ومنه يوفر السكان حوائجهم بشكل أسبوعي، بالإضافة إلى بعض المحلات الدائمة، كما وصفه الضابط العراقي العثماني محمد طه الشبخلي عام ١٣٢٩هـ حيث يقول عن أسواق الهفوف آنذاك مايلي:

«أهمها سوق الخميس، وهو الشارع المستقيم «عرضه نحو خمسة وعشرين مترا» خارج الكوت على امتداد الخندق بعد الخروج من باب الكوت، يبتدئ بباب الخميس وينتهي في مخفر الحميدية، لا دكان فيه وإنما هو سوق سيار، يجتمع فيه يوم الخميس من كل أسبوع من الصباح إلى المساء الباعة، من كثير من القرى، ومن نفس البلدة، فيشتري أهل البلدة حوائجهم الأسبوعية منه، وهو يحتوى على كل الضروريات تقريبا.

إذا بدأت من مخفر الحميدية متوجها إلى باب الخميس ترى أولا الحصران، ثم

التمر، والقدر الطينية، و الأحطاب، ثم السمك المقدد، و الأطباق، والأوعية من الليف، والخوص، والأقفاص، والسرر، ثم الفواكه والخضروات، ثم الحبوب بأنواعها، والمراوح، والحصران من الخوص، وسفريات الطعام وما أشبه، ثم الكوازة، والغنم، والبقر، والحمير، والجمال^(١)».

أما فيدال فقد وصف سوق الخميس بقوله: «المحلات المؤقتة تقام خلال سوق الخميس الأسبوعي، ويبدو أن معظم أكشاك البيع تلك كانت تنصب في وسط شارع السوق، وذلك قبل قدوم السيارات، أما الآن ومع كثافة الحركة المرورية فلم يعد ممكنا بقاؤها وسط السوق. تنصب أعداد من الأكشاك على طول جانبي الطريق الرئيسي، ومعظم أصحابها من باعة الطواقي والأحذية البلدية «الصندل»، والأقمشة والسلع التي تتسج وتباع بالقطعة، أو بأطوال محددة والأدوات الزراعية، والخبز. تنصب بعض النساء البدويات أكشاكاً قليلة في ميدان الحميدية؛ لبيع الصوف والمنسوجات الصوفية، ويتركز باعة الحطب بجوار بوابة الخباز، خارج البوابة، وفي ميدان بوابة القرن، وتباع الماشية خارج بوابتي الخباز والخميس، أما الأواني الفخارية، التي جرت العادة على بيعها في نفس المكان الذي يشغله الآن باعة الأواني المعدنية والقديمة، فيمكن شراؤها الآن داخل الأسوار شمالي بوابة الخباز، قرب سوق التمر الحالي، وتباع الإبل، والأغنام، في ميدان الخميس خارج البوابة، وكذلك الحصر، والسلال».

وفي منتصف السبعينات هجرية من القرن السابق، انتقل سوق الخميس إلى مكان يدعى بـ«الخر»، وهو إلى الشمال من الرقيات، ويعد أنذاك خارج الهفوف، وهذا المكان تحول إلى سوق ليس ليوم الخميس خاصة، بل صار مجمعا لبيع المنتجات الزراعية المحلية حيث يزدهر أيام فصل الصيف؛ لكثرة العرض من ثمار الرطب، والليمون، والأترج، والتين والخوخ، والبطيخ، والخضروات بأنواعها كما يوجد بجانبه مقرا لسوق

(١) - محمد طه الشبخلي، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، مصدر سابق، ص ٢٣٨.

البرسيم «الجت»، و عادة ما يبدأ نشاطه في فترة ما بعد صلاة العصر حتى المغرب، ويدعى بـ «السوق الطالعي».

وبعد عام ١٤٠٠هـ انتقل سوق الخميس إلى حي الفيصلية بمدينة الهفوف، وفي الوقت الراهن يقع سوق الخميس إلى غرب مدينة الهفوف، بجوار مجمع للدوائر الحكومية، وهو مجمع يضم أمانة محافظة الأحساء، ومجموعة من المرافق الحكومية التي تقدم العديد من الخدمات كالبريد، والجوازات، والتأمينات الاجتماعية، وغيرها من الخدمات، وهذا المجمع يقع في الجهة الجنوبية من جبل أبو غنيمة، الشهير بموقعه، وإسهامه بتزويد سكان المدينة بكميات وفيرة من المياه المستخدمة، لأغراض الاستهلاك الآدمي.

ومن الجدير بالذكر أن سوق الخميس في موقعه الجديد يدخل ضمن النطاق العمراني لمدينة الهفوف على الرغم من موازاته لامتداد مدينة المبرز، حيث التقسيم حسب الضوابط الذي وضعته أمانة الأحساء، أن الهفوف يفصلها عن المبرز في تلك المنطقة سكة الحديد فما كان في شرق السكة يعد من المبرز وما كان في غربها يعد من الهفوف، وهذا التقسيم يتواصل إلى حدود طريق الملك فهد الممتد من قلب حي الفيصلية ويتواصل حي الرقيقة، وبهذا القيد يكون سوق الخميس ضمن نطاق مدينة الهفوف^(١).

ويحظى هذا السوق بأهمية كبيرة تنمو مع مرور الزمان، فهو بفضل جودة المواصلات من طرق ومركبات أدت إلى تسهيل الوصول إليه من العديد من أبناء دول التعاون الخليجي من قطر والبحرين، ودولة الامارات العربية المتحدة، والكويت، عند زيارتهم لمحافظة الأحساء ضمن برامجهم السياحية، وأحياناً يأتيونه خاصة في بعض الموارد.

(١) -مقابلة مع المهندس سعيد بن عبدالله الخرس.

كما أن هناك أسواق دورية أخرى، منتشرة في مدينة الهفوف ظهرت أخيرا وهي بحاجة إلى رصد في بحث مستقل، ومن الجدير بالذكر أن هناك سوق يدعى بسوق «دعيدع»، يعقد في الجانب المقابل لمدينة الهفوف - في حي الفيصلية- من ناحية حدوده الشمالية لمدينة المبرز، ويجري عليه نفس القيد السابق ذكره في حدود مدينتي الهفوف والمبرز حيث الفاصل بينهما حسب تقسيم أمانة الأحساء للمخططات العمرانية، هو شارع الملك فهد السابق ذكره،، فما كان في جنوب هذا الشارع فهو من مدينة الهفوف، وما كان شمال هذا الشارع فهو من مدينة المبرز، وهذا السوق يعقد في الجانب الشمالي من الشارع المذكور، وأحيانا يتوسط بين المدينتين في حال رواج السوق، وقد مرت بعض هذه الحالات في الماضي، وهذا السوق يقع بالقرب من سوق الحراج، وبالتالي فإن سوق الحراج التاريخي في مدينة الهفوف سابقا - وفق هذا التصنيف- يقع في المرحلة الحالية في مدينة المبرز، وليس الهفوف، وهذه الحالة بين مدينتي الهفوف والمبرز من حيث التلاحم يطلق عليها في علم التخطيط العمراني بالمدن التوأم، حيث تتلاشى الحدود بينهما في واقع الحياة والممارسة، وتبقى أهمية التفصيل فيها لمجرد التأريخ فقط، كما أفاد بذلك المهندس سعيد بن عبدالله الخرس.

الفرع الثاني: أسواق الهفوف الثابتة.

ومنها مايلي:

أولاً: سوق القصيرية بالهفوف. وهي من أقدم الأسواق الثابتة في مدينة الهفوف، ذكرها محمد طه الشبخلي ١٣٢٩هـ في معرض حديثه عن أسواق المدينة دون أن يسميها باسمها التراثي «القيصرية»، حيث أورد وصفا لمجالات تجارية، تشير في تفصيلاتها إلى أنها نواة لهذا السوق الشهير حيث يقول:

«يوجد رواق ذو أساطين، يطل على سوق الخميس، مواز له، فيه دكاكين تبيع أنواع العطارة، والتوتون «الدخان» والنواعم، وداخل هذا الرواق توجد أسواق متعامدة معه يحتوى على دكاكين في طرفي كل منها تباع فيها أنواع الأقمشة وغيرها، ولا يوجد في هذه الأسواق شيء كمالي^(١)».

وقد جاء وصف المؤرخين لتاريخ هذه القيصرية بأنها لم يجدد بناؤها إلا في الفترة ما بين ١٩١٧م - ١٩٢٣م، أي ١٣٣٧ - ١٣٥٧هـ فقد أخذ فيلبي صورة لسوق الخميس سنة ١٩١٧م كانت القيصرية حينها لم تجدد بعد، أو لم يعد بناؤها بعد، لكن المبنى الجديد تم الفراغ منه في سنة ١٩٢٣م عندما صوره شيزمان^(٢)، كما أن هناك صورة^(٣) التقطت عام ١٩٥٠م الموافق ١٣٧٠هـ من قبل الباحث فيدال وهي تشير إلى تجديدها بالبناء المعروف به حالياً، وكان ذلك التجديد بتوجيهات من الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود.



صورة لسوق الخميس في مدينة الهفوف خلال الفترة التي أُرخ فيها الضابط العثماني محمد طه الشخيلي للعديد من مظاهر الحياة فيها عام ١٣٢٢هـ.

(١) - محمد طه الشخيلي، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، مصدر سابق، ص ٢٣٨.

(٢) - فيدريكو شميد فيدال، واحة الأحساء، مصدر سابق، ص ١٣٠.

(٣) - WILLIM FINCYE. THE EASTERN PROVINCE OF ABABIA. P. 57 -

وخلال زيارة فيدال للأحساء وصفها بأنها: شبكة معقدة من ممرات مقنطرة طويلة وضيقة بين الدكاكين التي يقع الواحد منه جنب الآخر، بنيت القيصرية في بداية عشرينات القرن الميلادي الحالي، وتقع في مواجهة سور الكوت بين المستشفى و الحميدية، تصنف الدكاكين في القيصرية حسب تخصصها، فأماكن السلع الجافة تقع على طول الواجهة، تليها دكاكين الملابس في طريقيين موازيين للواجهة، وتقع محلات بيع العباءات في النهاية الجنوبية، والسجاد، والفرش، على طول الجانبين الشمالي والشرقي، وتقع دكاكين الأواني المعدنية القديمة في الوسط.. إلخ»

"والقيصرية من السوق الرئيسي في الهفوف مساحتها حوالي ١٥٠٠٠ متر مربع، بما في ذلك المستودعات وتضم ٤٢٠ حانوتا وتشكل الحوانيت العائدة للبلدية ١٧١ حانوتا تمثل ٤٧٪ من عدد الحوانيت والباقي يعود لملاكيات خاصة وأوقاف وعددها ٢٤٩ حانوتا، وهي تنقسم إلى قسمين أحدهما الجزء الأكبر يمتد بين شارعي الخباز والحدادين والثاني بين شارع الحدادين وسوق الحريرم أو البدو... والقيصرية هي عبارة عن صفوف من المحلات التجارية تتخللها ممرات ضيقة مغطاة وأيضا بين كل مسافة يوجد ممر عرضي بعرض ٢،٥ متر-٣،٥ إلا أن المحلات على الواجهة تطل على ممر مسقوف واجهته كما ذكر، وليس للقيصرية مدخلا محدد إلا أنه يتكرر عقد نصف دائرة في الواجهة أعلى من العقود المجاورة لتأكيد الممرات الجانبية وتقود ممرات القيصرية الخلفية إلى مستودعات والحارات السكنية وأحيانا تمثل بعض الممرات نهايات مغلقة لها عدد من المحلات، أما المحلات فإنها مرتفعة عن مستوى الممر بحوالي ٦٠ سم وبالأرضية بروز على الممر بنفس المستوى يتم عرض البضاعة عليه بعد فتح الباب، والذي يفتح على مصراعيه على الأرضية والنصف العلوي عند عارض الباب العلوي وكان للقيصرية تشريفة مدرجة، وبنيت القيصرية بالحجر الجيري والطين لحوائط حاملة تبلغ سماكتها ٦٠ سم والسقف محمول مباشرة على الحوائط الحاملة ومكونه من عوارض من جذوع النخل أو خشب شجر الكندل عليها حصيرة

سعف النخل تعلوها طبقة طينية، وواجهتها مطلية بالجص، أما الجزء الثاني فهو عبارة عن ثلاثة صفوف فقط أمامي واثنين متقابلين بينهما ممر واسع نسبياً ويصل في نهايته الجنوبية ببائعات الصوف والغزل وسوق التمر سابقاً^(١)

ويلاحظ الباحث من خلال لقاء تم مع المؤرخ الشيخ جواد بن حسين الرمضان، حول تاريخ سوق القيصرية بمسماها العام المتعارف عليه في سوق الهفوف، أن سوق القيصرية قبل عهد النفط يُعتبر أكبر سوق على مستوى الخليج، وهو ميراث اقتصادي نمت مع الزمن من حيث اتساع رقعته، وفقاً لنمو الحالة الاقتصادية وتطورها في سوق الهفوف، حيث في كل حين تأخذ نصيبها من التطوير وفقاً لفعاليات الدول التي تعاقبت على الأحساء، ونمو القدرة المالية للمستثمرين فيها وتحسن الأوضاع الاقتصادية، وبهذا فهي لم تولد بهذا الحجم والاتساع منذ نشأتها.

وفي هذا السياق أشار إلى حالة نشأة قيصريتين واحدة بإسم عائلة البوحليقة وأخرى للرمضان، وتعرف باسمهما وأحياناً تعرف بـ "دكاكين البوحليقة" و "دكاكين الرمضان" كما في اللهجة العامية الأحسائية، وتعتبر مسار نشأة وتطور هاتين القيصريتين داخل سوق القيصرية العام حالة تطبيقية لعملية تطور واتساع رقعتها.

لقد كان موقع كلا من قيصرية البوحليقة و الرمضان مساكن قديمة غير مسكونة وخرائب على حد التعبير الدارج، فقاموا بتعميرها وتأجيرها كمستودعات لتجار القيصرية، ومع مرور الوقت تم التحول لها وفتحها كأسواق، غير أن قيصرية البوحليقة أسبق في الظهور.

كان عبد الله بن عيسى بن موسى بوحليقة المتوفى في أواخر الخمسينات من القرن السابق من ذوي القدرة المالية الكبيرة بين التجار، وصاحب أملاك واسعة من حيازات زراعية ومحلات تجارية، وثروة مالية كبيرة، وقد تم تعمير القيصرية التي تنسب له في

(١) المهندس عبد الله الشايب، سوق القيصرية بالهفوف، مجلة الواحة، عدد ٢٢، السنة العاشرة الربع الأول ٢٠٠٤م، ص ٧-٨.

أوائل الخمسينات ثم بعد عشرين سنة تم تأجيرها كمحلات تجارية، لبيع الكماليات والملابس، وكان عددها ما يقارب من ٢٠ محلا، ومما يعزز كلام المؤرخ "الرمضان"، ما ورد للباحث في رسالة خطية^(١) موجهة للباحث، ورد فيها ذكر مؤسس قيصرية بوحليقة كما يلي:

"عبدالله بن عيسى بن موسى بن محمد علي بن عيسى بن علي ابو حليقة كان وجيها في المجتمع تاجرا، ثريا، كريما وملك جزء من القيصرية بالهفوف تسمى باسم قيصرية آل بو حليقة بالإضافة إلى تسعة دكاكين جهة ما تعرف ببوابة الأثري، وعشرات مزارع النخيل الكبيرة والمشهورة"، وفي تعليق لـ "الرمضان" حول هذا الأثر، قال إن هذه المحلات يملكها رجل اسمه صالح، وكان تواجده في الأحساء، واستمرت تسمية البوابة به لشهرته، وممن اشترى أملاكه عند مغادرته الأحساء عبدالله بن عيسى بن موسى أبو حليقة المذكور، كما اشترى منه أيضا منصور بن عبدالله بن أحمد الرمضان محلات عند البوابة المذكورة.

ومما أفاد به "الرمضان" في هذا الصدد أن قيصرية الرمضان تقع بالقرب من قيصرية البوحليقة، كان تأسيسها من قبل منصور بن الحاج بن عبدالله بن أحمد الرمضان المتوفى عام ١٣٧٧ تقريبا، وذلك في بداية الستينات من القرن السابق، وقد كانت ١٣٦٩هـ مؤجرة وعدد محلاتها ٢٠ محلا، ولما راجت الحركة التجارية في القيصرية أكثر، أيضا تحولت إلى محلات تجارية ولكن في مدة أقصر من تحول قيصرية البوحليقة من مستودعات إلى محلات تجارية، ومن الجدير بالذكر أنهم قد انتقلوا من محلاتهم السابقة في داخل سوق القيصرية، وبالتحديد كان بالقرب من عين يسقى منها أهل القيصرية ويرشون أرضيتها بالماء عند الظهيرة رغبة في تخفيف حرارة الأرض، وإضفاء جو من الرطوبة في أيام الحر القائن، ويقول أيضا أنه كان بجوار تلك العين ما يسمى في اللهجة الدارجة "عسيلة" أي مكان للاستحمام لمن أراد،

(١) رسالة خطية من الدكتور محمد رضا بو حليقة.

وممن استأجر من محلات قيصرية الرمضان الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الملا لبيع الكتب وذلك عام ١٣٧٥هـ، وذلك قبل انتقاله من محله السابق في القيصرية أيضا بجوار باعة الأعشاب المعروفين بـ "الحوايح" حيث بدأ نشاطه هناك عام ١٣٦٧هـ، كما استأجر البعض محلات لبيع البشوت، و بعض منه لبيع الأحذية، منهم محمد بن عبدالمحسن الهودار، وملا محمد عايش عبد الوهاب العوض في عام ١٣٩٠هـ.

لعل في العرض السابق لنشأة هذه المحلات تعطي تفسيراً لكيفية اتساع رقعة السوق على دفعات مع مرور الزمن، وفي إطار الحديث عن القيصريات كأجزاء رئيسة في السوق تكون سوق القيصرية بمعناه العام والمتبادر للباحثين والمتسوقين على حد سواء، هنا من الملائم الاستطراد بذكر قيصرية الحميد لصاحبها حميد الخضير وهو أيضا من ذوي القدرة المالية الكبيرة في الأحياء حيث لديه الكثير من الحيازات الزراعية والأموال في أرجاء الواحة، وقيصريته ضمت سوق الصرافين وممن مارس هذه المهنة في قيصريته علي الحمد، ومحمد المطلق، وهي تشتمل على عدة محلات تجارية تزيد عن ٣٠ محلا تتوسطها مساحة واسعة ومحلات مطلة على هذه الساحة من جهات ثلاث، أما الجهة الرابعة فهي أحد طرق القيصرية يطل عليه محلات، وهذا الطريق يأخذ بالمتسوق منها طريقا إذا أراد اختراقها من الجنوب إلى الشمال حيث يمر بجهة عين الماء أولا ثم سوق البز.

ومن التجمعات الكبيرة في القيصرية ينبغي الإشارة إلى تجمع تجاري كبير لآل ملحم نسبة إلى مجموع محلات أسواق القيصرية، على حد تعبير "الرمضان" ويجاورهم فيها العديد من المحلات التجارية لكل من عائلة النعيم والحذب، وهي محلات متخصصة في خياطة الملابس الرجالية، يخيطنون في محلاتهم وخارجها ويبيعونها في تلك المحلات، مضافا عليها جميع المستلزمات الرجالية من: ملابس داخلية، وغتر، وطواقي، وعقل، ومن الجدير بالذكر أن تجار عائلة الملحم قد استأجروا محلات من البلدية، كما اشتروا محلات تعود ملكيتها للقصيبي والعجاسي قبل تحول نشاطهم

التجاري إلى المدن الحديثة كالخبر والدمام، والمحلات العائدة للعائلتين المذكورتين ليس لعرض تجارتهم فيها، لاختصاص سوق القيصرية بتجارة التجزئة، بينما تجارة العائلتين في مجال الجملة، ومكاتب تسويقهما في النعائل في منازلهما وهذا يعد نوعاً من الوجاهة التجارية والاجتماعية في تلك الفترة، وأخيراً أقاما لهما محلات كبيرة خارج القيصرية ومقرها في الوقت الراهن محل البنك الأمريكي، حيث في السابق توجد عمارتين كبيرتين أحدهما تحولت إلى مبنى البنك الأمريكي، وهي متاجر كبيرة الحجم وبنائها من حيث الجمال، وارتفاع مقاس البوابات ما يلفت انتباه الزائر لسوق الأحساء، وعلى ذكر المحلات التجارية الكبيرة واختصاص سوق القيصرية بالتجزئة وليس الجملة، يلاحظ أن محل منصور الرمضان مارس بيع الجملة أيضاً ولكن يتم التعاقد في المحل، أما صرف الكمية المباعة تتم وفق سند يقوم بإيصاله المشتري إلى مسئول المستودع، وهو مستودع كبير، به قبان كبير لوزن الكميات الكبيرة، كما أن من الملائم ذكر فئة أخرى في سوق القيصرية، وهم "الشريطية" على حد تعبير اللهجة الأحسائية الدارجة ويقصد بهم تلك الفئة التي تمارس بيع التجزئة ولكن لا تشتري بضائعها من تجار الجملة في سوق الأحساء كالعجاجي، والقصيبي، والبوحليقة، والرمضان، ولا تتعامل مع منتجي وتجار تلك السلع في منشأها، وإنما تأخذ بضائعها من البحرين، وهم من صفار فئة التجار.

وفيما يلي جدول رقم "٥/٥"، يشتمل على البضائع التي يتم تسويقها في قيصرية الهفوف وتصنيف لبعض أسماء العوائل التي كانت تمارس مهنة التجارة فيها، وذلك بحسب إفادة بعض من مارس التجارة أو التسوق فيها.

جدول رقم "٥/٥": البضائع التي يتم تسويقها في قيصرية الهفوف وتصنيف لبعض أسماء العوائل التي كانت تمارس مهنة التجارة فيها "حسب إفادة المصدر المدرج أسفل الجدول"

الفصل الخامس : ملامح الحياة الاقتصادية لسكان مدينة الهفوف

الدخان	المراتب القطنية والاسفنجية	منسوجات الملابس (جملة)	منسوجات الملابس	الرجال وأوعية النقل	الأحذية	البشوت والعباءات	الحبوب والأغذية	الصرافة	الملابس الجاهزة بالجملة	الكماليات والعطور	الملابس	الأعشاب	العائلة
						*							الأحمد
			*										الأمير
			*										البقشي
			*										البن الشيخ
						*							البنيان
									*			*	التحو
										*			التخيفي
									*	*			الحواج
						*							الحمام
									*		*		الحذب
					*								الحداد
								*					الحمد
			*						*			*	الخرس
										*		*	الخليفي
					*								الخليفة
							*						الخوفي
						*				*		*	الخواجة

الدخان	المراتب القطنية والاسفنجية	منسوجات الملابس (جملة)	منسوجات الملابس	الحبال وأوعية النقل	الأحذية	البشوت والعباءات	الجوب والأغذية	الصرافة	الملابس الجاهزة بالجملة	الكماليات والعطور	الملابس	الأعشاب	العائلة
						*							الدويل
*													الراشد
						*							الرشيد
			*										الرمضان
												*	السبتي
					*								السهلاوي
		*						*					السبيعي
				*									السلطان
							*						السليمان
				*									الشعبي
							*						الشمس
												*	الصباغ
*													الصبيحة
*			*										الغزال
							*						القرقوش
							*						القضيب
*	*					*	*	*		*		*	القطان
							*						الكويتي
			*				*					*	العامر

الفصل الخامس : ملامح الحياة الاقتصادية لسكان مدينة الهفوف

الدخان	المراتب القطنية والاسفنجية	منسوجات الملابس (جملة)	منسوجات الملابس	الرجال وأوعية النقل	الأحذية	البشوت والعباءات	الجيوب والأغذية	الصرافة	الملابس الجاهزة بالجملة	الكمايات والعطور	الملابس	الأعشاب	العائلة
	*												الغانم
		*											العجيان
									*				العلبوي
						*							العمار
								*					العمران
			*										الملا
		*					*						المعيلي
	*												الهزيم
								*					الكليب
								*					المطلق
													المعيلي
		*						*	*	*	*		الملحم
							*						الموسى
												*	النحوي
									*		*		النعيم
												*	الهاجري
									*				الهودار
											*		الوايل

المصدر: من إعداد الباحث، وقد تم جمع هذه المعلومات من خلال جلسات متعددة في كل من مزرعة رجل الأعمال أمين بن إدريس الخواجة، ومزرعة رجل الأعمال الحاج حسن بن محمد البقشي، بمشاركة وحضور كل من: محمد بن أحمد بن عبد المحسن بوجبارة، والأستاذ عبدالمجيد بن أحمد الحسن بن إبراهيم، والأستاذ جعفر بن محمد علي العبد الباقي، و علي بن حسن بن عبدالمحسن العبد الباقي، و باسل بن حسن بن محمد البقشي، وراضي بن جمعة بن حسن الخليفة، وصالح بن محمد السماعيل، وأحمد بن محمد بن عبدالمحسن بوحليقة.

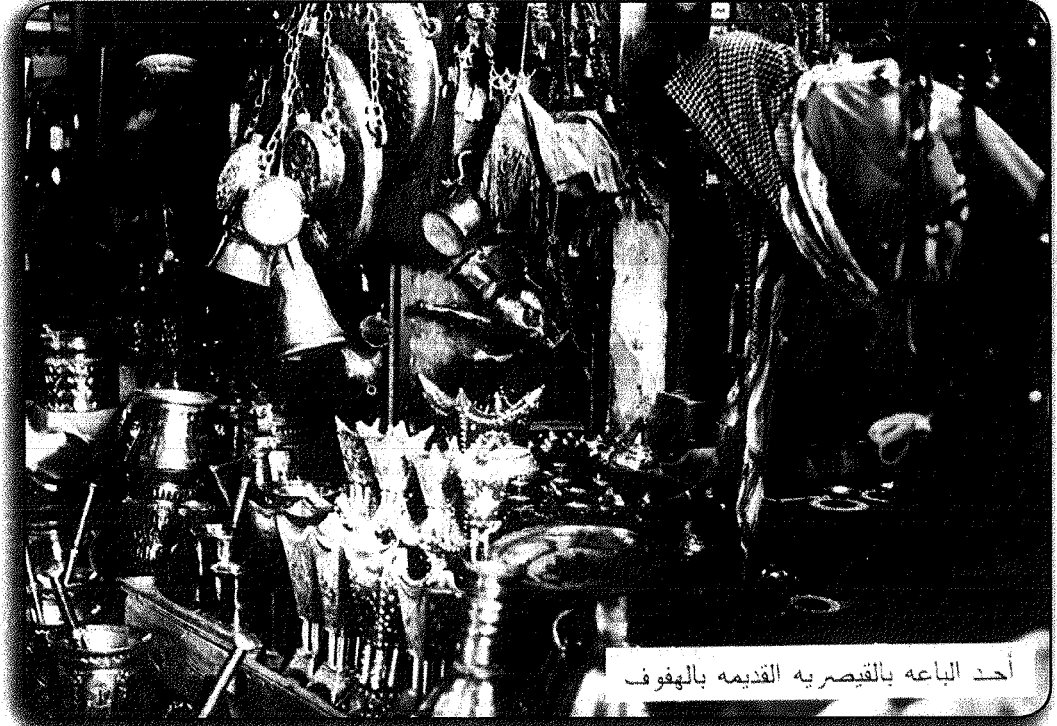
وقد تعرضت القيصرية إلى حريق أتى عليها بكاملها وذلك بتاريخ ١٤٢٢/٨/٢هـ، الأمر الذي استدعى رئاسة بلدية الأحساء بمسماها السابق، أن تحول سوق الخضار المتواجد بالقرب من المقبرة المتاخمة للفاضلية، بعد انتقال سوق الخضار إلى مقره الجديد بالقرب من مجمع الدوائر الحكومية في غرب الهفوف، وحولوا ذلك السوق بعد إضافة التعديلات اللازمة عليه إلى سوق ضم الكثير من أصحاب المحلات التجارية في القيصرية، والبعض منهم انتقل إلى المحلات المجاورة في حي الكوت وإلى شارع الخباز الذي كان سابقاً يؤدي إلى دروازة الخباز الأثرية، أما القيصرية فقد تم إزالة مبناها القديم، وأعيد البناء بشكل تراثي جميل، كما تم إزالة المباني المقابلة له المشيدة على الخندق المحيط بسور الكوت بعد هدمه عام ١٣٧٧هـ، تلك التي غيرت معالم الشارع الكبير المطل عليه، والتي كانت تفصله عن حدود حي الكوت القديم. ومن الجدير بالذكر أن هذا الشارع لفت انتباه كل من زار الأحساء وكتب عنها، فقد التقط له فلبى عدة صور، وعبر عنه الريحاني بأنه ريفيرا الأحساء، وقد أشاد به وبسعته، بل وصفه بأنه أوسع شارع في الجزيرة العربية آنذاك، كما وصفه المؤرخ العثماني طه الشبخلي وصفاً دقيقاً، شمل السلع وتنظيمها في السوق، وبهذه التحسينات عاد للشارع وجهه التراثي الأصيل وهذا الجهد نتيجة تضافر همم عالية من أجل الحفاظ على التراث الذي تسعى له الهيئة العليا للسياحة والآثار في المملكة العربية السعودية إلى

إحياء وإبراز كل ما يتصل بهذا الشأن على مستوى المملكة ومنها محافظة الأحساء وذلك بجهود كبيرة من أمينها الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، وجهود ودعم من محافظ الأحساء الأمير بدر بن عبدالمحسن آل جلوي، وتخطيط ومتابعة من قبل أمانة الأحساء ممثلة في جهود أمينها المهندس فهد بن محمد الجبير والفريق العامل معه الذي ترك بصمة وطنية ستحسبُ لها جنباُتُ واحة الأحساء بأسرها في سجل إنجازاته؛ لما شيد من بنية تحتية كانت الأحساء بأمس الحاجة إليها، شملت إعادة هندسة الطرق، والأرصفة، وإنارتها، وتشديد أنفاق وجسور، وتغيير في هيكلية العديد من الأسواق ومواقعها، والعديد من الإنجازات التي تحتاج إلى رصد بشكل أكثر تفصيلا لأهميتها، فجميع أرجاء الواحة تشهد بدوره الفعال بشكل عام، وبشكل خاص مركزها التراثي في مدينة الهفوف.

وقبل الحريق في التاريخ المذكور حافظت القيصرية على طابعها التراثي القديم من حيث البناء، غير أنه بدت عليها معالم التصدع والقدم، أما من حيث تقسيم محلاتها التجارية الوارد ذكره فلم يتغير منه إلا النزر اليسير، فقد غزت المحلات الأمامية، والمطلّة على الشارع الرئيسي بعض السلع الإلكترونية كالساعات، ومحلات بيع الأحذية المستوردة خاصة منها القريبة من محلات بيع الأحذية المصنوعة محليا، والتي تفتersh الأرض كمقر لصناعتها وبيع منتجاتها، والواقعة في الركن الشمالي الغربي من القيصرية.

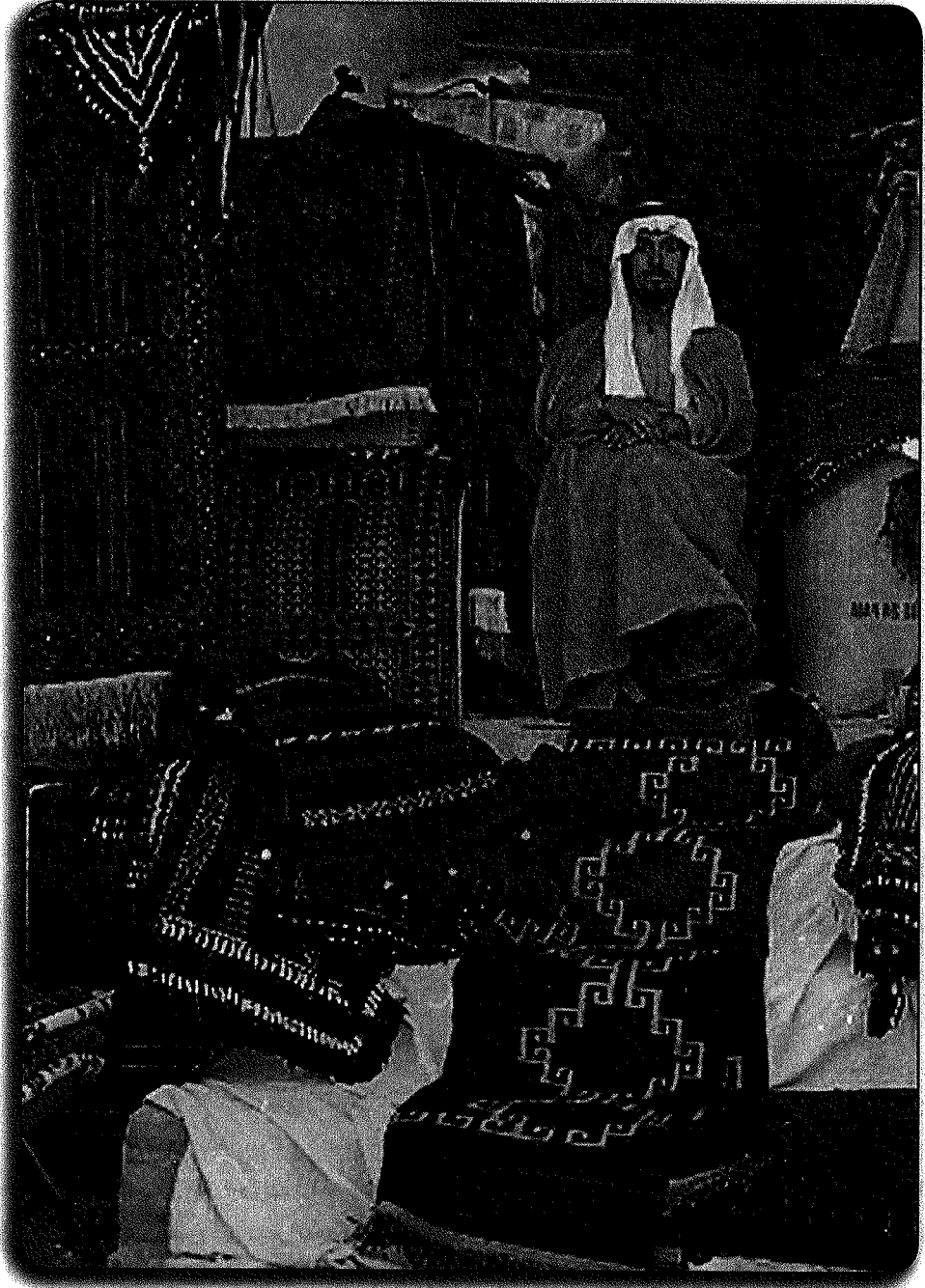
هذا وقد وصف فيدال خلال زيارته لمدينة الهفوف عام ١٩٥١م بأنه يوجد بجانب القيصرية أماكن ثابتة للتسوق في حاضرة الهفوف منها: سوق اللحم، وسوق الدهن جنوبي مبنى الحميدية، وسوق الأبواب، والنوافذ الجاهزة، شمال مبنى المستشفى، وبقالات تقع على طول شارع المفيرق، وسوق التمر، والذي كان سابقا على الشارع المؤدي إلى بوابة الخباز، ومحلات تجار الجملة، وكذلك محلات بيع الأدوات المعدنية الواقعة على جانب سور الكوت في شارع السوق الجنوبي لبوابة الكوت، وتوجد مجموعة من الدكاكين التي رغم تشييدها من قوائم خشبية وحصر، إلا أنها تبدو وقد اكتسبت

صفة الديمومة، تقع هذه الدكاكين شمالي بوابة الكويت، مواجهة مبنى المستشفى، ويعد هذا مركز الهفوف للسلع التقليدية، حيث يباع السجاد، ودلال القهوة، وأنواع الهاون، وصناديق الكويت، وسرج الإبل والخيام المستعملة.... إلخ.

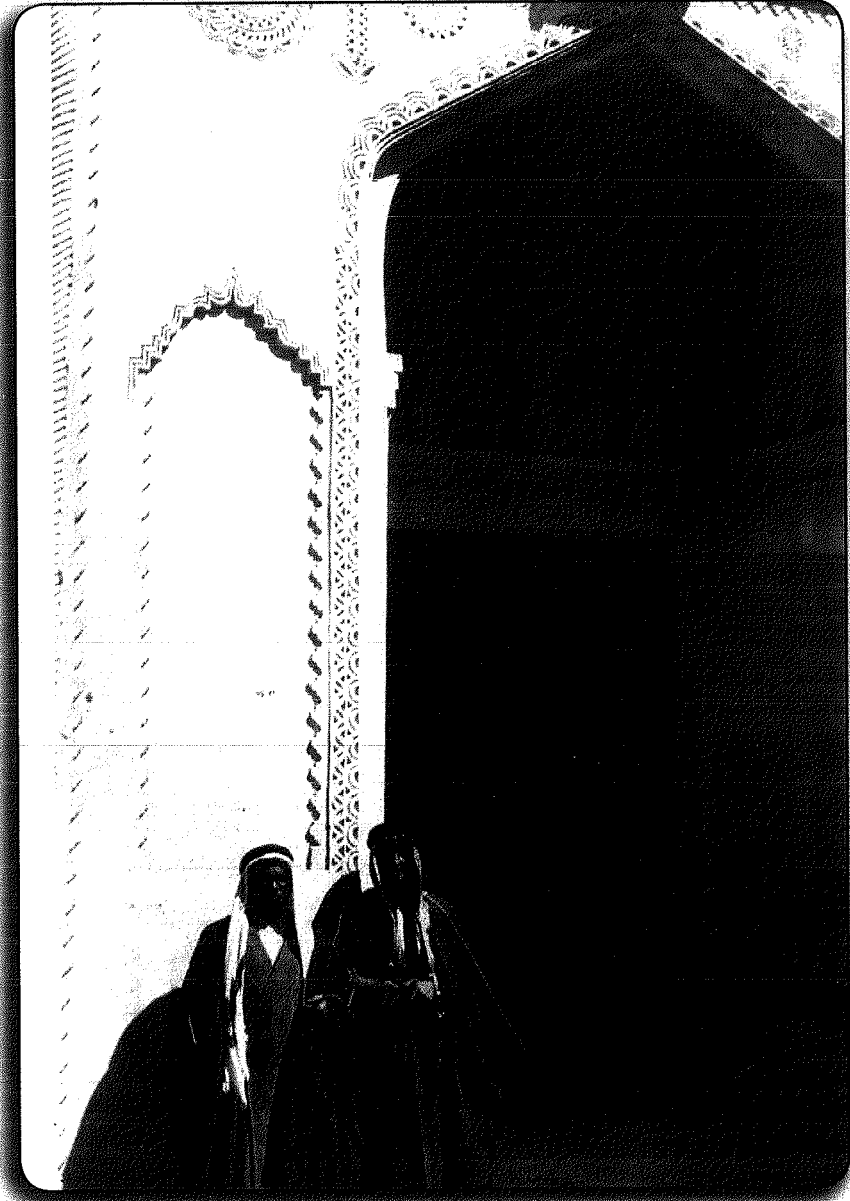


أحد الباعه بالقيصريه القديمه بالهفوف

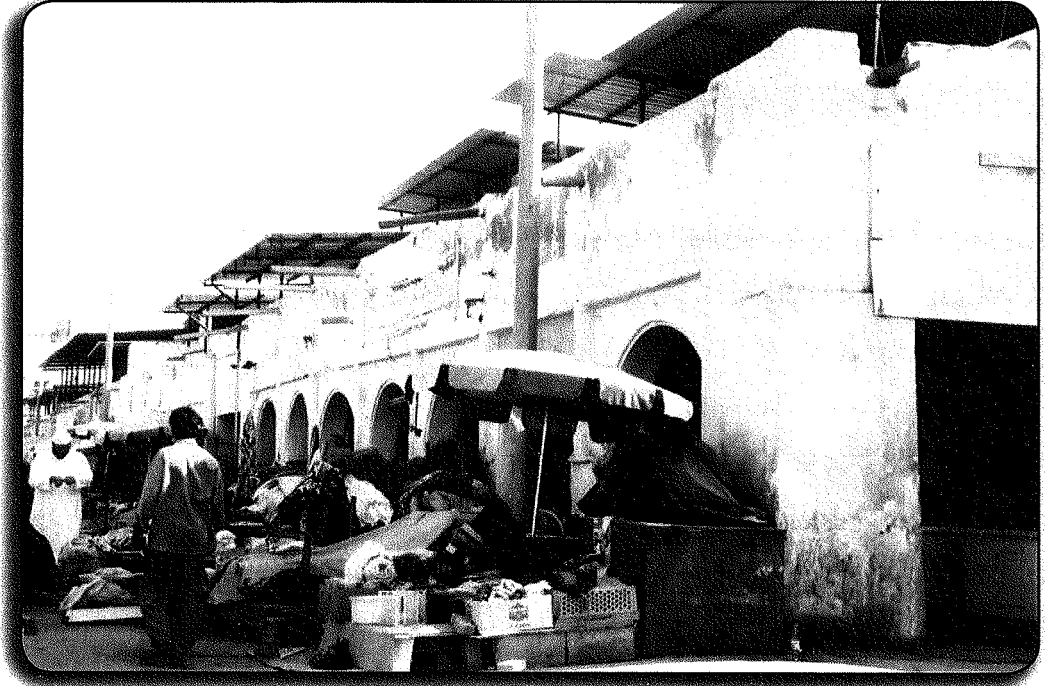
أحد المحلات التجارية في سوق القيصريه في مدينة الهفوف و هو مختص في بيع أدوات منزلية خاصة بأمور الضيافة مثل المبخر، و الهاون، ومنفاخ لإشعال النار عند إعداد القهوة، وأباريق عدسة: أستديو الخليفة



أحد المحلات التجارية في سوق القيصرية بمدينة الهفوف لبيع السجاد.
عدسة : أستديو الخليفة



متجر القصيبي، وهو من أبرز المراكز التجارية في الهوف، وأكبرها من حيث وفرة السلع والتجهيزات، يختص في بيع الجملة، وموقعه خارج سوق القيصرية، إلى الشمال منه (موقع البنك الأميركي سامبا حالياً)، تم البناء في بداية الأربعينات هجرية من القرن الماضي و التقطت الصورة عام ١٣٥٧هـ.



سوق القيصرية بمدينة الهفوف قبل احتراقه في تاريخ ١٤٢٢/٨/٢هـ و يبدووا في حالة من التصدع، و تخريب لشكله التراثي، جراء بناء أسقف حديدية مستعارة من قبل أصحاب بعض المحلات التجارية فيه حيث أقدم البعض على اختراق السقف لعمل مستودعات خاصة بمحله التجاري. فأدى إلى انهيار أجزاء من السقف.

(عدسة: الباحث عام ١٤٢١هـ)

غير أن معالم المدينة تعرضت لبعض التغير على أثر إزالة سور الهفوف التاريخي من جهة وذلك عام ١٣٧٧هـ ومن جهة أخرى لزيادة فاعلية التطورات الاقتصادية التي تمر بها البلاد من جراء اكتشاف النفط، و انتعاش الوضع الاقتصادي بدخول البلاد مرحلة الطفرة الاقتصادية عام ١٣٩٠/١٣٩١هـ، حيث هجرت الكثير من العوائل مساكنها في أحياء المدينة، وانتقلت إلى الأحياء الحديثة، تاركة المجال لتوسع الحركة التجارية في مركز المدينة، وبذا رجحت كفة المحلات التجارية بشتى أنواعها

من محلات بيع الذهب، والمجوهرات، والملابس النسائية والرجالية، والكماليات، والعلطور، والأحذية، والحقائب، والأدوات المنزلية، والمواد الصحية والكهربائية، والأجهزة الكهربائية.

ثانياً: سوق دروازة الخميس. وهو يقع شمال مدينة الهفوف، بجوار بوابة الخميس، وقد تخصص في بيع الأجهزة الكهربائية من التلفزيونات والثلاجات والغسالات، والمكيفات، والمسجلات..... إلخ.

ثالث: سوق شارع البلدية. وهو يقع في الطرف الجنوبي لحي الكوت نفس مكان سور الكوت، وقد اختص في بدايته ببيع المواد الصحية، والكهربائية و الصيدليات. وفي عهد الطفرة الاقتصادية تحول شيئاً فشيئاً إلى محلات لبيع الأحذية، والكماليات الرجالية، من: ساعات وعلطور، وغيرها، وأول من وجه تجارة هذا السوق بهذه البضائع هم الجالية اليمنية، مستفيدين من فرصة تواجد العمالة الأجنبية في هذا السوق وبالتحديد في بداية شارع البلدية، وذلك عصر يوم الجمعة حيث صار لهم محطة لقاء وتسوق لهداياهم كل حسب جنسيته، وكانت الجالية الهندية ولا زالت إلى الوقت الراهن لكثرة تجمعها في هذا الموقع، تجعل المشاهد لها وكأنه في أحد أحياء مدينة بومباي لكثرتهم، ولا يزال السوق يمارس نفس التجارة.

رابعاً: سوق عمارة السبيعي. وهو من الأسواق الحديثة في الهفوف بعد اكتشاف النفط، ويقع في حي النعائل إلى الجنوب من حي الكوت، وقد تخصص في تأسيسه بالحديث والجديد من الملابس النسائية الجاهزة، والكماليات والعلطور والساعات، والحقائب، والأقمشة حتى لقد بلغ حد التباهي باقتناء مبيعاته واقتصارها على الأغنياء والميسورين، بخلاف سوق القيصرية تماماً، كما تضمن السوق محلات لبيع الأقمشة الرجالية المتميزة، ومركزا تموينيا حديثا، وعنوانه التجاري «بقالة فلسطين»، يملكها

أحد الفلسطينيين، وبياع فيها السلع الفاخرة من المواد الغذائية، التي لا توجد غير في أسواق الخبر آنذاك، حيث يرتادها العمال الأجانب من شركة أرامكو، ولا يماثلها في الأحساء غير بقالة أخرى تقع إلى جوارها، خارج عمارة السبيعي تدعى ب«بقالة العائلات» تبعد عنها أمتارا في حي الكوت.

وفي عهد الطفرة الاقتصادية تلاشت منه حالة التميز ببيع السلع النسائية الفاخرة، وراجت فيه السلع التي يطلبها العمالة الأجنبية المقيمة في المدينة، والتي تزامن وجودها في الأحساء في مرحلة الطفرة الاقتصادية على أثر استقدامهم من بلدانهم للعمل في مشروعات التنمية الاقتصادية من بنية تحتية، والعمل في مشروعات القطاع الخاص سواء منها الأنشطة التجارية والصناعية، والزراعية، وبذا تحولت جميع المحلات إلى بيع الملابس الرجالية المناسبة لهم، بدلا من النسائية مع بقاء محلات بيع الكماليات، والساعات، والعطورات، وكثرت محلات بيع الحقائب فيها، هذا وبدا التركيز في هذا السوق للملابس الرجالية في الآونة الأخيرة، حتى للمواطنين أنفسهم.

خامسا: سوق السويج. ويقع طرفا منه في حي النعائل، والآخر في حي الرفعة في شارع اصطالحوا عليه بشارع عبد ربه، وهو شارع موازي لشارع الباحوث، وهو من الأسواق النسائية إلا أنه يأتي في المرتبة الثانية بعد عمارة السبيعي آنذاك، ويمتاز عنه بوجود محلات لصياغة الذهب والفضة وبيعهما، وشارع عبد ربه المذكور به محلات تجارية دائمة على جانبي الطريق، غير أن جانبه الجنوبي قد أزيل في أول التسعينات هجرية من القرن الرابع عشر هجري، وتحول موقعه إلى موقف سيارات.

وفي عهد الطفرة الاقتصادية، وبسبب اختصاص سوق عمارة السبيعي بالرجال، نشطت في سوق السويج حركة تجارية في مجال الملابس النسائية بشكل مميز أكثر

مما كان في الماضي، سواء منها الجاهزة، أو الكماليات، والعطور، والصناعات الجلدية، حيث زحفت المحلات على المساكن فتحولت جميع المساكن على طرفي الشارع العام الممتد إلى بوابة الجرن المعروفة قديما، ووصل الحال بها أن غزت حتى المساكن في السكك الضيقة المتفرعة من هذا الشارع، ولعل من أبرز مظاهر توسع الحركة التجارية في محلات بيع الملابس النسائية ومستلزماتهن، قيام شارع الماجد في حي النعائل، وهو موازي لشارع السوق العام من الناحية الغربية له، وقد تميز بقيام العديد من المجمعات التجارية الحديثة، وعلى أثر رواج الحركة التجارية لبيع المستلزمات النسائية، قام في الشارع المتقاطع مع شارع الماجد من طرفه الشمالي، والمعروف بشارع بن غنيم، سوقا لخدمات الخياطة النسائية، يعمل فيها أفراد الجاليتين الباكستانية والهندية، ونظرا لحاجة هذه العمالة إلى مساكن قريبة من أعمالهم فقد تحول جزء كبير من حي النعائل إلى مساكن خاصة لهم، ومرافق لخدماتهم من مطاعم، ومقاهي، وبقالات ومحلات بيع حلويات خاصة بهم، ورافقها أيضا محلات تجارية لبيع السلع الخاصة بهم من ملابس وهدايا.

سادسا: سوق الصاغة والمجوهرات. وهو من أقدم أسواق الحاضرة قبل عهد النفط، فقد رصده «فيدال ١٩٥١م» في خريطته، وهو يقع في محلة الرفاعة بحي الرفعة الوسطى، ويعد من أبرز الأسواق التجارية في مدينة الهفوف لجودة مصوغاته الذهبية والفضية، وهو لا يزال إلى الوقت الراهن يمارس دوره بنفس القوة السابقة، ويزيد عليه بكثرة معروضاته، وجمال صياغته، غير أن أهم ما في الأمر أن في السابق كان أغلب معروضاته من إنتاج الأحساء وبعض منه يستورد من بعض الدول: كسوريا والهند، أما في الوقت الراهن فقد غلب عليه المصوغات المصنوعة آليا أو عبر العديد من المشاغل اليدوية، وسيتم تفصيل ذلك في الفصل الخامس الخاص باقتصاد مدينة الهفوف عند الحديث عن صناعة الذهب.

سابعاً: سوق المزار. وهو من الأسواق التي نشأت بعد اكتشاف النفط وكان يختص في بيع الخضروات، والفواكه، والأسماك، وهو يقع غرب حي الكوت، كما يقع بالقرب منه سوقاً لحراج الشامم والبطيخ خاصة، أما في عهد الطفرة الاقتصادية فقد تضاءلت الحركة التجارية فيه، خاصة في بيع الفواكه، والخضار، وذلك بسبب قيام سوق جديد للخضار والفواكه، وذلك في مقر السوق الطالعي المشار إليه آنفاً والذي يحده من الشمال و من الجنوب، ومن الشرق مقبرة للشيعية، ومن الغرب حي الرفعة بتأسيس من بلدية الأحساء وذلك عام ١٣٩٧هـ، أما بالنسبة لبيع الأسماك فقد ضعفت الحركة التجارية عن ذي قبل وانتقلت في مجمع يقع في حي الكوت يقابله من الناحية الشرقية.

ثامناً: سوق المنتجات الخشبية. ويقع في حي الفاضلية، وقد بدأ في أولى مراحلها بعد اكتشاف النفط كمستودعات للخشب، والباسكير، و طعام المواشي «الهيذ»، ومع مرور الزمن، وتنامي الحركة الاقتصادية في المدينة، تحول السوق إلى ورش نجارة الموبيليا الحديثة المصنوعة من الخشب المستورد، والأبواب، والشبابيك، ودواليب الحفظ، والطاولات، ولا يزال السوق عامراً إلى الوقت الراهن، يمارس دوره في المنتجات الخشبية، حيث يتخصص في بيع المنتجات المحلية، وغير المستورد في أغلب مبيعاته.

تاسعاً: سوق الحراج. وكان يقع بجوار دروازة الخميس، وأكثر معروضاته من السلاح^(١)، هذا قبل عهد النفط، واستمر على هذا المنوال حتى بعد اكتشاف النفط، ولكن لم يمارس ذلك كما كان سابقاً، إذ تحول إلى بيع المقتنيات المستعملة، ومقره الحالي في مدينة المبرز حسب تقسيم محافظة الأحساء لحدود المدينتين التوأمتين، حيث يقع بعد الشارع الفاصل بين مدينة الهوف والمبرز من جهة حي الفيصلية،

(١) - في إحدى السنوات احترق بالكامل وأنداك تطاير الرصاص، فوق أسطح المنازل، مما تسبب في احتراق معظم فرش النوم المكشوفة في سطوحها، حيث لا مفر آنذاك لسكان المدينة من النوم على سطوح منازلهم ليلاً؛ لعدم إمكانية توفير أجهزة التكييف للغالبية العظمى من سكانها كما مر سابقاً.

فمن حيث الممارسة الطبيعية لسكان المدينتين يتوقع أنه ضمن مدينة الهفوف، وذلك لشدة التلاحم وتلاشي الحدود فيما بينهما بشكل ظاهر، وهذا التقسيم سبق الحديث عنه عند ذكر سوق الخميس التاريخي كسوق متحرك، ومن أراد التوسع فليراجع، وفي الزمن الحالي يغلب عليه بيع الأثاث، والأجهزة الكهربائية، والأبواب والنوافذ المستعملة، وأغلب رواده من فئة الدخل المحدود، والعمالة الأجنبية.

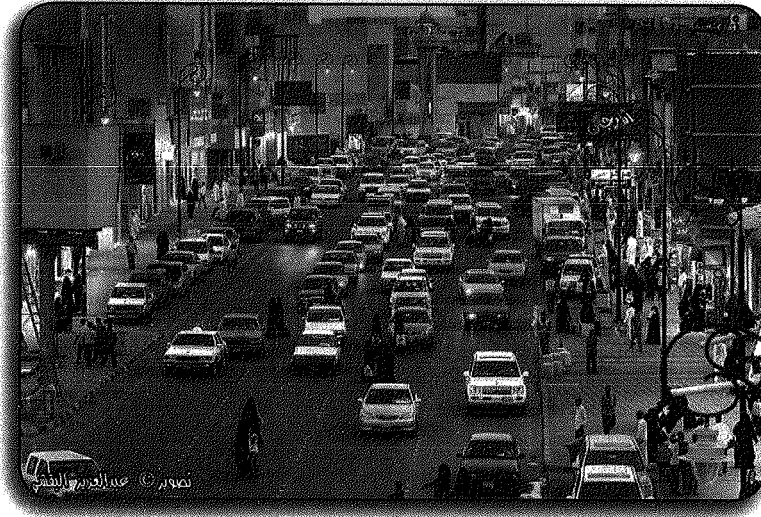
وفي الوقت الراهن يوجد العديد من الأسواق الحديثة التي دخلت مدينة الهفوف وهي تعكس بصدق أثر الطفرة الاقتصادية الأولى والثانية التي مرت بالبلاد، حيث توجه إليها العديد من الاستثماريين وأضافوا صروحا تسويقية في غاية الأهمية منها أسواق «هايبر بنده» بجوار المجمع الحكومي المذكور آنفا، وآخر على الطريق المؤدي إلى طريق الرياض، وأسواق المزرعة على طريق قطر، وفي حي الفيصلية يوجد أسواق اليحي، والعامر، والعديد من المراكز التسويقية الهامة، أما سوق العثيم وهو من حيث التصميم والمساحة وكثرة السلع ومستواها، يعد أهم أسواق محافظة الأحساء في الوقت الراهن، ويعد وفقا لتقسيم أمانة الأحساء لمدن المحافظة تابعا لمدينة المبرز، وبهذا القيد يكون أيضا أسواق البستان الواقعة على طريق الثريات تابعا لمدينة المبرز أيضا.



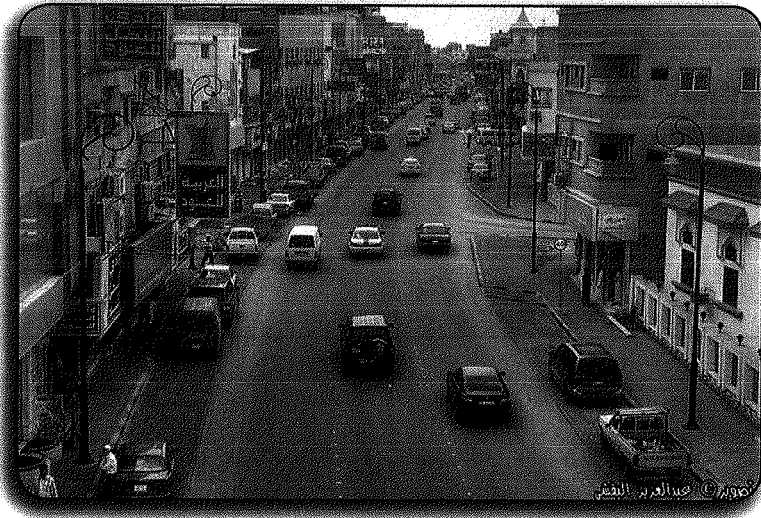
سوق عمارة السبيعي في مدينة الهفوف كان مختصاً بالمستلزمات النسائية قبل عهد الطفرة الاقتصادية، غير أنه تحول إلى المستلزمات الرجالية في الوقت الراهن.



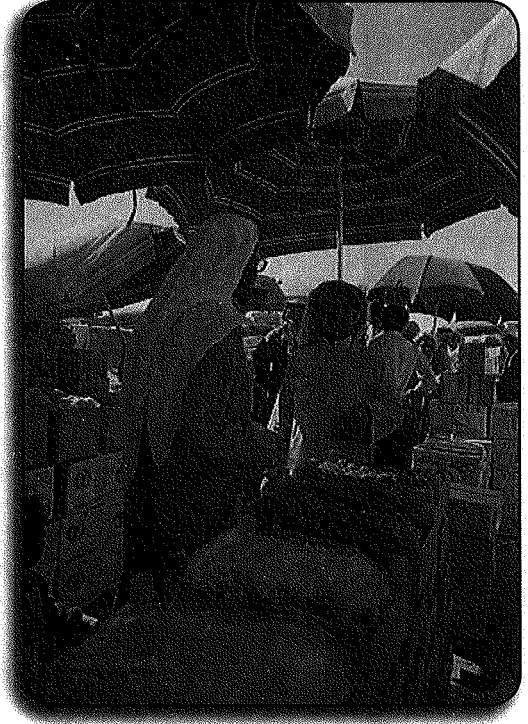
شارع البلدية وقد تم تشييده على أنقاض سور الكوت بعد ازالته قبل عام ١٣٧٣هـ وكان في السابق تباع فيه المواد الصحية والكهربائية، ويوجد به عدد من الصيدليات وعيادات طبية، و مركز حديث لبيع المواد الغذائية يدعى (بقالة العائلات)، وتحوّل في عهد الطفرة الاقتصادية إلى سوق للمستلزمات الرجالية، كسوق عمارة السبيعي.



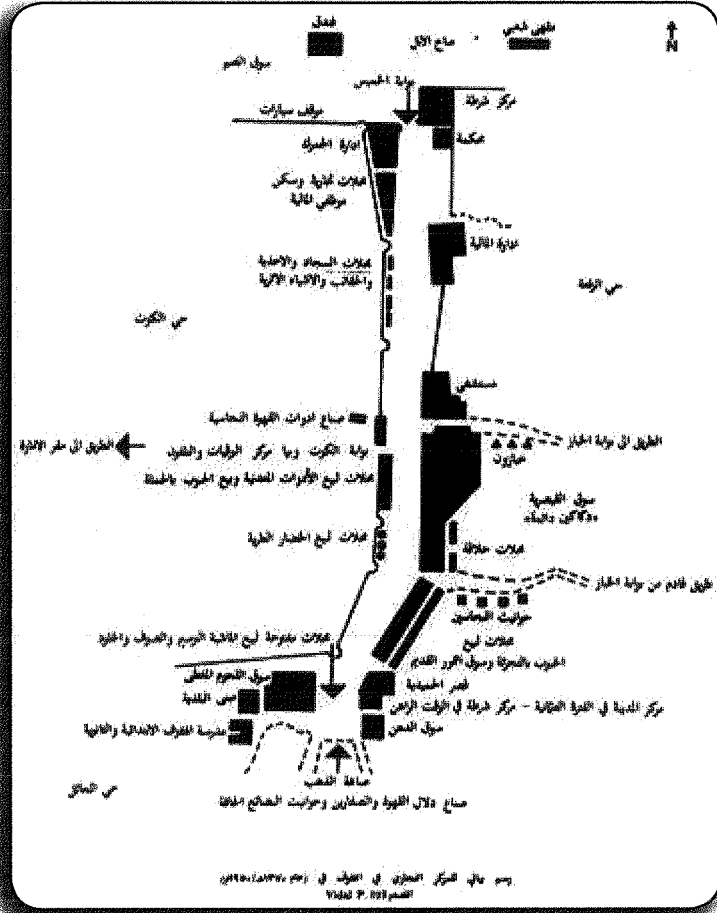
شارع الماجد في حي النعائل بمدينة الهفوف يشتمل على محلات تجارية لبيع المستلزمات النسائية وقد نشأ هذا السوق في عهد الطفرة الاقتصادية.



شارع السويج في مدينة الهفوف يشتمل على محلات تجارية لبيع المستلزمات النسائية وقد واصل نشاطه في هذا المجال إلى عهد الطفرة الاقتصادية.



سوق الخضار يقع شرق مدينة الهفوف تأسس عام ١٣٩٧ هـ و تم الانتقال منه إلى جوار مجمع الدوائر الحكومية بالقرب من جبل أبو غنيمة، وقد أعادت البلدية تجهيزه بعد الانتقال منه، ليصبح سوقاً بديلاً مؤقتاً لأصحاب المحلات التجارية في سوق القيصرية بعد احتراقها يوم الخميس في ٢/٨/١٤٢٢ هـ



رسم بياني للمركز التجاري بمدينة الهوف عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م

من إعداد (د.فيدال)

المصدر: د.فيدال، واحة الأحساء،

ترجمة د. عبد الله السبيعي.

المطلب الخامس

السلع في أسواق حاضرة الهفوف، والآثار الايجابية والسلبية لاكتشاف النفط عليها

خلال زيارة كل من فيدال مؤلف كتاب «واحة الأحساء» خلال الفترة من ٨ أكتوبر إلى ٢٣ ديسمبر ١٩٥١م أي في عام ١٣٧١هـ، و إبراهيم العلاوي ما بين يوليو ١٩٧٢م وحتى سبتمبر ١٩٧٥م للأحساء وترددهما في مدنها وقراها في سبيل إنجاز رسالتيهما العلمية، استطاع هذين الباحثين رصد العديد من مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية في محافظة الأحساء بعد اكتشاف النفط، لمعايشتهما واقعا عن كذب، وعليه وردت العديد من التفاصيل الاقتصادية في كتابيهما، التي من خلالها يمكن تكوين صورة إستراتيجية لواقع الحياة الاقتصادية لحاضرة الهفوف، ووفقا لتاريخي زيارتيهما يكون الوصف الأول لـ فيدال بعد ٢٠ سنة تقريبا، أما العلاوي بعد ٤١ سنة تقريبا، حيث بدأت أعمال المسح والاكتشاف في عام ١٣٥٢هـ الموافق ١٩٣٣م، وأول شحنة تجارية نقلت في يوم الأحد ١٠ رجب ١٣٥٧هـ الموافق ٢٣ مارس ١٩٣٨م^(١).

إن واقع الحياة الاقتصادية لسكان حاضرة الهفوف في تلك الزيارتين لم يكونا على وتيرة واحدة، فقد كانت رياح التغيير سريعة في حياة الحاضرة، كما لو كان النفط أشبه بالمارد الذي جاء ليغير الكثير من المظاهر الحياتية الرتيبة الموروثة لقرون طويلة، فما رصده فيدال من مظاهر حياتية تعتبر في غالبها امتداداً لواقع الحياة قبل اكتشاف النفط عدا البعض منها، والتي سوف ينقلها الباحث على لسانه فيما بعد، أما العلاوي فقد رصد ما هو أحدث وأكبر بكثير من الرصد الأول، وعليه

(١) - عبدالله السبيعي، اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، ص ٥٨.

سوف يتم التفريق بين الحالتين على الرغم من أن الفارق بين الزيارتين لم تكن أكثر من ٢١ عاماً، ورصدهما جاء في فترة ما بعد اكتشاف النفط وقبل عهد الطفرة الاقتصادية.

يقول فيدال بينما تكون المنتجات المباعة في أكشاك سوق الخميس في غالبها من إنتاج محلي مثل الدواجن والصوف والملابس المخاطة والمحاكة والأواني الفخارية والسلال... إلخ. والتي كانت تعرض في الهفوف ربما لعدة قرون مضت، فإن معظم الأنواع المختلفة من السلع التي تعرض في الدكاكين الدائمة والمستوردة، ومن الصعوبة وجود ما يماثلها في أي مكان آخر في المملكة العربية السعودية مع استثناء محتمل لمدينة جدة، حيث تعرض سلع متنوعة يجد المرء فيها: ابتداء من «قدوم محلي» إلى عدد حديثه مصنوعة من الصلب في مدينة بتسبرج الأمريكية، وأدوات سيارات من مدينة ديترويت الأمريكية، إلى أباريق شاي مطلية بالميना من صنع يوغوسلافيا، ومرطبات وخزائن معدنية من البحرين، إلى علب لحم بقري من الأرجنتين، وعصير برتقال معلب من أستراليا، وخشب من زنجبار، وأفقال بيبل، وعطور فرنسية، وأقلام حبر كندية، وأنية خزفية انجليزية، وأرز من بومبي، وعلب حليب دانمركية، وسجاد يابانية للصلاة، وبسكويت هنتلي وبالمر الشهير Huntly & Palmer، ومكابس مضخات تصنع محليا من مخلفات علب الوقود، وساعات سويسرية، وعلب زجاجية مستعملة، وسمك مجفف من شط العرب، وجراد مجفف «إذا كان متوفرا في وقته» ومعجون طماط إيطالي، وأوراق مراحيض فنلندية، وأعواد ثقاب سويدية، وأجهزة راديو هولندية، ومخللات الشبت، والكوشر، وأصباغ I.G. Farben المشهورة.

ليس هناك أرقام متيسرة في الوقت الحاضر توضح حجم التجارة في سوق الهفوف، ولكنه على الدوام عظيما. انتهى.»

ولعل أهم ما يميز واقع الحياة التجارية في هذه الأسواق حسب إفادة «فيدال» ما يلي:

١- حافظت على العديد من الإيجابيات المحسوبة في سجل تراثها الحضاري العريق، وذلك متمثلاً فيما يلي:

أسواقها من حيث تنوعها السلعي والخدمي التقليدي المعروف خلال تاريخها القديم.

عمالتها من الحرفيين التراثيين والمهرة في آن واحد، حيث لازالوا يقدمون السلع والخدمات الصناعية التي تشكل للسكان اكتفاءً ذاتياً في بعض منها كالنجارة، والحدادة، والصفارة، ومصدراً للتميز بين الأقطار الأخرى بالتصدير إليها كما في مهنة خياطة البشوت.

٢- استوعبت العديد من المنتجات الاستهلاكية الحديثة، في مجال الأغذية، والملابس، والأدوات المنزلية، وكذا المعدات التقنية الحديثة الإنتاجية.

٣- حافظت على مكانتها من حيث تركيز التجارة فيها على صعيد الأحساء كحاضرة، تحتاج إلى نشاطها التجاري مدن الأحساء وقراها.

وقد أجرى إبراهيم العلاوي مقارنة بين أسواق مدينة الهفوف، والمبرز، الأمر الذي يعكس رواج التجارة في مدينة الهفوف، علماً بأن فارق المدة بينه وبين فيدال ٢١ سنة، وهو موضح في الجدول رقم (٥/٦):

جدول رقم «٥/٦»: توزيع المؤسسات التجارية لمبيعات الجملة والمفرق في مدينتي

الهِفُوف والمَبْرَز خلال عام ١٩٧١م

الصف	الهدف	المبرز
مبيعات الجملة	٥٣	٠٠٠
مبيعات المفرد	١٤١٣	٤٠٤
أخرى	٢	٠٠٠
المجموع	١٥٥٠	٤٠٤

جدول رقم ٥/٦

المصدر:

IBRAHIM S. AL-ELAWY , THE INFLUENCE OF OIL UPON SETTLEMENT IN AL-HASA OASIS, SAUDI ARABIA, «UNIVERSITY OF DURHAM , 1976» , P291.

عن: MINISTRY OF FINANCE AND NATIONAL ECONOMY, 1973.

أما فيما يتعلق بالآثار الإيجابية والسلبية لاكتشاف النفط عليها سيتم عرضه من خلال الفرعين التاليين:

الفرع الأول: الآثار الإيجابية لاكتشاف النفط على أسواق حاضرة الهفوف

أدى اكتشاف النفط إلى توافر العديد من الفرص الاقتصادية لسكان حاضرة الهفوف في شركة أرامكو من خلال العمل فيها، مما أتاح ذلك إلى تدفق سيولة نقدية في المجتمع انعكست بشكل إيجابي في تنمية القطاع التجاري، وقد أرجع «العلاوي ١٩٧٢م» حالة النمو الاقتصادي التي سادت في محافظة الأحساء بعد اكتشاف النفط إلى هذا العامل بشكل كبير، مضافاً إلى عوامل أخرى منها الانتعاش الاقتصادي السابق في تاريخها.

الفرع الثاني: الآثار السلبية لاكتشاف النفط على أسواق حاضرة الهفوف.

لعل أهم مظاهر التغير في البيئة الخارجية الذي أثر على الواقع الاقتصادي لحاضرة الهفوف مع اكتشاف النفط، هو تحول مسار الحركة التجارية من ميناء العقير إلى عدة موانئ في المنطقة الشرقية، وقد كان بشكل أولي ظهور ميناء الخبر لاستيراد المعدات الثقيلة اللازمة للتنقيب عن الزيت، وميناء رأس تنورة، لتصدير الزيت الخام المستخرج من المنطقة^(١)، وولادة هذين الميناءين لم يكن لهما أثر كبير على أسواق الهفوف لأنهما لم يمسا الحركة التجارية العابرة من ميناء العقير لكن الآثار بدأت بشكل فعلى بسبب عاملين رئيسيين هما:

إنشاء ميناء الدمام، حيث تحولت الحركة التجارية الاستيرادية والتصديرية إليه.

إنشاء خط حديدي يربط بين الدمام والرياض، حيث صارت البضائع تصل إلى المنطقة الوسطى مباشرة، ولم تعد الهفوف غير محطة ترانزيت لعبور القطار فيها^(٢)، بخلاف الماضي حيث كانت تعبر منها الجمال بمعدل ٢٠٠ إلى ٣٠٠ جمل أسبوعياً كما مر سابقاً، محملة بالبضائع فتنتعش فيها حركة النقل، والمستودعات، والأسواق بحاضرة الهفوف.

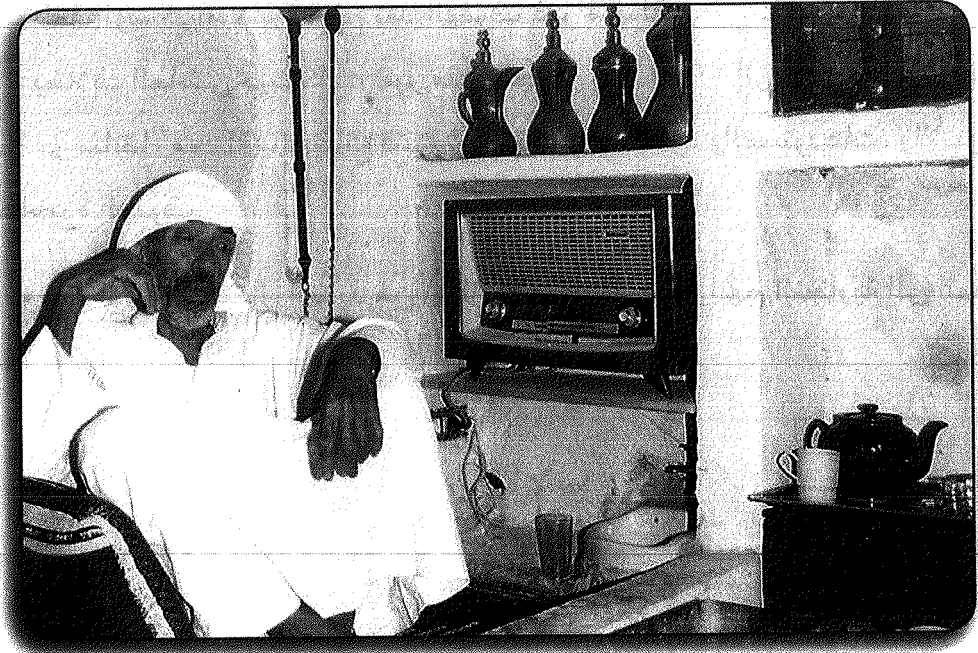
وهذا أدى إلى انتقال العديد من رجال الأعمال باستثماراتهم التجارية إلى المدن النفطية الحديثة الأكثر ربحاً.

IBRAHIM S. AL-ELAWY . THE INFLUENCE OF OIL UPON SETTLEMENT IN AL-HASA OASIS, p 284 - (١)

IBRAHIM S. AL-ELAWY . THE INFLUENCE OF OIL UPON SETTLEMENT IN AL-HASA OASIS, p286. - (٢)

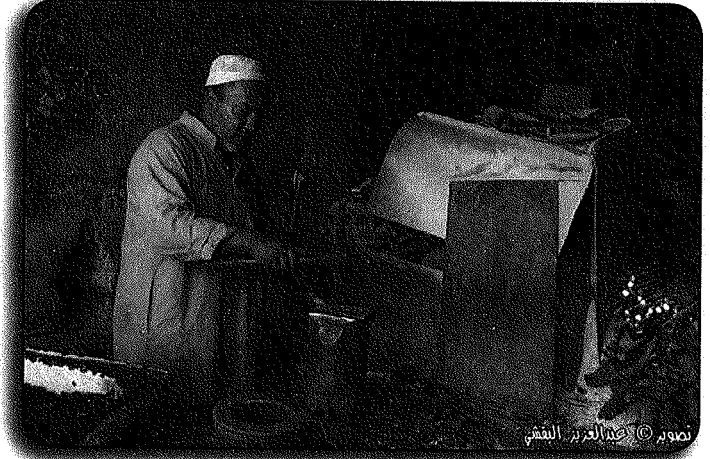


حمد بن حسين البادى، في محل صياغته للذهب بمحلة الرفاعة في حي الرفعة الوسطى بمدينة الهوف، كما يمارس في هذا المحل دور العلاج الشعبي من كي، ودهان، التقطت الصورة عام ١٣٩٣هـ تقريبا.

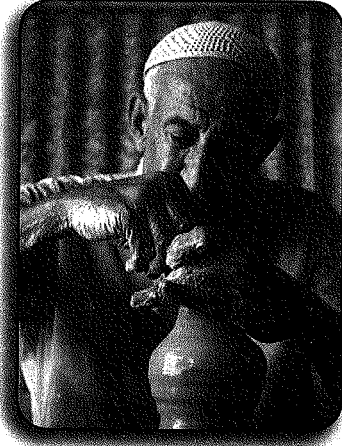


حمد بن حسين البادى في أواخر أيام حياته توفي عام ١٤١٧هـ.

الحدادة



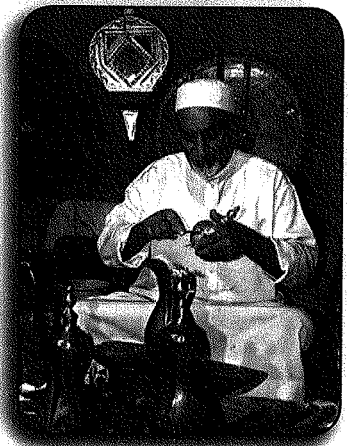
تصوير © عبدالعزيز البقشي



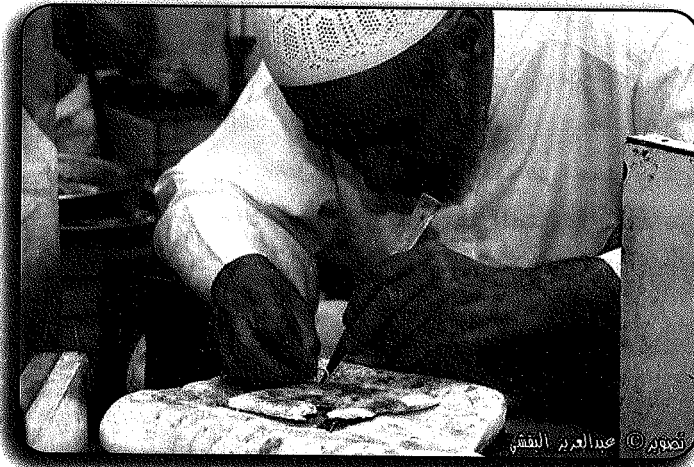
الخزافة



القفاصة



النحاسية



تصوير © عبدالعزيز البقشي

الصياغة

مهن أحسانية عريقة
عدسة: عبد العزيز البقشي



عمال أسويين حلوا محل العمالة الأحسائية في احدى ورش الحدادة بمدينة الهفوف، وذلك في عهد الطفرة الاقتصادية ويظهر في الصورة العديد من العدد الزراعية التي يحتاجها الفلاح في واحة الأحساء، وقد تم انتاجها في سوق الحدادين بمدينة الهفوف عام ١٤٢٢هـ.
(عدسة : الباحث)

المبحث الثاني

واقع النشاط الزراعي

«تقسيم الحيازات الزراعية، وأعمالها، ومعدات الفلاحة فيها».

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: ملامح الواقع الزراعي في محافظة الأحساء.

المطلب الثاني: عوامل نجاح الزراعة في محافظة الأحساء.

المطلب الثالث: تحليل الواقع الزراعي لحاضرة الهفوف.

المطلب الأول

ملامح الواقع الزراعي في محافظة الأحساء

سيعود البحث في عرضه لملامح الواقع الزراعي لسكان حاضرة الهفوف إلى ما قبل اكتشاف النفط عام ١٣٥٣هـ،، فتلك الفترة اتسمت بأنها امتداد طبيعي لكيان زراعي شهير مزدهر منذ آلاف السنين بمزروعاته المحلية السائدة، وذلك الازدهار يعود إلى أن الواحة تعيش في كنف درجات معينة من: الرطوبة، والحرارة، والإضاءة، والتربة، والماء، جعل من الملائم قيام كيان زراعي ناجح تعيش فيه كائنات فطرية زراعية حية، وقد أثمر عن هذا الكيان الزراعي المتوازن ترعرع العديد من المزروعات المتمثلة في أشجار النخيل، والأرز الحساوي كمحصولين أساسيين، بالإضافة إلى أشجار الفاكهة: كالخوخ، والتين، والعنب، والرمان، والمشمش، والتفاح البلدي، وأشجار الحمضيات

مثل: الليمون، والترنج، والبرتقال، والمحاصيل الحقلية مثل، القمح، والشعير، والدخن، والسّمسم، والحلبة، والرّشاد، والبرسيم، كما تشتهر بزراعة الخضار مثل: الطماطم، والبادنجان، والبامية، واللّوبيا، والبصل، والجزر، والخيار، والحبّج، والبطيخ، وغير ذلك من الأصناف الحساوية الشهيرة^(١). تعود وفرة هذه الأصناف الزراعية الكثيرة إلى وفرة المناخ الرطب الناتج عن انغلاق الواحة، ووفرة المسطحات المائية داخلها، وتكثر هذه في داخل الواحة وأطرافها الشرقية، والشّمالية، والشّمالية الشرقية، والمسمّاة بـ «الدواخل». بينما الحيازات الزراعية المتأثرة بالمناخ الصحراوي من جهة الغرب، والجنوب لاتصاله المباشر بالصحراء كما هو في المزارع المتاخمة للشريط الحدودي للأطراف الغربية، والجنوبية الغربية للواحة وكذلك الأراضي الزراعية البرية والمسمّاة بـ «الطوارف»، لا يكثر فيها غير تمر الخلاص الحساوي حيث يؤكل رطباً، ونضجه مبكر، ولا يوجد فيها أي ازدهار في أشجار الفواكه والحمضيات ولا وجود للأرز الحساوي^(٢) كما هو موضح في الجدول رقم « ٥/٧ ».

جدول رقم « ٥/٧ » الموقع و الوصف المناخي وأنواع المزروعات في أراضي الأطراف والدواخل بواحة الأحساء

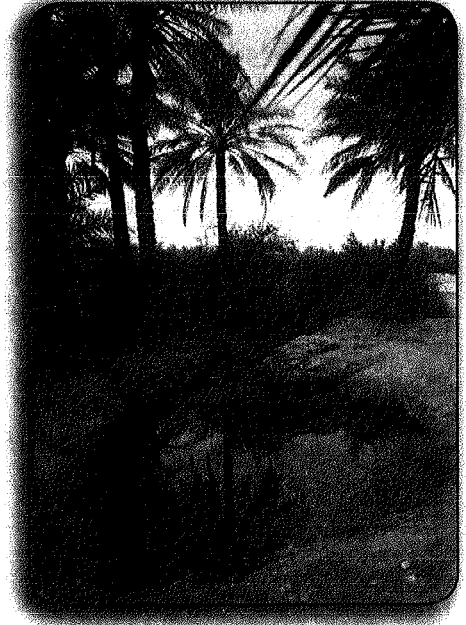
البيان	الأطراف	الدواخل
الموقع	الشريط الحدودي للأطراف الغربية والجنوبية الغربية للواحة، وكذلك الأراضي الزراعية البرية "مزارع الرقيقة".	أوساط الواحة والأطراف الشمالية الشرقية والشّمالية.

(١) - عبدالعزيز حسن الحسيني، صالح ناصر الحميدي، عبدالعزيز محمد الملحم، الأساسيات التاريخية الفطرية والزراعية التي اشتملت عليها واتصفت بها بيئة محافظة الأحساء، وزارة الزراعة والمياه، "مكان الطبع: بدون، ١٤١٣هـ"، الطبعة الأولى.

(٢) - عبدالعزيز حسن الحسيني، وزملاءه، الأساسيات التاريخية الفطرية والزراعية التي اشتملت عليها واتصفت بها بيئة محافظة الأحساء، مصدر سابق، ص ١٢.

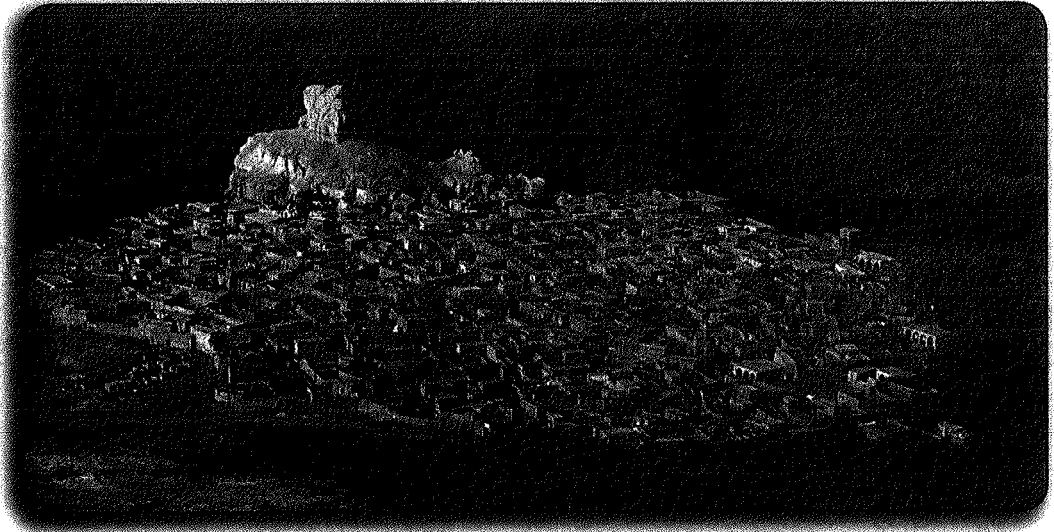
البيان	الأطراف	الدواخل
الوصف المناخي	متأثر بالمناخ الصحراوي من جهة الغرب، والجنوب، لإتصاله المباشر بالصحراء، كما أن دواخل الواحة تقلل من شدة تأثيره بالصحراء بما تبعثه من رطوبة، ولكنه يظل جافا نسبيا، وأكثر حرارة.	مناخ رطب متأثر بانغلاق الواحة، وتوفر المسطحات المائية داخل الواحة، وأطرافها الشرقية الشمالية، والشمالية.
أنواع المزروعات	نخيل خلاص وأنواع أخرى من النخيل، وثماره أسرع نضجا، وليس هناك ازدهار في أشجار الفواكه والحمضيات، ولا وجود للأرز الحساوي.	نخيل رزيز وأنواع أخرى مما يؤكل تمر أو رطب ونضجه متأخر، كما يمكن زراعة العديد من فواكه حوض الأبييض المتوسط من خوخ، وتين، ومشمش، ورمان، وعنب، وترنج، وليمون، وتفتح بلدي، وجوافه. وفيه أيضا يمكن زراعة الأرز الحساوي.

المصدر: عبد العزيز حسن الحسيني، وزملاء، الأساسيات التاريخية الفطرية والزراعية التي اشتملت عليها واتصفت بها بيئة محافظة الأحساء، وزارة الزراعة والمياه، «مكان الطبع: بدون، ١٤١٣هـ» الطبعة الأولى، ١٢.



مشهد من عمق واحة الأحساء

(عدسة : استديو الخليفة)



قرية القارة إحدى أعرق القرى الشرقية في الأحساء و يظهر في الصورة جبل (المشقر)، حيث النخيل تكتنف القرية و جبلها، بشكل اقتربت فيه القمم النامية في النخيل من بعضها البعض و هو مثال نموذجي للخصائص الزراعية الموجودة في حيازات (الدواخل) الزراعية، المؤهلة لإنتاج محاصيل البحر المتوسط من : خوخ و تفاح، و برتقال و غيرها و ذلك يعود إلى الندوة المتشكلة داخل تلك الحيازات، و لسبب آخر هو الري بطريقة الغمر.

كما أن الحيازات الزراعية الأحسابية اتسمت بتعاظم الفرصة الاستثمارية فيها، وذلك لكون الزراعة محركا اقتصاديا كبيرا في حياة الأحسابيين آنذاك، وبالذات في مجال زراعة النخيل، حيث النخلة لم تكن لتمدهم فقط بمقومات حياتهم المعيشية كغذاء لا يكاد يفارق موائدهم الرسمية أو في ضيافتهم، واستخدامه كعلف لمواشيهم فحسب، بل كانت مخلفاتها تستغل في موارد عديدة بحيث لا يعد من المبالغة في شيء إذا قيل أنه لا يرمى أي جزء منها، وعلى سبيل المثال لا الحصر منها ما يلي من الاستخدامات:

الجدوع: يستخدم في أسقف المساكن، وأعتاب الممرات والنوافذ، وصناعة الأبواب والنوافذ، وكذا في الطبخ، والتدفئة.

السعف: يستخدم في أسقف المساكن تحت الجدوع، وفي الطبخ أيضا.

الخوص: يستخدم في صناعة مفارش السفرة، والحصر، والمراوح اليدوية، ووسائل الحمل كـ«الزبيل، والمخرف، والمرحلة، والقلة»، ويستخدم في الطبخ أيضا.

الكرب: يستخدم في أعمال الطبخ.

الأسل: ويستخدم لصناعة أطباق، وأوعية حفظ الرطب والتمر «السلة» والكبير منها يستخدم لصناعة محافظ الملابس.

الليف: ويستخدم لتنظيف الأواني، كما يدخل بشكل رئيس في أعمال عدة منها: صناعة الحزام الذي يستخدمه الفلاح لتسلق النخلة «الكر»، وأوعية النقل على الحمار، المسمى عندهم بـ«الخرج».

الجريد: ويصنع منها عدة منتجات منها: أسرة الأطفال «المنز»، وأقفاص الرطب و أقفاص الطيور والدجاج المسماة عندهم بـ«المكبة».

إلا أن اكتشاف النفط أدى إلى زحزة النشاط الزراعي عن عرش الصدارة كمحرك للاقتصاد الوطني، وتداعيات ذلك الحدث لم تكن سريعة التأثير على اقتصاديات الأفراد، فقد ظل النشاط الزراعي يمارس دوره كمحرك للاقتصاد في حياتهم، وداعم

قوي له، فبعد اكتشاف النفط مباشرة لم يتخل الناس عن علاقتهم بالنخلة كمصدر غذاء، ومصدر لمواد البناء، وأثاث المنازل، ووسائل حفظ، بل ظلت الحياة كما هي لسنين عديدة، ولم يلحظ التغيير بشكل كبير إلا في منتصف السبعينات هجرية من القرن الماضي.

وبعدما دخلت بعض المقتنيات الجديدة تقلص دور النخلة في حياتهم، فمثلا في مواد البناء دخل خشب الكندل والباسكير محل الجذوع والسعف، وفي أدوات الطبخ «الكولة»، و«الدافور» محل الكرب، والسعف والجذوع، والصواني المعدنية الكبيرة محل «السفرة» ولكن بشكل غير واسع.

أما في عهد الطفرة الاقتصادية فقد اتضحت آثار النفط على النشاط الزراعي كقطاع استثماري في حياتهم الاقتصادية، حيث لم يعد هذا القطاع محركا لقوى الاقتصاد كالسابق، ليس على مستوى الدخل الوطني في القطاع الحكومي، ولا على مستوى الأفراد حيث الصدارة كل الصدارة للنفط، الذي تداعت فعاليته، بشكل كبير على حياة الأفراد في مساكنهم، وعاداتهم الغذائية، ومستوياتهم الثقافية والعلمية، وعليه لم تعد الحيازات الزراعية تمدهم بمقومات الحياة كما الماضي، والتي بان أثرها بعد منتصف السبعينات هجرية كما مر أنفا، فقد أصبح «النخل» رافدا ترفيهيا فقط، للنزهة الأسبوعية، ولعقد الولائم، والمناسبات الاجتماعية، عدا التمر الذي ظل حتى ذلك التاريخ محل اهتمام بالنسبة إليهم، ليس على نحو أنه يمثل حجر الزاوية في موائدهم، ولكن عنصر كماله لا بد من وجوده، وفقدانه لدى الكثيرين أمر لا يحتمل لعاداتهم الأصيلة في تناولهم له، أما حاجاتهم من الخضار، وبعض الفواكه لا زالت الحيازات الزراعية الأحسابية تواصل حضورها على الوقت الراهن لكن ليس على النحو السابق، وذلك يعود لانخفاض منسوب المياه، وفقدان أجواء الطقس اللازمة داخل الحيازات الزراعية لإثمار الخوخ، والمشمش، والتفاح البلدي وهو ما تم الاستعاضة عنه بالمنتجات المستوردة من العديد من دول العالم، ليس من العالم العربي فقط، بل الدول الآسيوية، وأوروبا، وأمريكا الشمالية، وأمريكا الجنوبية، وأستراليا.

أما خضرواتها، فلا زالت مطلوبة ومفضلة على المنتجات المستوردة مثل: الطماطم، والبادنجان، والقرع، والكوسة، والباامية، واللويبا، والبصل، والجزر، والخيار، والبطيخ، وقد أسهمت تقنية البيوت المحمية الزراعية في تجاوز مشكلة المياه، وتوفير المناخ اللازم للزراعة.

وفيما يتعلق بانخفاض منسوب المياه في الواحة في الوقت الراهن، لازال قائماً بل إلى الأسوأ، فمضخات المياه أضحت هي الأخرى غير قادرة على تعويض النقص حتى من الأعيان الكبيرة الشهيرة في الماضي، كعين الخدود، وأم سبعة، والجوهرية، والخدود، والمطيرفي، والحارة، لبعد المياه عن أنابيبها الغائرة في أعماق التربة، فتجد بين الحين والآخر يضطرون لزيادة عدد المواسير ملاحقة للمياه.

ومن أبرز ملامح الواقع الزراعي بواحة الأحساء ما سيتم عرضه عبر الفروع

التالية:

الفرع الأول: تقسيم الحيازات الزراعية.

تقسم مساحات الحيازات الزراعية، حسب نوع المزروعات، فبالنسبة إلى الحيازات الزراعية التي تزرع بالنخيل تحدد مساحاتها، وتحدد طريقة ريها: إما بالسيح أو الصدر «العرف» ففي الحالة الأولى يستقبل الماء من المسقى الرئيسي «النهر»^(١) وهو في حالة أن الحيازة الزراعية غير مرتفع عن مجرى الماء، أما إذا كان مرتفعاً

(١) - في مقابلة مع الأستاذ محمد بوطلميس المهنا ذكر، أن الفقيه الشيخ موسى بن عبدالله بوخمسين، أحد أكبر ملاك الحيازات الزراعية في زمانه، كان يمنح الزراعة والمزارعين الشيء الكثير من اهتمامه وتوجهه، لكون الزراعة العماد الاقتصادي لسكان الواحة في زمانه، ومن اهتمامه ذلك أنه كان يعطي عملية "الضراب" متابعة كبيرة، و"الضراب" مصطلح درج على استخدامه الفلاحون، وهو مأخوذ من ضرب الأرض بالمعاول والمساحي؛ لإزالة الطين المترسب في مجرى العيون التي تصب في أنهار المياه التي يسقى الفلاحون منها مزارعهم، وعادة ما يقوم المستفيدون من النهر وغير المستفيدين منه بالمشاركة في هذا المجهود الجماعي الذي يدعوهم الشيخ بالتأكيد والتوصية على ضرورته، وتتم عملية "ضراب" مجرى النهر بعد سد فتحة مجرى الماء القادم من العين، بجذوع النخيل، وكان الشيخ يتابع هذه المهمة بشديد من الحرص، والترقب، والحذر، فقد كان يتابع الأخبار أولاً بأول، خاصة منها منسوب الماء ومن حرصه ذلك أنه طالما كان يضطر إلى إصدار توجيهاته برفع جذوع النخيل عن فوهة مجرى الماء قبل إكمال عملية الضراب، وكان يعلل ذلك بقوله: "حتى لا تنعمي العين"، أي حتى لا يغور ماء العين باحثة لها عن مجرى طبيعي آخر وذلك لثقل الماء المحبوس على المنبع.

فهنا يتعين السقى بطريقة «الصدر»، وهي الحالة الثانية وتسمى الحيازة الزراعية في هذه الحالة «غرافة»، وفي حالة الري بطريقة الصدر يستقبل الماء عبر قناة تدعى بـ «الخوصة»، وفي كلتا الحالتين إذا دخل الماء الحيازة الزراعية «النخل» يجري إلى أحواض النخيل «الشروب» عبر «المسناة أو الفحل» ماراً من خلال فتحات تدعى بـ «فوهة أو السكار»، والماء إذا دخل هذه «الشروب» وروى المزروعات فيها، فلا بد بعدها من عملية صرف الزائد من المياه، وتصريف المياه يبدأ أولاً داخل نفس الحيازة الزراعية، ويدعى المصريف إذا كان في الحيازة بـ «الرسمه»، وتتواصل «الرسمه» مع مصارف أكبر منها خارج الحيازة الزراعية، ويدعى هذا الماء الزائد عن حاجة النخل المتجه إلى خارج الحيازة الزراعية بـ «الطوايح»، ويصب هذا الماء في مكان يدعى بـ «المنجى» بعدها يتجه إلى القناة الكبيرة المسماة بـ «الشر»، وعادة ما تسمى المساحة من النخل المنتهية بالمصريف بـ «الشطيب»، وللسير داخل النخل بين «الشروب» فهناك ما يسمى بـ «الدوسة»، هذا ولا يستغنى في العادة عن زراعة بعض أنواع الخضروات و الفواكه، وتسمى أحواضها بـ «المشاعيب»، أما الأحواض التي يتم زراعة الرز فيها تسمى بـ «الضواحي»، ومنها أخذ أهل الأحساء حكمتهم السائرة « يأكل من عيش ما يعرف ضواحيه» تطلق على الفرد الكسول، الذي لا يعمل، ويكون عالة على غيره.

وقد حافظت الحيازات الزراعية بعد اكتشاف النفط على نفس التقسيمات، ومسمياتها التراثية الأحسائية من « شرب، وفوهة، ورسمه، ومنجى، وثبر... إلخ»، غير أنه بدأت تختفي ظاهرة الأنهار الترايبية وحلت محلها قنوات الري الأسمنتية بعد قيام مشروع الري والصرف عام ١٣٩١هـ، أما الري بطريقة الغرف عن طريق الصدر «السواني»، فقد تلاشت بقدم مكائن سحب الماء التي تعمل بالديزل.

تبدو ملامح الحياة الزراعية في عهد الطفرة الاقتصادية مشابهة لما قبلها من

حيث احتفاظ الحيازات الزراعية بمسمياتها التراثية، كما أن طرق الري بالقناة استمرت إلى هذا العهد، غير أن المزارع التي تُروى بطريقة السيح من قنوات الري واجهت شحا كبيرا في الماء، حتى أن بعضها لا يسقى إلا كل ١٤ يوم، مما أدى بأصحاب هذه المزارع أن يصرفوا النظر عن زراعة الخضروات، والفاكهة؛ لحاجتها شبه اليومية للماء خاصة في فصل الصيف. أما فيما يخص الري بطريقة الغرف، فقد تطور الأمر إلى تقنية أفضل وذلك يعود إلى وصول خدمة التيار الكهربائي إلى الحيازات الزراعية، حيث أمكن تشغيل مضخات سحب الماء الكهربائية «الغطاسات»، وبذا فقدت الأجواء الريفية صوت المضخات التي تعمل بالديزل، والتي عايشها براعم جيل ما بعد النفط، واستلطفتها أصول أذانهم كنغمة مميزة تصحبهم صباح طلعتهم للنخل، على نسمات الهواء الطلق، والفرحة تغمر قلوبهم، وصوت الماكينة «تك... تك... تك» تضي بعدا آخر على حواسهم المتلذذة بفرحة دخول النخل، نعم جاءت المضخات الكهربائية الهادئة، لتتسجم مع أجواء وإمكانيات المزارع.

الفرع الثاني: مرافق الخدمات في الحيازات الزراعية.

منذ أمد بعيد والحيازات الزراعية في واحة الأحساء تحتضن مرفقا هاما فيها يدعى بـ«العريش»، وهو مكان الاستراحة في النخل، إما مبنيا من الطين، ومسقوفا من جذوع النخل وجريده، أو جله من جذوع النخيل و السعف والجريد، ويتفاوت مستوى العريش وفقا لطريقة إعداده، فمنهم من يبني فيه كراسي «دكة» من الداخل، ومن خارج العريش «دكة» أخرى وذلك على الجانب الآخر، وعادة ما يكون إلى جوار العريش غرفة، أما دورة المياه فتكون بعيدة عنه نسبيا، كما يوجد «عطيفة» للحمير، و«حوش» لبقية الحيوانات كالبقر والغنم يتكون من مكان مسقوف وآخر مكشوف، في إحدى زواياه «مطعم»؛ لوضع البرسيم عليه بعد أن تفكك حزمه من «الجنيبة» المكونة

من عدة حزم، ومفردها «إعقبه» أما إذا كانت الحزمة كبيرة سميت بـ «الذراع»، كما أن هناك أعلاف أخرى عبارة عن بعض أنواع السمك المجفف «الهيذ»، والتمر.

وفي السنوات المتأخرة من فترة ما بعد النفط اختفت ظاهرة عريش النخل، وهو امتداد لتطور المساكن في المدن، وحلت محلها الغرف الإسمنتية المسقوفة بـ «الجدل» و ألواح الأبلاكاش وهذا البناء يسمى بالبناء العربي في قبال البناء المسلح الذي يعتمد الأسقف الخرسانية، كما بنيت فيها بعض البرك الإسمنتية البدائية المكونة من الطابوق المغطاة بطبقة من الأسمنت فقط، خصوصا في النخيل التي تسقي من الآبار بواسطة المكائن. أما «الحوش» للماشية و «المطعم» لوضع العلف عليه فقد ظل على حاله. إلا أن «عطيفة» الحمير باتت لا داعي لوجودها إلا في المزارع التي تحتوي على ضواحي الرز الحساوي؛ من أجل درس السنابل بواسطة الحمير.

ومع دخول عهد الطفرة الإقتصادية، وزيادة دخول الأفراد فقد امتدت معالم التجديد الإنشائي بالطرق الحديثة إلى الحيازات الزراعية، وشيدت فيها بدلا من الغرف الإسمنتية المطوية بالإسمنت فقط منازل متكاملة من حيث المجالس وغرف الاستراحات، بل وبعضها يضم غرف نوم فضلا عن عدة دورات مياه.



أحد مظاهر التطور العمراني في الحيازات الزراعية في محافظة الأحساء،
على أثر الطفرة الاقتصادية الناجمة من ارتفاع أسعار النفط في الأسواق العالمية،
التقطت الصورة عام ١٤٢٩هـ تقريباً.



(العريش) أحد أهم مرافق الحيازة الزراعية في واحة الأحساء، ويظهر في الصورة بساطة
الشكل والتجهيز له قبل عهد النفط على الرغم من أنه يعتبر من المباني الراقية في زمانه،
كعريش في حيازة زراعية.

(عدسة : استديو الخليفة عام ١٤٠٢هـ).

الفرع الثالث: أعمال الحيازات الزراعية.

تنمية الحيازات الزراعية تتطلب جهداً كبيراً من قبل الفلاحين الذين يعملون
فيها، فمهامهم متعددة فيها وذلك وفقاً للإرث الثقافي الزراعي فيها، ولإدراك
الملاك بأهمية مهام أولئك الفلاحين، وشرفها كانوا لا يطلقون عليهم إسم عمال

بل يمنحونهم حقا أدبيا إذ يطلقون على رئيسهم لقب «الشريك»، فهم يقومون بتجهز الأرض بتقليب الأرض وتدعى بـ «الندار» ثم «عمارها» بالسماد، استعدادا لعملية «القوام»، وهي غرس الفسيل وذلك بـ «تمعيس» بعض الفسائل الصغيرة من جنب أمهاتها، ونقلها إلى مقرها الجديد بعد أن «تطيب» بتنظيفها، وربطها قبل الخلع.

عادة ما يفضل الفلاح الأحسائي زرع «البارح»، وهو يبدأ من بداية شهر يونيو إلى نهاية شهر يوليو، ويلزم فيه أن تسقى الفسائل ٤٠ يوما صباحا ومساء، ويمتاز هذا الزرع بقصر السعفة، وكثرة حملها، وقصرها بحيث لا تنمو من حيث الارتفاع بسرعة، وهذا مما يقلل مجهود تسلقها عدة سنين. فخبرتهم عبر السنين أكسبتهم نتائج هامة في تواريخ الزراعة، لعل أهمها أن زرع الشتاء عكس زرع «البارح»، كما أن هناك نوع آخر يدعى بـ «زرع سهيل» ويستخدم للأراضي الجافة.



فلاح أحسائي يقوم بجني الرطب.

لا ينتهي الأمر بالفرس وجني الرطب، بل ذاك لا يعدو كونه فصلا من رواية ألقن كتب فصولها الأحسائيون، حتى صارت إحدى ملامح ثقافتهم الزراعية، التي تمثل

مظاهر كرمهم للنخلة، تلك التي أعطتهم الحياة الكريمة بعطائهم لها كل العناية، حتى لقد صار عندهم من الأمثال السائرة أن «النخلة ليست أكرم من راعيها». فبعد أن تثبت الفسيلة «تضرب» «تجلس» وذلك بقطع قواعد السعف منها لأول مرة، وإذا نمت وجاء حين ثمرها يأتي دور «الجنامة أو التسحيت» من أجل نزع الشوك، وجزء من الخوص الأخضر القريب من جذع النخلة؛ حتى تسهل للفلاح مهمة إكمال مشوار العناية بالنخلة.

إذا بدت أغراض النخلة قام الفلاح بتلقيحها وتدعى عندهم بـ «التنبت»، وذلك بنقل بذور التلقيح من النخل الذكر «الفعال»، بعد أن «يربع» مخرجا الطلع، ويتم «التنبت» إما بأخذ بعض البذور «الجبموه»، ولها في خرقة غير سميكة، وتدق على عذق النخلة الأنثى، أو بربط عدد من «السف» الحامل لبذور اللقاح، ثم يلف بليفة وتسمى هذه العملية بالتليف، و بعد أن يتم التلقيح يأتي دور «التفكيك» وهو نزع الليف.

إذا نما عذق النخلة واكتنز بـ «الخلال» الرطب قبل نضجه، يأتي دور «التحدير» وذلك بوضع عذق الرطب على جريد النخل، وإذا اكتمل نموه وصار في حالة النضج «يخرف» منه الرطب على أشكال منها: «البسرة، والمنصفة، والمتمره»، حسب ترتيب مراحل استوائها حيث الأولى مرحلة التلوين، والثانية مرحلة النضج قبل النهائي، والثالثة تحولها إلى تمره غير أنها غير قابلة للحفظ لليونتها، وإذا تحول الرطب إلى مرحلة التمر بتماسكه «يصرم» العذق وذلك بقصه بـ «المحش».

لا يقتصر الاعتناء بالنخلة على ما مر، بل هناك أعمال «البناية»، وهو عملية التخلص من الحشائش وجذورها، أما إذا كان التخلص من أعلاها فقط سميت بـ «الحشاش»، هذا بالإضافة إلى «البطاط»، وهي عملية إزالة الكرب من قاعها، أما إذا اقتصر القص على قص السعف وترك الكرب على جذع النخل فيسمى «شحاط».

في اطار الحديث عن مهام الفلاح الأحسائي الذي أحب النخلة وأخلص لها ينبغي أن لا تُتسى عملية «التطيين» لأنها تقنية اكتشفها قديما مشكلة له ارثا ثقافيا عميق الجذور في الواحة الأحسائية، أغنته عن مكافحة الحشرات الضارة عبر الدخان المنبعث منها، وزادت من خصوبة التربة في حيازته الزراعية كما مر سابقا، ف«الطينة» هي عبارة عن: حرق مخلفات النخيل، و وضعها كسماد للنخل، ويعتني به خاصة تحت نخيل ثمر «الرزيز»، لأنه يكسب التمرة لونا أسودا، وهذا اللون يعتبر شرطا من شروط جودة هذا النوع بخلاف تمر الخلاص الذي يلزم فيه الصفرة ليكون جيدا، ومن الجدير بالذكر أن الطيننة تعرضت في السابق لمنع من قبل العديد من الأخصائيين الزراعيين، وكذا الجهات الرسمية لما تسبب من حرائق راح ضحيتها الكثير من الحيازات الزراعية، لكن تسبب ذلك المنع في نمو العديد من النباتات الطفيلية الضارة، وانتشار العديد من الأمراض بسبب نمو الحشرات وتكاثرها، الأمر الذي أدى بالجهات العلمية في مجال الزراعي أن أوصت بالعودة إلى الطيننة مرة أخرى، مع مراعاة الحذر في ممارستها، وقد أطلق عليها علميا أسم «التبخير الحقلي»، وفعلا تم ذلك بإجازة من الجهات الرسمية.

وقد استمرت مسميات التراث الزراعي في الأحساء بعد اكتشاف النفط، وكذا أعمال الفلاحة فيها، فهي الأخرى لم تتغير لأن النخل هو النخل، ولكن في عهد الطفرة الاقتصادية جاء من يهدد وجودها بالانقراض إلا من ذاكرة أبنائها الملاك، لفقدان من يشيعها بالتداول من الفلاحين أنفسهم، فقد استبدل العامل الأحسائي الذي يعتبر رمزا تراثيا في تلك الحيازات الزراعية وممثلا لأصالة الماضيين، وعلامة فارقة على عذوق نخيلها المتلعة الجبين على مر تاريخها العريق، وهذا الإحلال ليس بخيار أحد، لقد رحل فلاحو الماضي إلى رحمة الله، وجاء دور أبنائهم ليرحلوا هم أيضا ولكن هذه المرة لأعمال النفط، والمشاريع التجارية، والوظائف الحكومية، إذ لم تعد مهنة

الفلاحة توفر لهم ما يتوقون إليه من عيش رغيد، فحل محلهم الفلاح الهندي والآخر البنقلاديشي، والمصري، وغيرهم من الجنسيات المختلفة.

الفرع الرابع: معدات الفلاحة.

تتنوع معدات الفلاحة بتنوع أعمال المزارعين، فهناك الجاروف «الصخين»، والعتلة «الهييب»، والمنجل «العكفا»، وآخر شبيه بالمنجل اسمه «المحش»، إلا أنه أصغر منه، وهناك الفأس الكبير و يسمى «الفاروع»، وجميع هذه العدد من أجل مباشرة العمل في رعاية النخلة وأرضها.

هناك عناصر هامة في الحياة الزراعية يتعاطاها الفلاح؛ لجمع محصوله الزراعي، وحفظه، ونقله، وما شابه، ففيما يستخدم في التعبئة هناك الزناويل على مقاسات متفاوتة، وهي بشكل تنازلي: «المرحلة، والزبيل، والقفة»، أما فيما يتعلق بحفظ التمر إلى حين أكله يسمى بـ «المحصن»، وهو أشبه بالكيس مصنوع من السعف، أما وسائل النقل فهناك الحمار و«الخروج» ومفردها خرج وهو عبارة عن كيسين كبيرين متصلين ببعضهما ومصنوعين من: ليف النخل، والخرق، توضع الوصلة التي بينهما على ظهر الحمار فيستقر الكيسان على جانبيه، كما هناك السرج الذي يوضع على الحمار، أما فيما يتعلق بسحب الماء من الآبار، فهناك «الصدر» أو المسمى بالسواني، ويتكون هذا النوع من غرف الماء من الدلاء المصنوعة من الجلد، تسحب من البئر بعد تعبئته بواسطة حبال محملة في أعلى البئر على «رشاء»، تسهل سحبه، وعادة ما يستخدم أكثر من دلو حسب حاجة المزرعة، وعادة ما تستخدم الحمير الحساوية في السحب، وقد تغير أسلوب غرف الماء من السواني والدلاء إلى المكائن بعد اكتشاف النفط كما ذكر آنفا، وفي عهد الطفرة الاقتصادية تغيرت أدوات غرف الماء بدلا من مضخات الديزل إلى مضخات الكهرباء «الغطاسات» كما ذكر آنفا أيضا.

المطلب الثاني

عوامل نجاح الزراعة في محافظة الأحساء

حددت إحدى الدراسات العلمية في قسم البيئة الفطرية في المركز الإقليمي للأبحاث الزراعية بالأحساء أهم ظروف وعوامل البيئة الفطرية في محافظة الأحساء والتي شكلت أهم مقومات الحياة الزراعية في بيئتها وهي⁽¹⁾:

١- محافظة الأحساء أرض منبسطة في معظمها، تبدأ كمنخفض مفاجيء من الغرب والجنوب، ثم تبدأ بالانحدار التدريجي نحو الشرق والشمال بمعدل ١٥ م لكل ١٥ كيلومتر، و٣٠ م لكل ٢٠ كيلومتر على التوالي. طولها من الغرب إلى الشرق ١٥ كيلومتر، بعرض ٦-٨ كيلومتر، وطولها من الجنوب إلى الشمال ٢٥ كيلومتر، بعرض ٥-٦ كيلومتر، هذا وترتفع عن سطح البحر في بدايتها بمعدل ١٥٠ م من الغرب والجنوب، و١٣٠ م- ١٢٠ م في الأطراف الشرقية والشمالية على التوالي.

٢- توفر الينابيع المتدفقة طبيعياً في واحتها عن طريق تكوين النيوجين في معظمها، وهي مياه قادمة من الجهة الغربية والجنوبية الغربية، ويمكن تصور سبب تجمع المياه في هذه المنطقة بالذات إذ عُلِمَ أن صدع الغوار الشهير يحيط بالواحة بشكل هلالى تقريبا، بحيث يبدأ من الجنوب الغربي، ابتداء من جبل الخرماء جنوب الواحة ٢٠ كيلومتر، ثم يتجه شمالا مع انحراف قليل للشرق، ثم يتجه شمالا مع انحراف قليل إلى الغرب، حتى ينتهي شمالا عند بالدلايسيس على بعد ٢٠ كيلومتر من الواحة، فهذا الصدع تقريبا يحتضن معظم هذه المياه في هذا المكان بالذات، ولذا نجد ينابيع الأحساء الشهيرة

(١) MOHAMMAD A. AL-JABR. AGRICULTURE IN AL-HASS OASIS SAUDE ARABIA AREVEWO OF - DEVELOPMENT. 1984. P64.85.93.

تقع في منطقة محدودة وشريط متتابع من الجهة الغربية للواحة بحيث يبدأ من الجنوب الشرقي مجموعة عين برابر «اللويمي، أم الخيس، بهجة، ثعلبة، أم الليف، المشيطة وغيرها» ثم يتجه غربا ليضم «عين الخدود، وأم جمل، والحقل» ثم يتجه شمالا ليضم «عين باهلة، والجوهريّة»، ثم يخرج من الواحة بالاتجاه الشمالي الغربي ليحتضن مجموعة «عين الحارة، ومنصور، وأم سبعة، والحويرات»، وإن من يتتبع أماكن تواجد ينابيع الأحساء يستطيع أن يحدد مكان هذا الصدع كما مرّ سابقاً.

٣- تتكون تربة الواحة في معظمها من تربة رملية خليطة، وهذه مشهورة بفقرها زراعياً وبنفاذيتها الشديدة للمياه ولكن يوجد تحت هذه التربة طبقة صماء غير منفذة أو قليلة النفاذية على عمق يتراوح ما بين ٣٠-٣٠سم وأكثر، تعمل على احتجاز جزء من مياه الري فترفع من كفاءة مياه الري، ذلك لأن تشبع التربة السفلية بالمياه عن طريقة الانتشار الجانبي في عموم الواحة سواء الأراضي المروية أو غير المروية كان يحقق ما يسمى بالري «تحت سطحي» لعموم أراضي الواحة مما يحقق احتواء جميع التربة على محتوى رطوبي في جميع الأوقات من السنة، فإذا أضيف إلى ذلك المسطحات المائية المتعددة في الواحة والغطاء الخضري الذي يكسو الأرض، ويوفر جزء كبير من الظل، مضيفاً إلى أجواء الواحة محتوى رطوبي مهم وضروري، الأمر الذي تشكل من هذه العوامل مجتمعة ظاهرة الندى المألوفة التي تتصف بها محافظة الأحساء، والتي تسمح بزراعة بعض منتجات حوض البحر المتوسط في واحة تحيط بها صحاري جافة تصهر رمالها أشعة شمس حارق، وهو من مظاهر حضارة الإنسان الأحسائي، حيث استطاع أن يسيطر على مفردات بيئته، ويوجهها نحو حاجاته وأهدافه، وذلك من أبرز مظاهر الحضارة وفقاً لتعريفها لدى قسطنطين زريق.

إن توفر هاتين الخاصيتين الزراعيتين في الواحة وهما ظاهرة المحتوى الرطوبي في التربة السفلية والمحتوى الرطوبي في الأجواء المحيطة بالمزروعات، كان يعمل على خفض درجة الحرارة في التربة وفي الجو، ورفع مستوى الرطوبة، وبالتالي فإن نسبة التبخر تقل فلا تتركز الأملاح لا في المياه ولا في التربة، وهذا مما يجعل المياه صالحة للرى أكثر من مرة مما زاد من فعاليتها، وكفاءتها، وقلل ذلك من استنزاف مياه الينابيع خلال القرون الطويلة.

المبحث الثالث

واقع النشاط الصناعي

الصناعات السلعية «البشوت، والذهب، والفضة، والأثاث، والمعدات الخفيفة»
الصناعات الخدمية «الحج، والبنوك، والصحة، والنقل، والتصوير، والصيانة»
تمهيد:

قدم الصناعة في الأحساء قَدَمَ الإنسان على أديم أرضها، وما الحضور الصناعي والحرفي أبان فترة الدراسة إلا شاهد تاريخي لحالة التواصل لملمحة الكفاح الاجتماعي على أرضها الثرية بألوان العطاء الإنساني، في دروب الخير والعطاء.

إن حاضرة الهفوف بأحيائها الثلاثة الرئيسية الكوت، والرفعة، والنعائل، شهدت واقعا صناعيا متميزا، لم يف فقط باحتياجات أبناء المدينة، بل تخطى حدود أسوارها لتصل إلى بقية أبناء الأحساء، وما جاورها من مدن، ودول، معرفة ببراعة عقول وأنامل أبناء هذه المدينة الانتاجية عبر الزمن. وعندما يتم التعرض لواقع الصناعة في حياتهم الاقتصادية، ينبغي التفريق بين نمطين منها: أحدهما سلعي، والآخر خدمي، سيتم عرضهما تباعا وذلك عبر المطالبين التاليين:

المطلب الأول: الصناعات السلعية «البشوت، والذهب، والفضة، والأثاث، والمعدات الخفيفة»

المطلب الثاني: الصناعات الخدمية «الحج، والبنوك، والصحة، والنقل، والتصوير، والصيانة»

المطلب الأول

الصناعات السلعية «البشوت، و الذهب، و الفضة، و الأثاث، و المعدات الخفيفة»

وسيتم عرضها عبر الفروع التالية:

الفرع الأول: صناعة البشوت^(١):

تتسبم مهنة خياطة البشوت قمة الهرم المهني في منطقة الأحساء، كيف لا والقائمين عليها لا يتعاملون معها على أنها مصدر عيش فقط، بل يتعاطونها كفن يسكبون من خلال أناملهم المجهدة عبر السنين، لوحا فنية راقية، لا تقل أصالة عن تلك التي تسكب من خلال فرشاة فنان تشكيلي، حيث يجمع كل من تحدث عن تاريخ البشوت في الأحساء من معازيب، وخياطين أن هذه المهنة من أعرق المهن في الأحساء، وبأن تاريخها يعود إلى مئات السنين حيث توارثوها عن آبائهم، وأجدادهم، وهذا الإطباق، والتسالم على عراققتها بين ممتيها، أمر منسجم مع الخلفية التاريخية لصناعة المنسوجات في الأحساء منذ القدم.

لقد حدث التاريخ عن الثوب الهجري لما اشتهرت به هجر في عالم المنسوجات، حتى أصبح اسم المدينة علما على الثوب ذاته، فقد ذكرت المصادر في مواضع كثيرة أسماء المنسوجات الصادرة من مختلف مدن هجر أبان العصر الإسلامي الأول، حيث كانت هذه البلاد آنذاك من أهم المصادر التي تعتمد عليها الجزيرة في الكثير من وارداتها، فقد ذكر ابن سعد أن هودة بن علي الحنفي، كسا سليلط بن عمر العامري أثوابا من نسيج هجر، وجاء عن ابن سلام الجمحي أن أولاد عامر بن عوف أهدوا الحطيئة حللا من بز هجر، كما جاء عن عبد الله بن معاذ أن سويد بن قيس ومخرمة

(١) - محمد بن جواد الخرس، عائلة الخرس: حالة دراسية لمجتمع الاحساء في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، "الكويت: الشركة المصرية للطباعة، ١٤٢٧هـ"، ص ٣٢٤-٣٥٠.

العبيدي جلبا بزا إلى مكة فاشترى الرسول صلى الله عليه وسلم منها سراويل. أما في عهد القرامطة فقد كانت الأحساء مشهورة بصناعة الفوط، وقد وصفت بأنها ثياب قصيرة غليظة مخططة. هذا في العصر الإسلامي الأول، أما في التاريخ الحديث، فقد أورد الدكتور محمد بن عبد الله آل زلفة أن الإمام سعود الكبير حين بسط نفوذه على الحجاز، كسا الكعبة بكسوة حساوية قيلانية، استنادا على ما ورد في «درر نحور الحور العين» للمؤرخ اليميني حجاز^(١).

استحوذت مهنة صناعة البشوت على اهتمام العديد من أسر حاضرة الهفوف في كل من الرفعة الشمالية، والوسطى، والجنوبية، فمن عاصر هذه المحلات الثلاث، وجد أنها تعج بالعديد من الأنشطة الإنتاجية والتسويقية الخاصة بصناعة البشوت، ابتداءً من صناعة نسيج البشت، ومرورا بخياطته، وأخيرا بتسويقه في الداخل، وتصديره إلى خارج الأحساء.

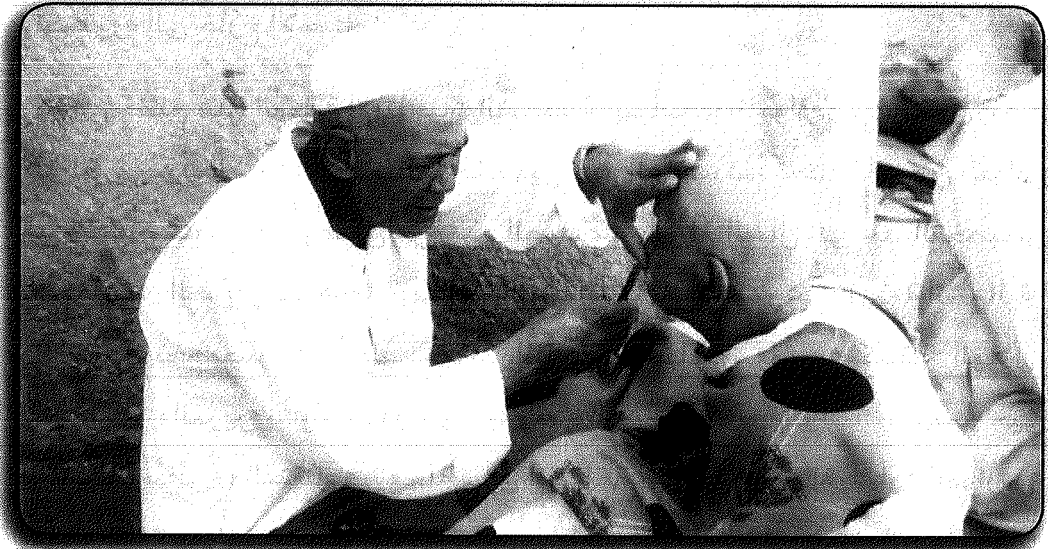
وفي خضم هذه العملية الإنتاجية والتسويقية، نشأت عوائل واندرست أخرى، وهي لا تعلم مهنة لحاضرها، أو لأبنائها القادمين غير البشت، لذا تجد هناك من العوائل من تخصصت في عمل معين من هذه الصناعة، بل بلغ الحال إلى حد التخصص على مستوى الحي، وعلى سبيل المثال لا الحصر تجد أغلب أسر حي الرفعة الشمالية، والجنوبية تخصصوا في جلب خيوط النسيج، وحيآكته، وصبغه كعائلة الهلال، والياسين، والغريري، والمرزوق، والبومرة، والبن حمضة، والراشد، بينما حي الرفعة الوسطى، والمتمثل في محلة سوق الصاغة «الدهن» ومحلة شارع الفوارس، ومحلة الفداغم تجد أغلب أسرها تخصصوا في خياطة البشوت، وتسويقها، وعليه تجد حياة صاحبة العمل في مجالس هذه الأحياء، حيث يمكننا تقسيم تلك المجالس إلى ثلاثة أنواع من العمل:

(١) - عبد الرحمن الملا، تاريخ هجر، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٩٦-٣٩٩.

أولاً: مجالس للإنتاج المتميز والتسويق: فهي تقوم بدورين أساسيين هما استقبال طلبات العملاء، وتوظيف أمهر الأيدي العاملة، وليس بالضرورة أن يتواجد المخيط لديها بالمشغل، إذ يمكنه أن ينجز عمله في أي مكان.

ثانياً: مجالس للتدريب والإنتاج: وهي تقوم بدورين أساسيين هما تدريب المخيط، وتزويد المشاغل المتخصصة في الإنتاج المتميز والتسويق، بالأيدي الماهرة وكذلك تنفيذ بعض الأعمال المسندة لهم منها.

ثالثاً: مجالس الإنتاج فقط: وهي إما أن تكون عائلية بحتة، حيث يتجمع أبناء عمومه واحدة وأصحابهم للعمل في مجلس واحد، مثل ديوان الشواف، أو مجلس يشترك فيه المخايطة على دفع مصاريفه وتسمى عندهم بـ «الحطة».



علي المكلف، حلاق أحسائي، مارس الحلاقة على الأرض في شارع الفوارس في حي الرفعة الوسطى حتى تاريخ ١٤٠٠هـ، وكان عمره آنذاك ما يقارب من ٨٠ سنة.

(عدسة : عادل القضيبي).

ومن المجالس التي عرفت بكثرة المتدربين فيها قبل عهد النفط، وكانت أشبه
شيئاً بمعهد مهني للتدريب على الخياطة كلا من:

١- مجلس حسن الحميدي، وقد عمر صاحبه ١٣٥ سنة حيث توفي صاحبه عام
١٤٠٤هـ، وممن اشتغل في هذا المجلس، مرجع التقليد الشيخ موسى بن عبد
الله بوخمسين، إبان صباه قبل رحيله للنجف الأشرف للدراسة وذلك عام
١٣٠٨هـ

٢- مجلس آل الشيخ علي الرمضان من الأربعينات هجرية وكان صاحب المشغل
آنذاك محمد الرمضان، ثم جاء من بعده أبناؤه، ومحمد الرمضان «بوخلف»،
وهكذا استمر الوضع حتى الثمانينات، ويعتبر هذا المشغل من أكبر المشاغل
وأشهرهم تخريجاً للمتدربين.

لقد أسعف البحثُ ذاكرةً بعض المسنين عن مجالس الخياطة في فترة ما بعد
اكتشاف النفط، ولعل هذه المجالس، في فترتها كانت امتداداً لمجالس آبائهم
الماضين، لكن ليس هناك من يقطع بهذه المعلومة، غير من المقدر أن هناك ثمة
علاقة وثيقة بين الجيلين، وذلك بلحاظ اهتمام التوارث والتواصل فيما بين أفراد
العائلة الواحدة، على استمرارية المجالس والحفاظ عليها لكونها تمثل مصدر مالي
وفير إذا ما قورن بمصادر الدخل الأخرى، فضلاً عن أنها كانت تعتبر مهنة متميزة
مرموقة لا يحبذون انتقالها إلى عوائل أخرى، ومن المواقف المشهودة الدالة على هذا
الحس منافاة أحد أبرز عوائل حي الفوارس «في فترة السبعينات هجرية من القرن
الرابع عشر هجرية» لأبناء عمومته لما علم بأنهم قاموا بتدريب بعض أبناء العوائل
التي لم يعرف لها ماضي في مهنة خياطة البشوت، أما أبرز المجالس آنذاك حسب
الترتيب الهجائي ما يلي:

- ١- مجلس إبراهيم بوناصر، في السبعينات والثمانينات هجرية من القرن الماضي، وكان القائم عليه صالح بوناصر، وإبراهيم بوناصر، ووالدهم علي.
- ٢- مجلس جواد النجار.
- مجلس حسن الحرز، وكان يخطط للملك عبدالعزيز حيث تأتي طلبية البشوت إليه ويوزعها على المخايطة وكان يقوم بنشاطه في ذلك، كنشاط سليمان بن غنيم.
- ٣- مجلس حسين بن الشيخ ابراهيم الخرس.
- ٤- مجلس حسين علي القضيبي والد الشيخ عبدالعزيز القضيبي.
- ٥- مجلس صالح بوناصر.
- ٦- مجلس صادق الشهاب، والد الشيخ محمد الشهاب.
- ٧- مجلس صالح الحرز، وقد توفي عام ١٣١٩هـ.
- ٨- مجلس طاهر أحمد الجعفر، وقد توفي عام ١٣٩٧هـ.
- ٩- مجلس عبد الرضا بن عبدالمحسن القضيبي.
- ١٠- مجلس عبد الله بن حسن البحراني.
- ١١- مجلس عبد الله بن علي بوخميس.
- ١٢- مجلس عبد الله بن محمد علي المرزوق، وقد توفي عام ١٣٧٦هـ، وهو يعتبر من أحسن من يخطط البشوت الشتوية.
- ١٣- مجلس عبدالمحسن القضيبي.
- ١٤- مجلس عبدالمحسن بن محمد الخرس.
- ١٥- مجلس عبد الله بن طاهر العمار.

- ١٦- مجلس عبد الله بن علي القطان، وقد توفي عام ١٣٨٥هـ.
- ١٧- مجلس علي الحرز، وهو أيضا تأتيه طلبيات بشوت من الدولة.
- ١٨- مجلس علي بن إبراهيم بوناصر.
- ١٩- مجلس علي بن محمد الخرس، وكان يدعى بشيخ الخياطين في زمانه، بحسب إفادة المؤرخ الشيخ جواد بن حسين الرمضان^(١).
- ٢٠- مجلس عمار بن طاهر العمار، وقد توفي عام ١٣٩٠هـ.
- ٢١- مجلس محمد بن حسين بن عبد المحسن الخرس.
- ٢٢- مجلس السيد محمد الصالح وقد توفي عام ١٣٨١هـ، وهو والد العمدة السيد حسين.
- ٢٣- مجلس أبو زيد.
- ٢٤- مجلس المهدي، وكان القائم عليه علي المهدي والد حسن المهدي صاحب مجموعة المشالغ الملكية. والأخير طور عمله بطريقة حديثة متميزة في تسويق البشوت بمعية أبنائه، حيث أعطوا البشت الأحسائي مكانته التي تليق به من حيث طريقة التغليف والعرض، وإختيار مواقع التسويق في أرقى مراكز التسويق في كل من الأحساء، والخبر، والرياض، وجدة.
- ٢٥- مجلس المحاسنة، وسمي بذلك لشراكة كل من عبد المحسن بن أحمد الخرس، و عبد المحسن القطان في هذا المشغل، وكان ممن تواجد في هذا المجلس وعمل على التدريب في هذا المشغل موسى الموسى، وقد عرف الأخير بثقافته الواسعة في مجال التاريخ والأدب.
- ولم يقتصر سكان حاضرة الهفوف على الأحساء كمدينة عمل لهم في مجال خياطة

(١) -مقابلة مع الشيخ جواد بن حسين الرمضان.

البشوت، بل تجد أغلبهم كالسندباد، رحالة نحو الرزق الوفير، فتجدهم تغربوا في بعض دول الخليج كالبحرين و الإمارات وعمان، و لنجة في إيران حيث كانت ميناء مزدهر قبل انتقال حركة التجارة إلى دبي، كما أن العامل الأحسائي وصل إلى العراق، وحط رحاله في البصرة، وسوق الشيوخ، وهناك أقاموا مع، عوائلهم ومكثوا إلى هذه الأيام.

إن ظاهرة الهجرة في فترة ما بعد النفط كان أمراً مألوفاً بين سكان حاضرة الهفوف، إما إلى البحرين وهي أقرب المهاجر العمالية آنذاك، أو إلى العراق بـ«الكاظمية»، أو إلى سوريا بـ«دمشق»، أو إلى لبنان بـ«بيروت»، تحت عناوين كثيرة منها لجمع تكاليف الزواج وتأسيس بيت الزوجية، أو لكد لقمة العيش لأولاده وذلك بإرسال «الخرجية» لهم، ومنهم من يذهب للعمل والسياحة والاستمتاع وكان يطلق على الفئة الأخيرة بـ«الزكرتية»، غير أنهم لم يصلوا إلى حد التوطن في هذه الدول في هذه الفترة.

لعل أبرز عوامل انتقال العامل الأحسائي إلى بلد الغربة من أجل العمل هو انتقال المسوقين، نظراً لمعرفة أولئك بأفضل ظروف الإنتاج، فعلى سبيل المثال كان سبب هجرتهم إلى سوريا ولبنان، لما تميزت به لبنان من محطة سياحية ارتادها أمراء الخليج وحكامها ورجال الأعمال الخليجيين آنذاك. وقد تمخضت حركة الهجرة العمالية الأحسائية، إلى الدول المشار إليها عن انتشار فن خياطة البشت الأحسائي وتوطينه في تلك الدول واكتساب بعض أبناء تلك الدول هذا الفن الأصيل خاصة منهم أكراد الشام، وإنتاجه بأقل جودة لكن بأسعار منافسة جداً.

وقد كان لهجرة خياطي البشوت من الأحساء إلى الشام، وتعليمهم لبعض أبنائها هذه الحرفة المتقدمة، برزت نقوش جديدة لم تعرف من قبل، حيث في الماضي لم يعرف غير نقشة «المنديلي» أما مع هذا التمازج والحركة العمالية بدت نقشات مختلفة تقوم على تشكيل خيوط الزري على هيئة مربعات متجاورة بدلا الأشكال الطولية التي عرف بها بشت «المنديلي»، وهذه المربعات المتجاورة تتعدد على خط

واحد فيتكون منها نقشا يسمى بـ «المروبع» و«المخومس»، و«المسودس»، وهكذا بعدد المربعات المشكلة من الزري، ونوع آخر برز على هيئة صف الطابوق، ويختصر ذكر النقشات الجديدة عند الوصف فيقال «سوري» في قبال «المنديلي».

وخلال عمل الخياطين الأحسائيين في سوريا، تعلم السوريون منهم مهنة خياطة البشوت.

وفي عهد الطفرة الاقتصادية عادت العمالة الأحسائية المهاجرة إلى أحسائها عدا النزر القليل منهم، وجدد الكثير من الخياطين الذين هجروها عهداً جديداً بها؛ نظراً لإرتفاع الأجور، وعدم حاجتهم لتجشّمهم عناء السفر والترحال مرة أخرى، غير أنه لا جديد من الأبناء في هذه المهنة العريقة، حيث الغالبية العظمى استوعبتهم الحركة التعليمية المزدهرة في البلاد، وانخرطوا في الوظائف الحكومية بشتى أصنافها عدا النزر القليل منهم، الذي إن تعلم المهنة، فهو يمارسها خارج دوامه الرسمي في المساء.

وفي هذه الفترة لم تقف حالة تسريب المهنة إلى العمالة السورية فقط، بل انتقلت إلى العمالة الهندية المستقدمة إلى البلاد، بعد أن أغرى أصحاب المشاغل المكاسب الوفيرة، ورغبة منهم في تحقيق أكبر قدر منها جلبوا خياطي الملابس الهندية، وعرفوهم على أسرار مهنتهم، ونظراً لحدة المنافسة بين المشاغل، عادت أجور الخياطين في الانخفاض مرة أخرى، وعليه ترك المهنة من رجع إليها، ولم يبق منهم إلا من انحصر كسبه فيها؛ لمحدودية إمكانياته في اكتساب مهنة أخرى.

في فترة ما بعد النفط كان بعض أقمشة البشوت تصنع في الأحساء وبعض منها يستورد من الخارج وذلك وفقاً لتوقيت لبسه؛ نظراً لأن البشت يستخدم صيفا وشتاء، فهناك منه أقمشة صيفية وأخرى شتوية وهي كما يلي:

أولاً- البشوت الصيفية: عادة ما يجلب قماش البشت الصيفي من مدينة النجف الأشرف من العراق وهو يسمى بـ«النجفي»، وهناك قماش شبيه له يسمى «البوشهر» نسبة إلى مدينة خر مشهر بإيران، وقد تم تقليد هذين القماشين عبر تقنية بريطانية يعرف قماشها بـ«اللندني» ثقيل السماكة يعرف بـ«بوقاطين»، وآخر بتقنية يابانية حديثة وهو أخف ويعرف بـ«بوقاط» كما أن هناك نسيج ياباني آخر يسمى بالونيشن، وقد أنتج قبل ٣٠ سنة.

ثانياً: البشوت الشتوية: كان في الماضي يصنع قماش البشوت الشتوية في الأحساء حيث يجلب صوف طبيعي من البدو، ويغزل على أيدي النساء الأحسائيات، إذ قلما تجد بيتا في الرفعة الوسطى لا تغزل نساءه هذا الصوف، وبعد غزلهن الصوف يباع على الحاكة في الرفعة الشمالية، حيث تخصص في هذه المهنة الكثير من عوائل هذا الحي كـ الغريرى، والعليو، والياسين، والبومرة، ويبيع أيضا في الرفعة الجنوبية لتخصص أغلب أفراد الحي بالحياكة، ومن أبرزهم عائلة الحمد، والبوعيسى، والمعيوف، والحذب، والمزيدي.

لم يستمر وضع الإكتفاء الذاتي من الصوف المحلي في تلك الفترة، وذلك لتطور خيوط الغزل الإيرانية، مما دعا بعض رجال الأعمال التخصص في استيرادها كمائلة البوعلي والمرزوق، والهلال، وبعد نسج الخيوط يصبغ في مصابغ الحيين المذكورين، بمادة كريهة الرائحة تعرف بـ «الندوة»، بعدها يغسل النسيج في أحد عيون الماء الطبيعي كعين أم خريسان بالهفوف لقربهم منها، وكان ممن عرف بهذه المهنة محمد علي المرزوق، غير أن هذه المهنة انتهت بفعل التقنية الحديثة، وذلك بافتتاح مصنع للنسيج في سوريا، وذلك بشراكة كل من أحد السوريين يدعى بـ نبيه حمد الله، وعبد الله بوحليقة، وبعد انفصالهم من شركة دامت خمس سنوات قامت شركة بين نبيه حمد الله وعلي بوحليقة، حيث قاموا باستيراد الخيوط البريطانية المصنوعة من

صوف حيوان اللاما والمصبوغة آليا، وبهذا وجهوا ضربة قاصمة للحياكة اليدوية في الأحساء، والتي على أثرها تم تأسيس مصنع النسيج بالأحساء عام ١٣٨٣هـ بشراكة ذات مسئولية محدودة بين كل من عبد الله بوحليقة، ويوسف بوعلي، وعلى الرمضان، وياسين الرمضان، وآخرين، وكان الذي يقوم بالإدارة المالية والفنية للمصنع كل من يوسف بوعلي وعبد الله بوحليقة.

في عهد ما بعد النفط تم استيراد الخيوط النحاسية من الهند غير أنها بدأت تتلاشى منذ ٢٥ سنة، لتحل الخيوط المكسوة بالفضة، ذات اللون الفضي والآخر الذهبي المستوردة من فرنسا والمسماة بـ «الزري»، ووفقا لهذا التطور في الخامات الأولية صار البشت يمر بمراحل إنتاجية تتناسب مع طبيعة هذه المواد وهي كما يلي:

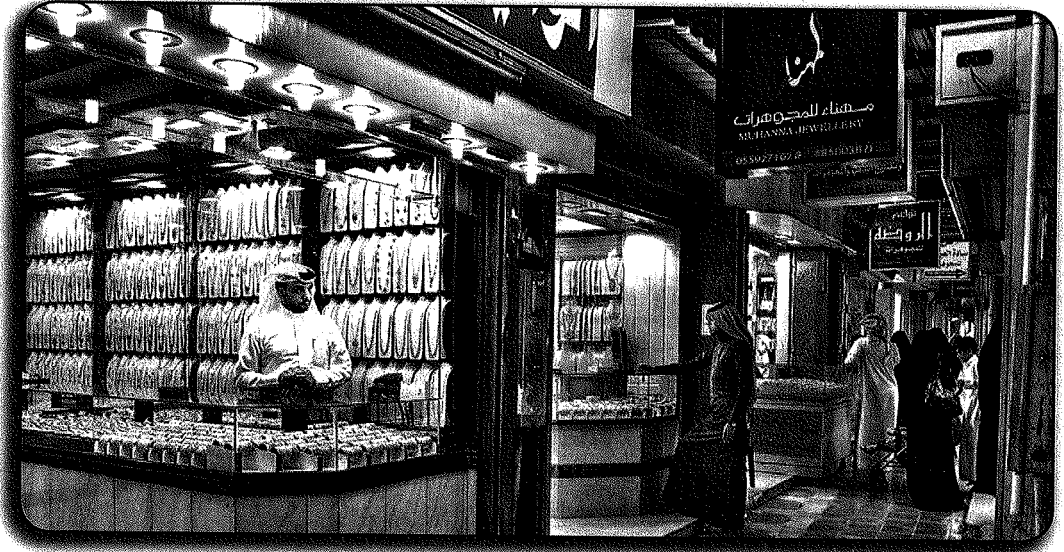
وقد ترك عهد الطفرة الاقتصادية أثارا جيدة على صناعة البشت بشكل عام من حيث حركته العمالة، وسعره، وتعدد أشكال نقوش خيوط الزري الذهبية اللون، وذلك ليسر المالي لمرتديه من الملوك والأمراء والوزراء ورجال الأعمال والنخبة الاجتماعية.

ولم تقف تداعيات تطور البشت الأحسائي على أيدي أبنائه، فهم يرونه تراثهم الأصيل، ومن خلاله يعززون الزي الوطني ليس للملكة العربية السعودية فحسب، بل لأبناء دول مجلس التعاون أيضا، لذا يلاحظ أنهم قد انفتحوا على التقنية بهدف دعمه وتعزيزه ومن ذلك اهتمام عائلة البوحليقة بالجانب التقني عبر شراكتهم السابقة مع نبيه حمد الله، وفي هذا الزمان واصل كل من علي بن محمد العيسى بوحليقة، وباقر بن الشيخ أحمد بوحليقة، في مدينة أبوظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، حضورا مع التقنية، من أجل تصنيعه آليا في جميع مراحل إنتاجه واستخدموا مواد متفاوتة القيمة نزولا على رغبة العملاء، وحاجة الأسواق، وآخر إنجازاتهم في هذا المجال، إقبالهم على خياطة الزري على قماش البشت، بواسطة آلات تعمل بتقنية الحاسب الآلي، وبهذا استطاعوا أن يحققوا رضا لعملائهم، خاصة منهم الفئات ذوات الأعمار الحديثة.

الفرع الثاني: صياغة الذهب والفضة:

صياغة الذهب والفضة فن أصيل في محافظة الأحساء، وأحد حرفها اليدوية التي عرفت بها منذ أمد بعيد. فقد اكتست من صنع أيديهم المجهددة عبر السنين نساء الحضرة ونساء البوادي المحيطة بها. وتركزت صناعته بشكل كبير في حاضرة الهفوف ويسير منها في مدينة المبرز، وقد امتهنت بعض الأسر هذا الفن حتى صار من ثوابتها المميز لها، كعائلة البقشي و المهنا، و الباذر، و البوجبارة، و الدين، و الوائل، و المسلم، و الموسى، و الحمراني وبعض أفراد عائلة الخرس هذا من عوائل الهفوف، ومن المبرز كلا من المؤمن والمحمد علي والدجاني...، ونظرا لأهمية مركزية أسواق الهفوف جعل بعض صاغة المبرز مركزا هاما لحرفتهم هذه، حيث يؤم هذا السوق أهل القرى والبوادي، ولعل من أبرز مصوغاتهم التي اشتهروا بها قديما، المرتعشة، والنكلس، والسبحة، والبغمة والقلادة هذا مما كان يعلق على العنق ويتدلى على الصدر، وفي الأذن الحلق والتراكي، وفي الأنف الخزامة وعلى الرأس الربيعية والمقاضييب، أما ما كان في السواعد المعاضد، والأساور، وفي الأصابع الخواتم والمرامي، والدبلة، وعلى البطن الحزام، وفي ساق الرجل الحجول.

وتعتبر مهنة الصياغة أحد الأنشطة التجارية لسكان مدينة الهفوف حيث يصوغون بأيديهم أغلب مبيعاتهم آنذاك، ولعل الذهب أكثر مبيعاتهم، حيث يأخذونه على شكل سبائك، أو ذهب مستعمل يسمى «خشل» يتم صهره وتحويله إلى قضبان أو رقائق ويعاد تشكيله من جديد، ويستعينون آنذاك بعدد يدوية منها المطرقة والصندالة والمقص والمنقاش و الملقط، والمنفاخ، والمحك، والرمل المخلوط بالدبس والصطمبة هذا بالإضافة إلى بعض المواد الكيماوية مثل، التيزاب، والشناذر.



أحد محلات بيع الذهب في محلة الرفاعة بمدينة الهفوف
في عهد الطفرة الاقتصادية عام ١٤٢٩هـ تقريباً.

ومما يلاحظ أن أغلب مصوغات الذهب في أسواق الهفوف قبل النفط وبعده يغلب عليها الصياغة اليدوية، أما بعد الطفرة الاقتصادية فقد توجه عدد من الأحسائيين إلى افتتاح مصانع للذهب في مدينة الدمام بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، والعمل على تسويقه بشكل واسع ومن مراكز التسويق التي تستوعب منتجاتهم أسواق مدينة الهفوف، ومن تلك المصانع مصنع غسان النمر، ومصنع الجزيرة لعبد الفني بن عبد الله المهنا، وأخوه سامي ومصنع شمس لعبد الله المحمد علي، كما أن هناك العديد من المشاغل في مدينة الهفوف لكل من: شيخ الصاغة جمعة أحمد الباذر له مشغل «نسرين»، وحسين باذر الباذر له مشغل «الأحسان»، وعبد المجيد بن محمد بوجبارة له مشغل «الفاتنة» وجميع هذه المشاغل تسوق إنتاجها في الأحساء^(١). وهؤلاء من أبناء فريج الرفاعة الأثري، في الرفعة الوسطى في مدينة الهفوف، ونشاطهم هذا فيه تأصيل وحفاظ على تراث المنطقة في مجال الصياغة.

(١) - مقابلة مع عبد الكريم بن عبد الله حسين الخرس.



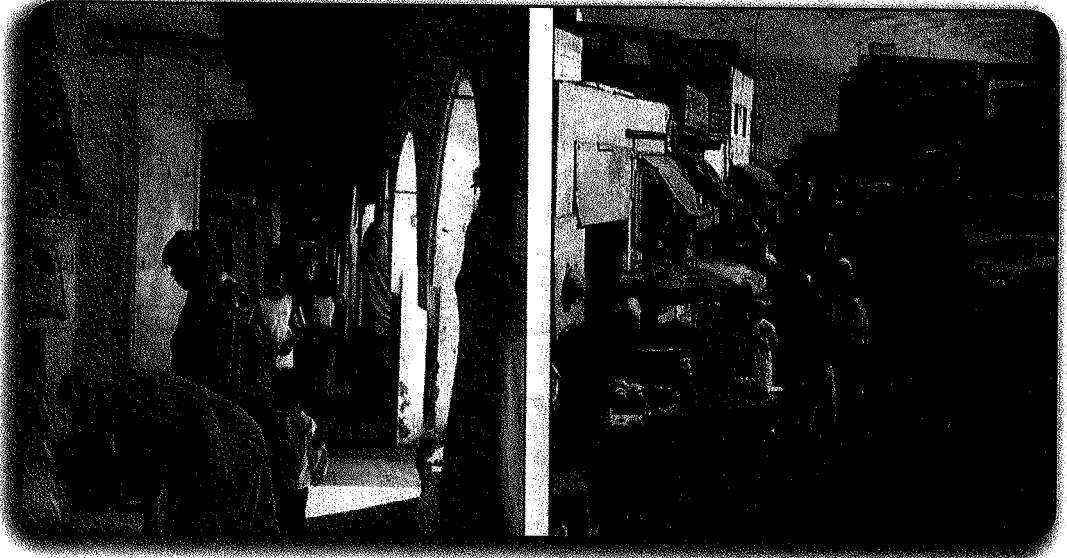
سوق الذهب (الصاغة) بمحلة الرفاعة بحي الرفعة الوسطى بمدينة الهفوف في أوائل سنوات عهد الطفرة الاقتصادية التي بدأت عام ١٣٩١هـ.
(عدسة : المهندس عبد الحميد محمد آل حسين (آل محمد علي) البقشي)

الفرع الثالث: صناعة الأثاث والأواني والأدوات الخفيفة.

أثمرت الحركة الصناعية في حاضرة الهفوف عبر الزمن، عن تطور الوضع الحرفي في أسواقها، بقدرة متميزة في توفير مستلزمات حياة سكانها ومجاورهم، وذلك يعود إلى وفرة اليد العاملة، واهتمامها بتطوير مهنتها عبر التخصص، حتى لقد اختصت عوائل بتلك المهن، وعرفت بها، بل وتميزت بحمل أسم حرفتها كلقب للعائلة، ولعل أبرز تلك الحرف ما يلي:

أولاً: الخزافة. اختص الخزافون بصناعة قلة الماء «المصخنة»، و الزير «الحب»، و «الخرس»، و قدح شرب الماء، وأواني شرب الماء للطيور والدواجن، والمبخر، و مادتهم الأولية هو الطين الأخضر، ومن أحياء مدينة الهفوف التي عرفت بإنتاج هذه المستلزمات حي الرفعة الشمالية ومنهم عائلة الياسين. هذا ومن مراكز صناعة الفخار

على مستوى الأحساء قرية القارة لوفرة المواد الأولية هناك، وقد ظلت صناعتهم رائجة لحاجة الناس إلى منتجاتهم في حياتهم العامة، إلى ما قبل اكتشاف النفط، وبعده بسنوات عديدة، ولما شاع استخدام الكهرباء، ودخلت المبردات الكهربائية في البيوت والمحلات التجارية بدأت هذه المهنة في الانحسار، ولم يبق منها في عهد الطفرة الاقتصادية الثانية، غير تراثية المهنة وعبق الماضي بذكرياته الجميلة، وعليه أصبحت منتجاتهم تحفا تزان بها البيوت التي تحرص على جمع التراث فقط.



سوق القيصرية بمدينة الهفوف ويظهر بها
الصف الأول من المحلات التجارية المقابلة
للشارع العام في عام ١٤١٥هـ.

شارع الحدادين، يأخذ المار في بدايته من
الجهة اليمنى إلى عدد من ورش الحدادين
وإلى اليسار سوق القيصرية العام بمدينة
الهِفوف. في عام ١٤١٥هـ.

المصدر: عبد العزيز العياف، المنطقة الشرقية ذاكرة مصورة.

عدسة : محمد آل شبيب.

ثانيا: الحدادة. اختص الحدادون بصناعة بعض الأدوات المنزلية: كالكسكين،
والمنقاش، والمحماس، وللمزارعين: المحراث، والمسحاة «الصخين»، والفأس،

والمنجل، والمحش، والعتلة «الهيبي»، وللنجارين: المنشارة، وأدوات الحفر، والقطع «الرندة» والمطرقة، و المفصلة «البتة/القصة»، ولرعاة الإبل الميسم ومن العوائل التي مارست هذه المهنة عائلة الحداد.

لقد حافظت هذه المهنة على خصوصيتها حتى بعد اكتشاف النفط، وكذا في عهد الطفرة الاقتصادية وما بعدها وذلك لحاجة المزارعين في محافظة الأحساء إلى منتجاتهم كأدوات زراعية، ولعل أبرز ما استحدث فيها هو إحلال العمالة الأجنبية، بدلا من صناعتها الوطنيين، وذلك لعزوف الكثيرين عنها.

ثالثا: النحاسية. امتهن بعض عوائل مدينة الهفوف صناعة الأواني المنزلية، من دلال القهوة والأواني وقذور الطبخ، وممن عمل في هذه المهنة عائلة السالم، والتممتي، وقد حافظت هذه المهنة على وجودها في سوق الحرف الأحسائية بعد اكتشاف النفط؛ لجودتها وقلة المنافسة لها من خارج الواحة، غير أن رواج صناعة الأواني المستوردة، هدد وجودها، وأولى جولاتها كانت مع أواني الطبخ، أما الدلة الأحسائية فقد صمدت على صعيد المنافسة أول الأمر؛ لجمالها وأصالتها في تراث الجزيرة العربية، ولكن لم تلبث أن زاحمتها الأباريق المعدنية اليابانية المبطنة، من داخلها بالقوارير الزجاجية، والتي وجدت الكثير من المجالس أن لا مفر من اقتنائها؛ لمحافظة على حرارة القهوة لمدة طويلة، وتخلصا من الوجاغ الذي كان يملأ المجلس دخانا، ورائحة غير مستساغة، إلا لدى المحافظين على الأصالة العربية، ومن أراد الجمع بين الأصالة والنظافة، قام بإعداد دلة القهوة في موقد خارج المجلس، ومن الجدير بالذكر أن المنافسة بدأت قبل عهد الطفرة الاقتصادية وزادت حدتها بعد ذلك.

رابعا: الخرازة. اختص الإسكافيون «الخرازون» بصناعة الحقائق، والمحافظ، والأحذية، وقرب الماء، والدلاء، والأحزمة، والسيور، وأغماد السيوف، وهذه الصناعة

باتت محافظة على مكانتها بعد اكتشاف النفط، وحتى في عهد الطفرة لكن ليس على نفس مستوى الطلب السابق، لمنافسة الكثير من السلع الجلدية المستوردة، ولكن الحاجة إليها امتدت حتى الزمن الحاضر وذلك يبدو في قدرتهم على صيانة الجلود الجديدة، وكذا انتاج بعض الأحذية التقليدية، وتقليد الجديد من السلع المنافسة.

خامسا: القطانة. اختص القطنون بصناعة الفرش، والمساند، والتكيا، والوسائد مستخدمين في ذلك القطن وبعض الأنواع من المساند والتكيا تستخدم فيها الليف، ومن العوائل التي عملت في هذه المهنة من سكان حاضرة الهفوف عائلة القطان، والجبارة، وهذه الصناعة لا تزال محافظة على مكانتها إلى الوقت الراهن، على الرغم من منافسة المنتجات القطنية المستوردة حيث لم يؤثر فيها اكتشاف النفط ولا عهد الطفرة الاقتصادية، غير أن بعض مواد الخام تطورت باستخدام الإسفنج الصناعي الذي منح صناع هذه الحرفة الفرصة الكبيرة للإبداع بإخراج منتجات منافسة للعديد من أشكال الأثاث المستورد من الخارج.

سادسا: القفاصة. اختص القفاصون بصناعة أقفاص تعبئة الرطب والتين، والخوخ، وموادهم الأولية مأخوذة من جريد النخل، ومن عوائل حاضرة الهفوف الذين عملوا في هذه المهنة عائلة القفاص من حي الرفعة الشمالية. وقد حافظت هذه الصناعة على مكانتها بعد اكتشاف النفط، إلا أن ذلك لم يدم طويلا، فقد كانت المنافسة حادة من قبل صناديق الحفظ الخشبية، ومن بعدها البلاستيكية، وقد تصاعدت حدة المنافسة، بعد عهد النفط، تبعا لزيادة حجم الاستيراد من الفواكه، والخضار من الخارج، التي لا تعرف لصناعته أسم ولا لشكله رسم، وهكذا شيئا فشيئا صار يختفي عن مسرح الصناعات المحلية، ولم يبق منه غير تراثيته، حيث يقتنى للزينة والحفاظ على تراث الآباء والأجداد.

سابعاً: النجارة. اختص النجارون بتوفير مستلزمات السكان من الأبواب والنوافذ، والدواليب، و الأسرة، والكراسي « للمصاخن، والوزير»، والسروج، وأدوات المطبخ ك«محارك الهريس والعصيد»، و للمزارعين: الطرف الخشبي للمسحاة «الصخين» والفأس، و المنجل «المحش» و محالة العين«البكرة»؛ لسحب الدلاء من العين، وللحراس الطوافون ليلاً في المدينة: «المشعاب والعكر»، وأجادوا صناعة عربات «القواري» للحمير، وقد استغلوا في صناعتهم تلك أشجار الأثل وجذوع النخيل، ومن العوائل التي مارست هذه المهنة: عائلة البراهيم والحرز، والنجار، والحاجي محمد، وهذه الصناعة لم تختف عن أسواق الهفوف، حيث لا زال المزارعون يحتاجون إلى منتجاتهم؛ لإكمال عمل الحدادين السابق ذكرهم، غير أن الشق الآخر من منتجاتهم والمتعلق بالأثاث المنزلي، انتقل إلى أوضاع أكثر جودة واستثماراً، حيث طور الكثير من النجارين مهنتهم باستخدام الآلات الكهربائية الحديثة، مواجهين بذلك حدة المنافسة التي شكلتها عليهم الصناعات الخشبية المستوردة، وقد تفوقوا في الكثير منها حتى باتت الصدارة في الكثير من المنتجات الوطنية؛ لجودتها، وقوة تحملها، بالمقارنة مع المستوردات التي تكثر من استخدام الخشب الحبيبي المضغوط، وعلى الرغم من كل هذا يظل المستورد من الخشبيات من يفضلها؛ لجمالها، وحدائث تصميمه، والرغبة في التغيير بين فترة وأخرى، إذ الصناعة الأحسائية الجيدة من أثاث المنازل، وخاصة منها غرف النوم، قد يطول بها الزمن إلى فترة طويلة، لو ذكر عدد من السنوات الفعلية لبعض من استخدمها - ومنهم الباحث - لكان ذلك ضرباً من المبالغة.

جميع هذه المهن عرفت بها الأحساء قديماً، ورصدها من زار الهفوف من المستشرقين والباحثين المواطنين ك قلبي عام ١٩٢٢م، وشيزمان عام ١٩٢٦م، وفيدال عام ١٩٤٥م، وإبراهيم العلاوي عام ١٩٧٦م، وعبد الله السبيعي عام ١٩٨٦م،

وقد ظلت هذه المهن تدار بأيدي أحسائية من سكان حاضرة الهفوف، سواء في فترة ما قبل عهد النفط، أو بعده وحتى منتصف فترة عهد الطفرة تقريبا، غير أن العمالة الأجنبية بدأت تحل محل العامل الأحسائي من الهنود خاصة، ففي وقتنا الراهن أغلب ممارسي هذه المهن من الاحسائيين لديهم عمال أجانب، وما آلت إليه هذه المهن العريقة إلى هذا الوضع إلا بسبب عزوف أبناء الصناعات القدامى عن مواصلة مهنة الآباء والأجداد، تطلعا منهم إلى وظائف تتناسب مع مستواهم التعليمي والاجتماعي الحديث.

ما سبق من صناعات، كان امتدادا لثراث عريق، حضرته أيدي الزمن في أرض الأحساء، ومارسه الحرفيون من سكان مدينة الهفوف، ولعل هذا الحضور الصناعي في وعي هذه الحاضرة جعلها قادرة على الدوام بأن تتعاطى بكل انفتاحية على معطيات العصر من التقنيات الحديثة، ما جعل العديد من أبنائها أن يفكر بطريقة استثمارية تتناسب مع روح العصر ولعل أولى تلك المبادرات التي سبق ذكرها وهي:

١- تأسيس بعض الصناعات الضرورية مثل مصنع للثلج من قبل شركة التعاون بإدارة ياسين الرشيد، وياسين الغدير عام ١٣٧٧هـ، ومصنع النسيج، وكذا الشركة الأهلية بإدارة عبدالحميد الفضل المحمد صالح، وأهم نشاطات الشركة مصنع ثلج، وطابوق، ونقل الرمل، والصخور، والكنكري، والأسمنت.

٢- شركة النسيج الوطنية بالأحساء عام ١٣٨٤هـ، وهو مصنع لحياكة العبي، والبشوت في حي الفاضلية بالهفوف.

هذا وقد تعددت الصناعات التي قام بها سكان حاضرة الهفوف، منها ما هو داخل المدينة كمشاغل خياطة الملابس، والمخابز الأوتوماتيكية، وتحلية المياه وصناعة الثلج، وصناعة الورق ومنتجاته، والطباعة والنشر، ومنها ما هو خارج عنها حيث يتركز

أغلبها في المدينة الصناعية في مدينة العيون وهي تابعة لوزارة الصناعة والكهرباء، مراعاة منها لمحدودية مساحة المدن السكنية والتجارية وتطلعا لسلامة البيئة من مخلفات الصناعة، ووضوئها، ولعل أهم تلك الصناعات مايلي: البتروكيماويات، والغذائية والمشروبات، الخشبيات والطباعة والنشر^(١) و الألمنيوم. كما أن هناك صناعات خارج المدينة الصناعية، مثل صناعة الألبان، ومواد البناء، ومن تلك الصناعات صناعة البناء والتشييد.

المطلب الثاني

الصناعات الخدمية «الحج، البنوك، الصحة، النقل، التصوير، الصيانة»

وسيتم عرضها عبر الفروع التالية:

الفرع الأول: تفويج الحجاج والمعتمرين إلى الديار المقدسة.

منذ القدم كان للأحسائيين ارتباط وثيق بحاضرة الرسالة المحمدية في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، كيف لا وشاعرهم العبدى يشير إلى ذلك السبق في الانتماء، وذلك ببناء ثالث مسجد على وجه البسيطة في حاضرتهم الأحساء في قرية جواثا، حيث يقول:

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا والمنبران وفصل القول في الخطب
أيام لا مسجد للناس تعرفه إلا بطيبة والمحجوج ذو الحجب

(١) - بلدية محافظة الأحساء، المخطط العمراني المحلي لمدينتي الهفوف والمبرز، التقرير الثالث، "الأحساء: بلدية الأحساء، ١٤١٨هـ"، ص ٣-٦.

وهكذا ظلت الأجيال الأحسائية عبر تاريخها المجيد، تدين بالولاء التام لأرض الرسالة المحمدية، حيث لم تخل زيارة مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحج بيت الله الحرام من برامجهم العبادية؛ لكون الحج يمثل أحد التشريعات الإسلامية، وعليه لم ينقطع هاجس الوفاة الإيمانية إلى تلك الديار المقدسة من مشاعرهم منذ ذلك التاريخ، لذا لزم الأمر أن يتصدى من طليعة أبنائها المؤمنين لخدمة تفويج الحجيج والمعتمرين والزائرين، وقد مارسها صالح بن عيسى بن محمد بن عبد الله الخرس المشهور بـ «الحجال» المتوفي عام ١٢٩٦هـ وذلك قبل عهد النفط، أما بعد عهد النفط فمن أبرز من قام بها حسب الترتيب الهجائي هم:

أحمد بن علي السلطان العلي، وحسين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الخرس، وأحد أفراد عائلة الحويجي، وأحد أفراد عائلة الذوادي، والملا طاهر بن علي البحراني وأخوه محمد، وعبد الله محمد الهاجري، وعبدالرحمن بودي، وعبدالله الملح، ومحمد بن الشيخ إبراهيم الخرس، ومحمد بن ضيف الله الملح، ومحمد بن علي البحراني، وموسى بن محمد بن الشيخ إبراهيم الخرس، وموسى الدباب، ومن بعده ابنه إبراهيم.

وكانت قوافل الحج تلك تقدم خدماتها في حدود معطيات زمانهم من حيث جودة الخدمات، ولما كان عهد الطفرة الاقتصادية، وأصل في بدايتها العديد منهم خدماته، غير أن منافسة القوافل النظامية التي اعتمدت العمل المؤسساتي، بدأت في ازاحة هذه القوافل عن الصدارة، عدا حملة إبراهيم بن موسى الدباب؛ لرغبة الكثيرين في نمط خدماته، أما أسبق القوافل التي قامت بدورها من منظور مؤسساتي بعد عهد الطفرة الاقتصادية، حسب الترتيب الهجائي لأسماء القوافل هي: قافلة التقوى، ومرشدها الشيخ حسين العايش، وقافلة المرتضى ومرشدها الديني الشيخ توفيق البوعلي، وقافلة المعاد ومرشدها الديني الشيخ علي بن علي الدهنين.

الفرع الثاني: الصرافة والبنوك.

قبل عهد النفط لم يكن هناك عملٌ مصرفي في الأحساء قاطبة، واستمر الحال على ذلك حتى بعد اكتشافه وكان التجار يعمدون إلى إنجاز أعمالهم البنكية من حوالات وغيرها إلى بنك الهولندي «الاندونيشين» في الخبر، أما إيداعاتهم المالية ففي بيوتهم حيث بنى البعض منهم غرفاً اسمنتية خاصة لهذا الغرض أو في محلاتهم التجارية، وقد لفت نظر هذا الوضع إدارة «بنك الرياض» فسارعت إلى تقديم خدماتها البنكية في الهفوف لتخدم كامل منطقة الأحساء ومن ثم «البنك الأهلي». أما أعمال الصرافة وتغيير العملات فكانت عبر صرافيين في سوق القيصرية.

أما في عهد الطفرة الاقتصادية سارعت البنوك المسعودة لتقديم خدماتها البنكية في حاضرة الهفوف، لتلحق بركب بنكي الرياض، والأهلي كالبنك العربي، والفرنسي، والبريطاني، والأمريكي، والهولندي، والجزيرة، والبلاد ومن المصارف مصرف الراجحي، والقصيبي، والراجح، كما دخلت أنماط خدمات التحويل السريع في العديد من البنوك، والمكاتب المتخصصة في مثل هذه الخدمات

الفرع الثالث: الصحة.

كان الطب الشعبي قبل عهد النفط نافذتهم الصحية الوحيدة على علاج المرضى، ويعتقدون فيه الشيء الكثير، حتى لتجد البعض آنذاك يتندر بمن يتجه إلى الطب الحديث على الرغم من وجوده، كما هو الحال في فترة العثمانيين كما يؤكد الضابط العثماني العراقي محمد طه الشخيلي في مذكراته، حيث أوضح فيها عن مدى تقدم الإمكانيات الصحية في ثكناتهم العسكرية في حي الكوت، فقد ذكر بأن عندهم أطباء وجراحين، وصيادلة كما ذكر ذلك في معرض حديثه عن مقابر الغرباء في الهفوف حيث يقول : لهم مقبرة خاصة داخل سور البلد، وهي مسورة للنصارى

واليهود القليلين من الأطباء والصيادلة والجراحين في العسكرية، فلهم مقبرة خاصة متطرفة خارج السور فيها قبور الذين ماتوا في أوقات مختلفة أثناء وظائفهم هناك عرفتها عندما دفن فيها صيدلي في فوجنا وهو رومي الأصل « يوناني»^(١). أما عن حديثه حول واقع الحالة الصحية ومستوى الوعي الصحي في الهفوف فيقول: لا يوجد عندهم طبيب، ولا متطبب، ولا غيره، ويكتفون بالوصفات التي يصفها بعضهم لبعض، يشترونها من العطارين ومع أن أطباء الجيش لا يردونهم إذا راجعوا للتداوي فلا يراجعون أصلا^(٢). وتعود ظاهرة اهتمام العثمانيين بصحة عساكرهم، نظرا لما وجدوا أنفسهم منذ البداية في بيئة غير مألوفة بالنسبة لهم من الناحية المناخية كالرطوبة، وكثرة المستنقعات المائية، مما أدى إلى تفشي عدة أمراض في أوساطهم كالحمى، والمalaria، والكوليرا، وحدا بالكثير من الجنود إلى التذمر من وجودهم في المنطقة^(٣). وقد أبدى المتصرف العثماني في المنطقة اهتماما بالنواحي الصحية فيها، ويتضح ذلك من خلال كثرة عدد الأطباء المتقدمين إلى الحاضرة.

وقد أفادت والدة الباحث بجانب كبير من واقع الحالة الصحية في تلك الفترة، وطريقة علاجها، لخبرتها الواسعة في هذا المجال، و سيتم إيراد بعض منها الصفحات التالية من الدراسة.

من مظاهر ضعف الرعاية الصحية لدى سكان حاضرة الهفوف تجدهم يتعاملون مع أغلب الحالات المرضية على أنها ارتفاع في درجة الحرارة «مصخن»، وكثيرا ما يلجأون إلى تخفيفها بالحناء، حيث يضعونه على رأس ويدي وقدمي المريض، وكان عندهم مؤشرات للسخونه، التي تشكل خطرا على حياة المريض بالوفاة تلك التي لا

(١) - محمد طه الشبخلي، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، مصدر سابق، ص ٢٩٤.

(٢) - محمد طه الشبخلي، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، مصدر سابق، ص ٢٩١.

(٣) - عبدالله بن ناصر السبيعي، الأمن الداخلي في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ - ١٣٣١هـ: دراسة وثائقية، مصدر سابق، ص ٢٠.

تقل عن ٣ أيام ولا تزيد عن ٧ أيام فإذا تعدت السبعة تباشروا خيرا بحياة المريض، أما دونها فإنهم يعدونه في المفقودين، أما حالات المغص، وآلام البطن، يعالجونها بالتهام «المرّة»، وهو علاج شعبي منتشر، وموجود في كل بيت، حتى صارت مثلا سائرا بين النساء «ما تستوجع حرة وفي البيت مرة» هذا إذا كان المغص ألمه طارئا، ومحدودا، أما إذا لم يشفى المريض يبدأون معه بالتدرج في علاجه، حيث المرحلة الثانية بـ «الصبر» وهو دواء عشبي أسود اللون، مر الطعم ومنه أخذ المثل الشعبي «أمر من الصبر»، يعتقد فيه بأنه يصلح لشفاء ٧٧ علة، أما إذا استعوصت الحالة ولم يعلم لها تشخيص واضح أتوا بـ «سبع الدويات»، وهو مركب من سبعة أدوية هي: المرّة، والصبر، والمقل، وسمغ الريح، وعلك اللبان، وسكر النبات، وملح الحيدران فبعد طحنهم جميعا، يتكون منه دواء مر الطعم، كرية الرائحة، وعلى المريض أن يضع في كفه كمية بمقدار الملعقة تقريبا ويلتهمه أملا في الشفاء.

يتضح مما سبق أن أمراض البطن، من الأمراض المحيرة لهم حتى لتجد معدة المريض تتحول إلى حصالة أدوية مرة، قد تسبب له المرض أكثر من الشفاء، كما هناك دواء آخر للبطن هو الزعتر، أما في حالات البرد والزكام، فلا مفر من «لسان الثور»، حيث يؤخذ ويغلى في قدر، ويؤتى بالقدر مغطى، ويكشف عن الدواء والبخار يتصاعد منه في وجه المريض بعد أن يكون المريض قد أعد غطاء كافي لرأسه وللقدر، فيستشقه بعمق، بعدها يشرب ماء «لسان الثور» تسكينا لآلام الحنجرة والصدر، وفي حالات وجع الرأس تدهن الجبهة، وتصرق الأذنان.

أما الكي وما أدراك ما الكي، دواء أعد لما استعصي من الأدوية، حتى راح مثلا «آخر العلاج الكي» فحالات عرق النساء، وال«بوصفار»، عادة ما يعالج بالكي، وحالات أخرى كثيرة لا يسلم فيها حتى الأطفال الرضع، إذ يعتقد أن الرضيع إذا كثر بكأؤه لزمه إلى كي خفيف جدا لترويعه على حد تعبير النساء، فيعمدن آنذاك إلى عود

مدة أسل، ويطوى على أطرافها قماش، وتحرق الخرقة، فيلذع جسده الرقيق بها ثمان لذعات: أربع منهن في بطنه حول السرة، وأربع منها في رأسه منها اثنتين على الصابرين، وواحدة في جبهته وأخرى في قفاه «علباه»، ويبقى على من كوته أن تضع من ريقها على مكان اللذعات، أما الكي الثقيل الذي يستخدم فيه المياسم الحديدية فإن علاج الحروق فيها عادة ما يوضع على الكي بعضا من النخاع لمدة يوم واحد حتى يحمر «ينقل» ويخرج صديدا، بعدها يؤخذ دهن «الودك» المعد من شحم سنام الإبل بعد ذوبانه، وخلطه بشيء من الورد، ودهن الورد، أو الصندل، أو العود، ويلف بخرقة كالضماد.

أما «العشرج» فهو شربة لا بد من تناولها في السنة مرة واحدة؛ لتنظيف البطن وقاية من أي مرض محتمل فيما بعد، حيث تؤخذ أوراقه، وتغلى، ثم توضع في السطح بعد أن تغطى بقماش، وعلى أفراد الأسرة أن يأخذوه جيمعا، حيث يسكب ماء العشرج في «طياس»، ولبشاعة رائحته على من يشربه أن يسد أنفه بإحدى يديه، وبالأخرى يشرب ما في «الطاسة».

والكحل له أهمية خاصة، ليس فقط للزينة، بل يستخدم كعلاج للختان، في أول ثلاثة أيام، بعدها يوضع عليه مسحوق «الغسل»، وهو أخضر، فاتح اللون، ذو رائحة طيبة، يعتبر بمثابة البودرة في زماننا، طيلة أيام حضانة الطفل ورعايته، وتبدو الرعاية بالأطفال في فصل الصيف أكثر منها في فصل الشتاء، حيث لا تكييف يتناسب مع حرارة الجو، خاصة مع سن أولئك الأطفال الرضع، الذي يعتبر الصيف لهم العدو اللدود، إذ عادة ما يستبشرون بولادة الشتاء، ففي الصيف يكثر شرب الرضيع للماء، وربما أثر على أمعائه، لكنهم يعمدون إلى حب «الشبيوش» وهو أملس كحب الرشاد، يوضع في ماء شرب الرضيع، وينقع في «خشف» إناء خزفي؛ ليكتسب البرودة ويعطى منه كلما عطش.

أما لعلاج العيون، وعلى سبيل المثال حالة الرمذ، يؤتى أحد العطارين، ويطلب منه مسحوق «القطور»؛ ليؤخذ منه محلول قطرة للعين، وهذا المسحوق يتكون من تركيبة «سبع الدويات» المذكورة أنفا والمكونة من: المرة، والصببر، والمقل، وصبغ الرياح، وعلك اللبان، وسكر النبات، وملح الحيدارن، ويضاف عليه النيلة، والقرمز الأحمر، وتوضع الكمية في خرقة بيضاء، عادة ما تكون من قماش الغتر، بعد استهلاكها، وتربط من أعلاها على هيئة «صرار»، وتتقع في فتجان به ماء، ثم يعصر «الصرار» لتنزل قطرات الدواء في عين المريض.

أما لعلاج الجروح، فعادة ما يأخذون أعشاش العنكبوت المسماة بـ «الشبا» و توضع على الجرح.

بهذه البساطة في العلاج عاش سكان حاضرة الهفوف، وقد دفعوا ثمننا باهظا نظير هذا الواقع الصحي البدائي، تمثل في كثرة الوفيات حتى لقد مرت عليهم سنوات قاتلة، فقد تفشت فيهم أمراض وبائية كالطاعون، والكوليرا، والجدرى، والتهيفوثيد، والمالاريا، تمخضت عن فقد أحبة، وزوال أسر بكاملها.

وتباع جميع الأعشاب السابق ذكرها لدى عطارين في سوق القيصرية.

يحدث والد الباحث عن بعض كبار السن أن أهل الهفوف في إحدى السنوات مر بهم صيف قأظ، ومرض طاحن، لم يذكر اسمه، أتى على أرواح الكثير من سكان مدينة الهفوف، ولكثرة الموتى كان للشيخ موسى بوخمسين «توفي ١٣٥٣هـ» مظلة «عمارية» منصوبة في المقبرة لا تخلع ليستظل بها مع بعض من الأهالي الذين يأتون لتغسيل موتاهم، والصلاة عليهم إذا كانوا من كبار السن، أما الأطفال فعادة ما يغسلونهم في البيت، ويأتون بهم المقبرة للدفن فقط.

هذا في فترة ما قبل اكتشاف النفط، أما بعد اكتشافه، وفي الفترة المتأخرة بعد

دخول الملك عبد العزيز الأحساء، كانت تأتي بعض البعثات الطبية من البحرين، وتستقر في الأمارة، ومن البعثات الطبية التي زارت الأحساء في مهمة طبية كانت في عام ١٣٦٩هـ برئاسة الدكتور ستورم^(١)، غير أن أحدها كانت كثيرا ما تترد على الهفوف، حتى صار رئيسها الدكتور ديكسون معروفا لديهم^(٢). وقد بدت في خريطة فيدال للهفوف عام ١٣٧٥هـ موقع لمستشفى في حي الرفعة على رأس الطريق المؤدي من سوق الخميس إلى بوابة الخباز، كما أقيم مستشفى في حي النعائل إلى الجنوب من سوق عمارة السبيعي عام ١٣٨٥هـ، وآخر في حي الفيصلية ثم توالى الخدمة الصحية في المدينة بفارق كبير عن ذي قبل.

لقد تعدد وسائل العلاج الشعبي في حاضرة الهفوف، ويقصد المختصين فيها من جميع أنحاء واحة الأحساء من المبرز، والقرى الشرقية والشمالية، والبدو، والعديد من دول الخليج، ويتواجد الأغلبية منهم في حي الرفعة، وممن اختص في علاج الأمراض بالأعشاب عبد الله بن حسين بن علي الخواجه المتوفى عام ١٤١٥هـ، حيث اختص بعلاج الربو، والحساسية، والباءة، والكلى، ومن أساليبه العلاجية ما يلي:

"هناك منقوع اللبان يشرب لعلاج حساسية الصدر، ومستحضر الكبريت لعلاج حساسية الجلد، ولعلاج البائة مخلوط العنبر المكون من: النبات، والزعفران، والحليب، أما لعلاج الكلى وتفتيت الحصى الموجود بها يوصف له مخلوط الشورى، و ملح البارود، أما مرض البوصفار فيوصف له اللبن الخاثر المخلوط بالكركم، ويوصف للمصاب بالكسر في أحد عظامه مادة الموميان يجعل في داخل ثمرة، ويبلع لأن له أثر كبير على الأسنان، ولتنظيف البطن توصف له خلطة مكونة من: العشرج، والهليل، ولبان الذكر، ويستخدم الزئبق لعلاج القمل، كما يستخدم منقوع

(١) - عبدالرحمن الملا، تاريخ الحركات الفكرية في شرق الجزيرة العربية وعمان، "الأحساء: مطابع الجواد، ١٤١٤هـ"، ص ٣٦.

(٢) - مقابلة مع الاستاذ علي بن جواد الخرس.

الحلثية في الماء كقطرة لعلاج بعض الأمراض التي تصاب به الأذن، هذا وممن اشتهر بالعلاج باستخدام الأعشاب، عبدالله بن علي الوائل المتوفى عام ١٣٨٠هـ وله محل في القيصرية أيضا، وكان يعالج العديد من الأمراض منها حساسية الجلد وخاصة منها التي تصيب الأطفال، ويذكر الأستاذ إدريس بن أحمد الوائل أن زوجة عبدالله المذكور، مريم بنت أحمد المطوع بوجبارة واصلت دور زوجها في تجهيز وبيع المستحضرات العشبية في منزلها، وذلك لكثرة سؤالهم عن مستحضراته من قبل العديد من أهل البادية والقرى وسكان المدينة أيضا، وكانت تجهز تلك العلاجات العشبية في أكياس، كما أن احمد الخليفي كان مختصا في تقديم علاج الأمراض النسائية لذا كانت أغلب زبائنه منهن، فهو معروف بإعداد علاج يتكون من مئة دواء إلا دواء على حد تعبيرهم وقد توفى سنة ١٤٢٥هـ ومقره في سوق القيصرية، وممن كان يمارس دور العلاج بالأعشاب أيضا محمد بن حسين القطان، وعبدالمحسن بن علي السبتي وأخوه علي السبتي .

لم يقتصر العلاج على العطار فقط، بل كانت الحجاماة والفصد من الوسائل المعروفة لديهم قبل عهد النفط، واستمر معهم حتى بعد اكتشافه بل واصل هذا العلاج حضوره إلى الزمن المعاصر؛ لجدواه، وصحة مساره العلمي، وفائدته المعروفة، ومن أشهر من عرف بها في عهد النفط أحمد بن سبت، وفي مجال تجبير الكسور والدهان عرف عايش حسين الحذب المتوفى عام ١٤٣٠هـ، وعبدالله بن علي البدي، وممن اختلف في الدهان والكي كلا من سليمان الباذر، وعلي بن محمد الباذر المتوفى عام ١٣٩٠هـ تقريبا، وحمد بن حسين الباذر المتوفى عام ١٤١٧هـ تقريبا.

وقد اختلف بعض أفراد عائلة الباذر أيضا بعلاج مرضي الجدام و الزهري "السفلس"، وبعض الأمراض الجنسية الأخرى، منهم أحمد بن محمد بن عبد المحسن الباذر المتوفى عام ١٣٤٩هـ، وعيسى بن محمد بن عبدالمحسن الباذر المتوفى عام

١٣٧٠هـ، وعلي بن محمد بن عبدالمحسن الباذر المتوفى عام ١٣٩٥هـ، ووسيلتهم في علاج الجذام والزهري مستحضر يدعى بـ "غليون البوجبارة"، وأكثر مكوناته من الزئبق، وإقبال الناس على تعاطي مثل هذه العلاجات تكشف عن قبول لنتائجها، بينما يرى بعض^(١) سكان حي الرفاعة نقلا عن من عاصر تلك الحالات العلاجية، والمرضى الذين يترددون على فريج الرفاعة طلبا لهذا العلاج، أن حالة الزهري في واقع الأمر لا تنتهي بالشفاء التام وإنما تنتقل إلى مرحلة أكثر تطورا يختفي فيها مظاهر المرض في الخارج، لكن في الواقع هو لا يعدو أنه مرحلة من مراحل تطور المرض فقط إلى الأسوأ، كما كانت لديهم قطرة لمرض الرمد تدعى بـ "قطرة الباذر".

في عائلة البوجبارة هناك من كان يمارس العلاج بشكل عام، ومن عائلة البوجبارة من كان جراحا، أما الطبيب العام اسمه علي بن عبد الله بن حسين المطوع بوجبارة المتوفى عام ١٤٠١هـ، ومن كان يقوم بدور الجراح علي بن أحمد الباذر المكنى بـ "أبي حبيب" ويحدث في هذا المجال أحد^(٢) الذين حضروا واحدة من عملياته:

جاء أحد المرضى إلى علي بن أحمد الباذر في فريج الرفاعة شاكيا من بقعة ذات لون أزرق رخوة الملمس في ظهره، يتضح أن بها كمية من الصديد، فما كان منه إلا أن قام بتطويق الجلد بشيء من العجين، وتم كي المريض بحلقة حديد تم تشكيلها بنفس مقاس البقعة، وتزيد عليها شيئا قليلا، وبعد أن تم الكي بهذه الحلقة، قام بتشطيب البقعة بأداة أشبه بالسكين وهي محماة أيضا وقام بكيه بها في المنطقة الرخوة فخرج ما بداخلها من الصديد، بعدها قام بوضع خلطة من الأعشاب في الجروح التي تم فتحها ووضع فيه شيئا منه، وهي مكونة من عدة أعشاب منها: صمغ الريح، ومرة، ومقل وذلك بعد أن أذاب جميع تلك المواد في دهن حار جدا وسكبه في تلك الفتحات

(١) من مقابلة مع الاستاذ عبد المجيد بن أحمد الحسن بن إبراهيم.

(٢) من مقابلة مع باذر بن ناصر الباذر.

المذكورة وهي في حرارتها المرتفعة، وينقل المذكور أن المريض شفي بعد أربعة أيام من تاريخ هذه العملية الجراحية، كما أفاد المذكور أن من الأمراض التي يستخدم فيها الكي مرض الملاريا، وعوارضه التي يستدلون بها عليه أن درجة الحرارة لا تغادر المريض بل تترد عليه بشكل متواصل وعلاجه بالكي يتم في عدة مناطق: في القدم عند خنصر الرجل اليمنى واليسرى، وعند كعب الرجل اليمنى واليسرى أيضا، وأخرى على الخرزة السابعة في الظهر. ومن المختصين في فريج الرفاعة أيضا علي بن حسن السليمان المتوفى عام ١٣٦٢هـ، وأخوه أحمد بن حسن السليمان المتوفى عام ١٣٦٨هـ، ومجالهما هو علاج مرض السعال الديكي الذي يصيب الأطفال ويدعى في اللهجة العامية الأحسائية بـ "البوحمير"، ووسيلتهما فيه بيض السلحفاة المسماة في لغتهم الدارجة "جعاونية أم كريدي" يصطادانها من مصارف المياه المنتشرة بين الحيازات الزراعية في واحة الأحساء التي تدعى بـ "الثبارة" ومفردتها "ثبر"، وخاصة منها القريبة من مدينة الهفوف، ولعل أقربها مسافة الحيازات المحيطة بـ "عين أم خريسان" الواقعة شمال مدينة الهفوف خارج بوابة الخميس^(١). وقد شاهد البعض^(٢) كمية كبيرة من بقايا تلك السلاحف، وذلك في خربة تقع بالقرب من بيوت العبد الباقي والمسلم في نفس الفريج المسمى بـ الشهرانة، حيث مساكن آل بن سليمان هناك، وممن عرف بالعلاج في عائلة السليمان محمد بن سليمان السليمان المتوفى عام ١٢٨٢هـ وكان يدعى عندهم بالدكتور.

وفي السبعينات من القرن الماضي، قام أحد عائلة بن عتيق بفتح صيدلية تباع المستحضرات الطبية الحديثة، موقعها في قيصرية البوحليقة الكائنة في سوق القيصرية العام بسوق الهفوف، ويأتي بأدويتها من البحرين، ويقوم هو الآخر بوصف العلاجات من صيدليته عبر سؤال المريض عن حالته، ومن خبرته في قراءة النشرات

(١) من مقابلة مع الشيخ جواد بن حسين الرمضان.

(٢) من مقابلة مع علي بن حسن بن عبد المحسن العبد الباقي.

المرفقة بتلك الأدوية يصرف العلاج المتوقع ملائمته، غير أنها لم تكن أكثر من مضادات حيوية، وقطرات عيون، ومراهم، ومعقمات جروح، ولزقات للكسور وحالات إجهاد العضلات، وملينات للأمعاء^(١).

وفي الوقت الراهن يوجد العديد من المرافق الصحية في مدينة الهفوف، وأخرى في مدينة المبرز، وتقدم خدماتها لكافة سكان الواحة ومنها مدينة الهفوف ومن تلك: مستشفى الملك فهد العام بالهفوف بسعة ٥٠٢ سريرا أكبر مستشفيات المحافظة وأهمها، مركز الأمير سلطان لعلاج وجراحة أمراض القلب بالهفوف، و مستشفى الصحة النفسية بسعة ١٢٠ سريرا، مستشفى الولادة والأطفال بسعة ٢٢٠ سريرا، ومستشفى الملك عبد العزيز بالحرس الوطني بالأحساء بسعة ١٠٠ سريرا، ومستشفى الأمير سعود بن جلوي بسعة ١٢٠ سريرا، ويجري حاليا البناء لمستشفى آخر في مخطط غسان النمر خلف سكة الحديد شمال المبرز بسعة ٢٠٠ سريرا، كما أسهم عدد من رجال الأعمال بفتح مستشفيات خيرية تحت إدارة وزارة الصحة وهي: مركز الجبر لأمراض الكلى بالهفوف، ومستشفى الجبر لأمراض العيون والأنف والأذن والحنجرة، ومركز الجبر لطب الأسنان بالهفوف، ومستشفى الراشد للأطفال التابع لمستشفى الولادة بعين نجم بالمبرز بسعة ٧٢ سريرا، ومستشفى حسن العفالق لتأهيل ورعاية كبار السن، ويخطط حاليا لإنشاء مستشفى الفيصلية في حي الملك فيصل بسعة ٢٠٠ سريرا، كما هناك أيضا مركزا للملاريا وآخر للشمانيا ومركز للعزل والحمايات، بالإضافة إلى العديد من مراكز للرعاية الصحية الأولية في أحياء المدينة.

هذا إضافة إلى عدد من المستشفيات الخاصة مثل: مستشفى الأحساء بالهفوف بسعة ٢٠٠ سريرا، ومستشفى المانع بسعة ١٠٠ سريرا بالصالحية الهفوف، كما أن هناك العديد من المستوصفات الخاصة في مدينة الهفوف ما تزيد على عشرة مستوصفات

(١) من مقابلة مع الشيخ جواد بن حسين الرضمان.

الفرع الرابع: النقل.

كانت الحمير وسائل النقل السائدة في حاضرة الهفوف قبل عهد النفط، سواء للذهاب إلى المحلات التجارية، أو للحيازات الزراعية، وكذا للعيون الجارية، لغرض السباحة، وغسيل الملابس، حيث تتميز الأحساء بأفضل الفصائل التي ذاعت شهرتها في الوطن العربي؛ لكثرة ما تم تصديره منها إليها: كدول الخليج العربي والعراق، ومصر^(١). فقد كانت معروفة بقوة تحملها، وارتفاعها حيث تبلغ ١٣ شبرا^(٢). وهو ما لفت انتباه كل من زار الأحساء. يقول السيد محمد طه الضابط العراقي، عن حالة الحمير في الأحساء: الحمير كثيرة جدا وهي مشهورة بسرعتها، وشكلها، وقوتها، ولونها الأبيض، وهي مستعملة للركوب، ولحمل الأثقال، ولسحب المياه من الآبار^(٣)، ومن عادتهم يركبونها قعودا فوقها، ورجلاهم على جانب واحد وهو الأيسر من الحمار ويقولون: لا يليق بالرجل أن يركب الحمار كما يركب الخيل^(٤)، ويقول أمين الريحاني «١٩٣٠م / ١٣٥٠هـ» أنه جرت العادة أن يباع الحمار الحساوي في البحرين بمبلغ ١٥٠ جنيه ذهب قبل استخدام سيارات الفورد^(٥). ولشدة اهتمام الأحسائيين بوسيلة نقلهم الفريدة آنذاك تراهم لا يترددون في تزيينها بالحناء، لاعتقادهم بأن هذا يزيد من قوة الجلد ويساعد في علاج الآلام والحساسية الجلدية، أما عن طريقة تحميل البضائع عليها آنذاك فكان البدوي يصنعون خرجا من وبر الأبل، وشعر الماعز، ويقومون ببيعها في السوق، وتستخدم السلال على شكل نصف كرة، يصنعها السكان المستقرون من ليف النخيل^(٦).

(١) - فيدريكو شميد فيدال، واحة الأحساء، مصدر سابق، ص ٢١٤.

(٢) - فيدريكو شميد فيدال، واحة الأحساء، مصدر سابق، ص ٢١٤.

(٣) - محمد طه الشبخلي، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، مصدر سابق، ص ٢٩٢.

(٤) - محمد طه الشبخلي، مراحل الحياة في الفترة المظلمة وما بعدها، مصدر سابق، ص ٢٨٥.

(٥) - فيدريكو شميد فيدال، واحة الأحساء، مصدر سابق، ص ٢١٤.

(٦) - فيدريكو شميد فيدال، واحة الأحساء، مصدر سابق، ص ٢١٣.

وفي عهد النفط ظل الحمار محافظا على مكانته كوسيلة نقل في حاضرة الهفوف، ولكن ليس كسابق، وذلك بعد دخول السيارات، فقد انخفضت قيمته بدلا من ١٥٠٠ ريال قبل عهد النفط ودخول السيارات إلى ٦٠٠ - ٥٠٠ ريال، غير أن السكان طوروا أداءه بإضافة عربة «قاري» يجرها من خلفه، مما زاد قدرته على الشحن، وزيادة الحمولة من الركاب، وذلك باستخدام إطارات السيارات «الكفرات» في تسيير العربة «القاري» وعلى رأي أن تقنية القاري نقلت من البحرين، وأن شركة أرامكو ساعدت في انتشار القاري من خلال طرحها العديد من إطارات السيارات المستعملة في الواحة، والتي استخدمها الأهالي في صناعة القاري بعد ذلك^(١). ومن الجدير بالذكر أن الحمير لكثرتها في واحة الأحساء بلغت ٤٦١٦ حماراً، كما جاء في احصائية نشرت عام ١٣٨٦ هـ^(٢).

اشتدت حدة المنافسة بين القاري كوسيلة نقل مع السيارات، وذلك عندما أطلت على الأسواق سيارات صغيرة من ماركة «سوزوكي» و «هونداي» صغيرة الحجم، حيث استطاعت تلك أن تقضي على البقية الباقية لما للحمار وقاريه من ميزة، الا وهي إمكانية دخوله إلى «الفرقان» والسكك الضيقة بين المباني الطينية في الأحياء القديمة، فهي الأخرى لا يتجاوز عرضها عن القاري إلا بشبرين تقريبا، ولكنها تمتاز بالسرعة، و انخفاض التكلفة، حيث لا علف برسيم، ولا عطيفة حمير، ولا أصوات مزعجة داخل الحي.

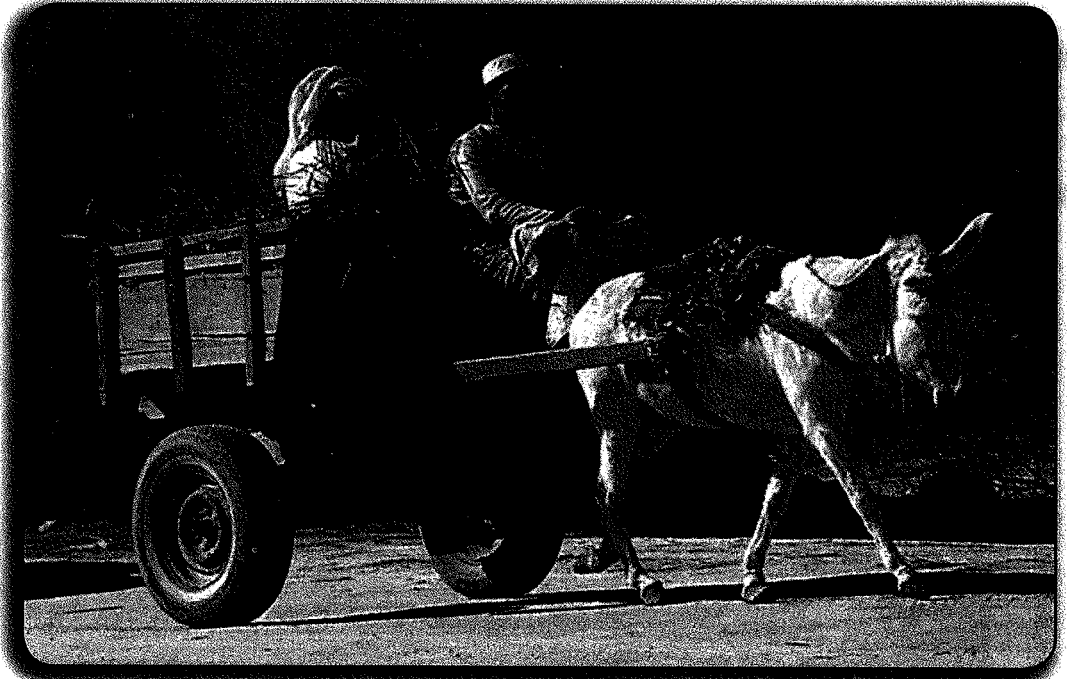
على الرغم من أن السيارات أخذت مكانتها بشكل واضح، كوسيلة نقل، إلا أن الارتباط بهيأة النقل القديمة والمتمثلة في القواري «العربات» التي تجرها الحمير سابقا، لا زالت سارية المفعول، حيث كانت السيارات المفضلة في بداية الطفرة هي سيارات النقل «الوانيتات» سواء منها بمقعد، أو مقعدين في الأمام، وصندوق نقل في

(١) IBRAHIM S. AL-ELAWY . THE INFLUENCE OF OIL UPON SETTLEMENT IN AL-HASA OASIS. p306.

(٢) مجلة العربي وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية عدد ٩١ / في صفر ١٣٨٦ هـ / ص ٨٦.

الخلف، لا يستخدم فقط في نقل البضائع، بل حتى الأفراد، وربما أركب السائق أولاده والبضائع، وعقب البرسيم «الجت» في آن واحد. هذا وقد تم تطويره بشكل أكثر أماناً، وذلك بوضع قضبان حديدية مثنية على الصندوق الخلفي بارتفاع مترين تقريباً تدعى بـ «الهنقلين»، وتغطي بشرع في حالة الشتاء توخياً عن البرد حال السرعة، وهكذا شيئاً فشيئاً تم التخلص من الوانيتات، لتحل محلها السيارات الخاصة، ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى دخول خدمات التاكسي، ومن إشتهر بها: حسين بن صالح و علي العامر، بعدها دخلت خدمات النقل الجماعي عبر حافلات صغيرة ومتوسطة الحجم، وكانت آنذاك تعد من الخدمات الكبيرة النوعية التي دخلت إلى المنطقة أغنت أهالي المدينة من ركوب القواري، وما فيها من مشقة، وكان يشترط لمن يريد الحصول على قبول اجتماعي في خدمته تلك، ولديه استعداد في ممارستها، أن يكون من المعروفين لأهالي المدينة لذا كانت حافلاتهم آنذاك تدعى بـ "الأمانة"، ومن أبرز من قدم خدمة النقل بهذا المسمى: حبيب بن علي طاهر بوخمسين، وعبدالله بن الشيخ أحمد بوحليقة، ومحمد الجعفر العبدالجبار، وعلي العامر السابق ذكره، وكان هناك عدداً من السائقين المعروفين لدى سكان المدينة ومؤهلين للحصول على قبول اجتماعي لكن آثروا العمل في مجال السيارات الصغيرة فقط.

وشياً فشيئاً بدأت تقنية النقل تأخذ دور أوسع في حياة سكان المدينة، لتتحول إلى مطلب شخصي في أن يقتني وسيلة خاصة به، وقد بدأ الميسورون مالياً هذه الخطوة باقتناء السيارات الخاصة، وغيرهم دخل عالم الدراجات العادية، والنارية، ومن لا يرى ملائمتها اكتفى بسيارات الأجرة، والبعض منهم بالقواري التي تجرها الحمير، غير أن التفضيل الذي يعود أغلبه إلى عامل مالي، سرعان ما أجهز على تاريخ وسيلة النقل التقليدية وذلك على أثر ارتفاع إيرادات النفط، وزيادة دخول الأفراد، فصارت السيارات عند المنازل أمراً مألوفاً



(القاري) بعد أن تم تطويره بمساهمة شركة أراهكو حيش قامت بطرح كميات كبيرة من إطارات السيارات المستهلكة في واحة الأحساء، من أجل استخدامها لهذا الغرض بحسب إفادة الدكتور إبراهيم العلاوي.

(عدسة: استديو الخليفة)

الفرع الخامس: الصفارة.

اختص الصفارون بإصلاح وتلميع الأواني النحاسية ومن العوائل التي عملت في هذه المهنة، عائلة الصفار و القريني، وهي من المهن التي اندثرت أو كادت أن تندثر في الوقت الراهن، لكونها مرتبطة بمهنة النحاسية، ولكون الأخيرة راوحت في عمرها الأخير، فالأولى مثلها، إلا في حالات نادرة، لإقبال ربات البيوت على الأواني الحديثة، حيث صار تجديد الأطباق واقتناء الحديث منها موضع اهتمامهن كبقية محتويات المنزل.

الفرع السادس: الحلاقة.

يتجمع الحلاقون في حاضرة الهفوف في حي الرفعة كما أشارت إلى ذلك خرائط «فيدال ١٩٥٤م»، وتاريخهم هناك يعود إلى ما قبل عهد النفط، ومن عاداتهم آنذاك أن الواحد منهم يفترش الأرض عند خدمته لعميله، أما في عهد النفط، فقد بدأت العمالة الأجنبية في التوافد إلى مدينة الهفوف لتقديم خدماتها في هذا المجال، ولعل الباكستانيين أول من انخرط في هذه المهنة، وفي عهد الطفرة الاقتصادية ومع زيادة دخول الأفراد وتعدد حاجاتهم الكمالية، وما تمخض عنه من وفرة التقنيات الحديثة من أدوات كهربائية، وتجهيزات فقد استخدموا الكراسي الخاصة للحلاقة، تطورت خدمات الحلاقين، وكذلك تجهيزاتهم حيث لا زالت تتوالى على صالونات الحلاقة، والعاملين فيها أيضا بجنسيات مختلفة، وبخدمات نوعية مختلفة أيضا، حيث لم يكتف بالحلاقة بل أيضا بصيغ الشعر، وتلميع الوجه، واستخدام البخار، وغيره من الخدمات، وأغلب من يعمل في هذه المهنة بالخدمات المتقدمة في الوقت الراهن من العمالة التركية والمغربية، أما الهندية والباكستانية فهي تقدم خدماتها في هذا المجال على نحو تقليدي جدا، إلا ما قل وندر.

الفرع السابع: التصوير.

لم تعرف حاضرة الهفوف خدمة التصوير في فترة ما قبل عهد النفط، أما ما نراه من صور عن المدينة لتلك الفترة فكانت بعدسات المستشرقين والباحثين الغربيين الذين زاروا الأحساء، ولعل أقدمها صورة لسوق الخميس عام ١٩٠٥م، ومن أبرز من التقط لها صور تاريخية كلا من فلبلي، وشيزمان، وفيدال، وبعض الجاليات الأجنبية التي كانت تعمل في شركة أرامكو. هذا وقد دخلت خدمة التصوير إلى المدينة على أثر الإجراءات المدنية من قبل مرافق الدولة، كالصور اللازم إلصاقها بجوازات

السفر، وحفاظ النفس، ومن له قصب السبق في هذه الخدمة مصور من دولة البحرين اسمه جاسم، تلاه ياسين الغدير وهو أول من بدأ هذا النشاط من سكان المدينة، تلاه مجموعة مصورين منهم حسب الترتيب الهجائي: عبدالله بن حسن البحراني ومحلّه بالقرب من موقع الحميدية التاريخي و علي الوائل، ومنصور الغدير ومحلها في شارع السويج، ومحمد الحداد بجوارهما، بعدها جاء مصوران آخران في حي الرفعة الشمالية بالقرب من دروازة الخميس هما أستوديو الزهرة، وأستوديو الحمراء، بعدها انتشرت خدمة التصوير في الكثير من أحياء المدينة منها أستوديو الربيع ويقع بحي الكوت، في نهاية شارع البلدية المؤدي إلى سوق المزار^(١).

هذا وانتقل التصوير إلى مستوى نوعي في التجهيزات والخدمات، ومن أوائل من بدأها بتميز محمد بن جمعة الخليفة وإخوانه تحت مسمى استديو الخليفة، ومن مظاهر تطويرهم النوعي لخدماتهم أنهم تجاوزوا حدود التصوير للأحوال المدنية والشخصية فقط إلى الاهتمام برصد تراث الأحساء ومعالمه الشهيرة^(٢) التي لم يصل إليها الغربيون آنذاك إما لخصوصية أماكن التصوير لسكنى أهلها بها وقت زيارة الباحثين الغربيين، أو لعدم علمهم بها، أو لضيق وقت زيارتهم، أو لكون سقف دراساتهم التي اضطلعوا بها لم ترتفع إلى أكثر مما التقطوه من صور، وهذا ما تجاوزه استديو الخليفة، حيث استطاعوا أن يلتقطوا صوراً جوية دعمتهم في هذه المهمة شركة أرامكو الحاصلة على امتياز تنقيب النفط في المملكة العربية السعودية بمسماها

(١) من مقابلة مع الاستاذ محمد جلال البحراني.

(٢) وفي هذا السياق يذكر أيضا نشاطات فردية لعدد من المهتمين بمظاهر الحضارة الإحسانية من خلال الرصد بالتصوير وتقديم نتائجهم للباحثين في شؤونها، ولعل من أسبقهم عادل بن حسين القضيب، حيث لديه العديد من الصور الهامة التي يعود تاريخها إلى ما قبل عام ١٣٩٥هـ، وكان يدعمه في بداية نشاطه أخوه د.علي القضيب عضو هيئة التدريس في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ومن دخل ساحة الرصد منذ زمن ونشر ودعم الباحثين حسن بن محمد بن علي البقشي، وفي الفترة الأخيرة أسهم العديد من جيل الشباب في هذا المجال منهم الطبيب البيطري عبد العزيز بن محمد أحمد البقشي منذ عام ١٤٢٦هـ وقد أفاد الأخير بأسماء العديد من السالكين في هذا المجال من أبرزهم: علي بن صبحي اليوسف، محمد بن عبد المجيد الدويل، وجاسم الجاسم، شعيب بن سعيد المسعود، إبراهيم الملحم، خالد بن عبد الباقي البدنة، مشعل الريحان، هيثم بن عادل الجزيري، عبد الله بن محمد العامر، وفاء ياسين الأحمد، عبد الله علي العبدلله وزينب بو خمسين.

السابق، وذلك من خلال تهيئة طائرة مروحية لمدة ساعتين حلقوا خلالها على ربوع الواحة الأحسانية، وذلك عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، حيث استقلها كلا من محمد بن جمعة الخليفة و أحد موظفيه فلبيني الجنسية يدعى بـ "نويل"، واستطاعوا بذلك أن يضعوا للباحثين ارشيفا مصورا عن الأحساء، كما واصلوا مشوار الرصد في الحيازات الزراعية، والأحياء، خاصة منها التي تعرضت لنزع الملكية في التوسعات التي قامت بها الدولة في مدينة الهفوف جهة الرفعة الوسطى التي تحولت إلى مواقف للسيارات في السوق، والتي فيها العديد من المساكن القديمة وكانت فرصة سانحة لا تعوض أن تلتقط لها صورا تخلد التراث الأحسائي وكان هذا ما بين عام ١٤٠٢هـ - ١٤٠٥هـ^(١)

الفرع الثامن: الصيانة.

كان لدخول التقنيات الحديثة في الهفوف أثرا بارزا في فتح أنشطة تجارية، وصناعية خدمية جديدة لم تكن معروفة من قبل، منها محلات بيع قطع الغيار، و ورش الصيانة لها وقد لفت نظر «فيدال ١٣٧٤هـ» ذلك حيث يقول: «من المذهل التكيف السريع لتجار الهفوف مع المتغيرات الصناعية الجديدة، وسرعة إدراكهم للإحتياجات الطارئة للسكان، وكذلك مقدرتهم على تنظيم مخازنهم، ومستودعاتهم؛ لتخدم تلك الاحتياجات، وقد اتضح لي ذلك من تجربتي الشخصية التالية: قادمي جهلي التام بظروف الطريق المحلي خلال أسبوعي الأول في الأحساء إلى ما يشبه أرض لم أخطر قصدها، وقد عدت آخر الأمر إلى الهفوف في سيارة غير صالحة مقتنعا بأنني سأبقى بدون وسيلة نقل، حتى يرسل لي قطعة الغيار المطلوبة بعد عدة أيام من مخزن الشركة، دخلت محل للعدد والأدوات في السوق، وسألت عن القطعة المعينة، معطيا نوع، واسم، وسنة صنع السيارة، وكانت القطعة متوفرة في المخزن وخلال ساعة قام فني محلي بتركيب القطعة^(٢)»

(١) من مقابلة مع توفيق بن جمعة الخليفة.

(٢) - فيدريكو شميد فيدال، واحة الأحساء، مصدر سابق، ص ١٣٤.

وقد تركزت خدمات إصلاح السيارات بعد هدم أسوار المدينة، في الشارع الملكي، أما إصلاح الراديو فلم يكن له سوق بعينه، بل كانوا يتوزعون في الحارات والمحلات المطلة على الشوارع العامة، ولعل من أقدم من عمل فيها علي ناصر الباذر، تلاه عبد الله بن حسين الباذر في سوق الصاغة، وقد تجمعت عند الأخير كميات كبيرة من أجهزة الراديو نظرا لعدم وجود قطع غيار لها، أو لفقد أصحابها الأمل في إصلاحها آنذاك وكان محله في باطن سوق الصاغة، كما هناك السيد عبد الله اليوسف، ومحله مطلا على سوق السويج بالقرب بعد براحة سوق الدهن بـ ٥٠ متر تقريبا، أما أجهزة الثلاجات والغسالات فمن أقدم من عمل في مجال صيانتها عبد الأمير بن علي السبتى وأخوه عبد الهادي، وكان لهما محل بالقرب من سوق المزار في حي الكوت، السابق ذكره.

وفي عهد الطفرة الاقتصادية أخذت ورش السيارات، وتصنيع الألمنيوم والحديد مقرا جديدا خارج المدينة على طريق الرياض القديم غرب حاضرة الهفوف، وذلك يعود لكثرتها، وللصخب الذي سببته في الحياة العامة.

وقد توسع قطاع الصيانة في المدينة في عهد الطفرة الاقتصادية، على أثر التوسع في استخدام العمالة الخارجية، حيث يوجد العدد الكبير من المؤسسات والشركات المتخصصة في أعمال البناء والصيانة في أغلب المجالات.

الفرع التاسع: البناء.

البناء في حاضرة الهفوف صناعة أتقن أداءها العديد من رجال سكان حاضرة الهفوف، حتى بلغوا مرحلة الإبداع، وخير شاهد على إنجازاتهم المباني الأثرية التي لازالت شاهدة العيان. حيث استطاعوا من خلالها أن يؤرخوا لتراثية مهنتهم، وللكتير من الأعراف والتقاليد السائدة في حياة سكانها، مؤكدين على خصوصية صناعة البناء في بيئتهم، وما تنفرد به من قدرة في كشف الكثير من حياة الماضين، في

سلوكياتهم المعيشية، وأذواقهم، ومستوى دخولهم، والعديد من الأبعاد الإنسانية والدينية الخاصة بهم.

لقد شيّدوا المساكن، والمساجد، والمدارس، والأسواق، محافظين في كل هذه الأنماط البنائية على سمت واحد ميزهم في عالم البناء والتشييد بين الحضارات المختلفة حتى ليسهل على المختص أن يميز البناء الأحسائي عن غيره من فنون العمارة والبناء لدى الحضارات الأخرى. كهيئة الأقواس، والنوافذ، والأبواب، والممرات، وسماكة الجدران، والسطوح. كانوا يتزودون بمواد الخام من عدة أماكن في بيئتهم وعلى سبيل المثال كانت «العوينة» جنوب الأحساء تمدهم بما يحتاجون من «اللبن»، وهو بمثابة الطابوق في أيامنا هذه، والجص أيضا من شرق بلدة الطرف^(١).

العرادي، والشبعان، والمزيدي، ومن العوائل التي اشتهرت بالعمل في مجال البناء والبنائي، والمعيوف، والحذب، ولعل العرادي كان من أبرز المقاولين في هذا المجال وكان يقوم بدور المقاول الكبير لأعمال البناء في المشاريع الحكومية والأهلية وكان يتمتع بحس فني أبرز كفاءة الأحسائيين في مجال البناء، وكان منهم المحترفين الأخصائيين في تنفيذ النقوش الأحسائية الجميلة، ومن أشهر من برع في هذا المجال معتوق محمد الشبعان، حيث يرى بعض المهتمين في رصد جوانب التراث الأحسائي أن المذكور هو الذي نفذ بوابة قصر الحكم في الكوت وما حوته من جمال ودقة.

وفي عهد الطفرة الاقتصادية يوجد الكثير من مؤسسات البناء والترميم التي استقدمت العمالة الخارجية من العديد من الدول مثل: الهند، وباكستان، ومصر، والفلبين، وبنغلاديش، ونيبال.

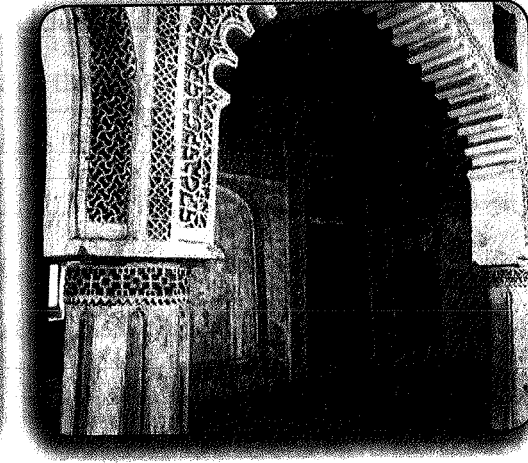
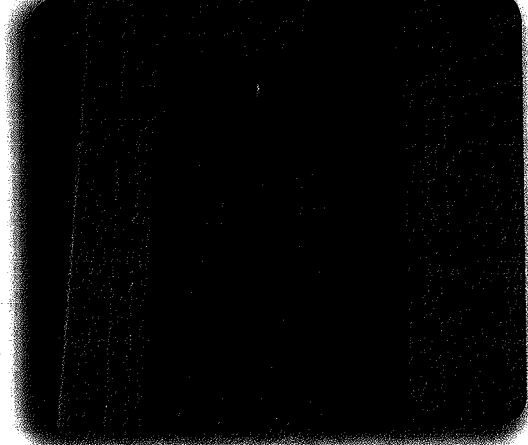
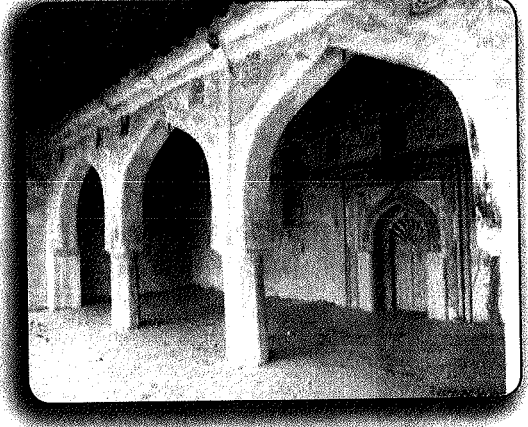
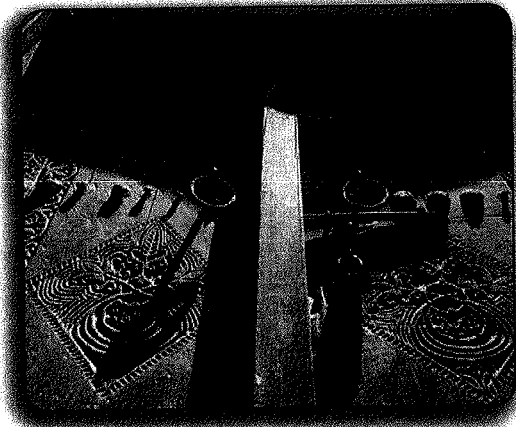
(١) - عبد الله حمد المطلق، البوابة الجنوبية للأحساء، "الرياض: شركة مطابع نجد التجارية، ١٤١٣هـ"، ص ٢٢٤-٢٢٥.



من مظاهر المعمار الأحسائي في مدينة الهفوف.

الفرع العاشر: أنماط حديثة في صناعة الخدمات.

دخلت سوق الهفوف العديد من الخدمات الحديثة خصوصا منها في عهد الطفرة الاقتصادية الأولى، ومن تلك الخدمات: مكاتب السفر والسياحة، والمستشفيات، والمستوصفات، والعيادات العلاجية الخاصة، ومكاتب بيع وشراء وتأجير العقارات، والبناء بالطرق الحديثة، وغسيل الملابس وأثاث المنازل، ومكاتب تخطيط وتصميم العقارات هندسيا، ومكاتب خدمات الطلاب للتصوير والنسخ، والألعاب الترفيهية، ومكاتب الاستيراد والتصدير، ومراكز التعليم والتدريب، واستقدام العمالة من الخارج، ومكاتب تحصيل الديون، وإنهاء إجراءات الدوائر الحكومية، و من الأهمية بمكان التأكيد على أن جميع الخدمات السابقة قد نمت في مدينة الهفوف شيئا فشيئا، لكن أكثرها نمواً وبشكل مطرد ما هو قائم في قطاع الاتصالات، والحاسبات الآلية، وخدمات القنوات الفضائية حيث في كل حين يوجد الجديد وهذا من سمات العولمة التي تأثرت مدينة الهفوف بأحد موجاتها العالمية، فهناك خدمات الاتصالات الهاتفية المحلية، والدولية، ومقاهي الإنترنت، وكثيرة من يقدم خدمة تركيب أطباق القنوات الفضائية.



من مظاهر فن المعمار و الزخرفة الأحسانية بمدينة الهضوف

(عدسة: استديو الخليفة) عام ١٤٠٢هـ

الفصل السادس

ملامح الحياة العلمية لسكان مدينة الهفوف

تتعرف في هذا الفصل إلى ملامح الحياة العلمية لسكان مدينة الهفوف من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: الكتاتيب في مدينة الهفوف.

المبحث الثاني: المدارس الدينية في مدينة الهفوف.

المبحث الثالث: المدارس النظامية في مدينة الهفوف.

تمهيد:

في مدينة الهفوف كان المتعلم بمفهومه الضيق هو «من يعرف القراءة والكتابة»، أما بمفهومه الواسع فإنه يطلق على الذي يدرس العلوم الشرعية بهدف أن يكون عالماً دينياً، وقد كان الأفراد التابعون لهذين المفهومين قليلي العدد، نسبة إلى أفراد مجتمعاتهم، فالسعيد الموفور النعمة هو من تمتع بقابلية الانصياع إلى تعليمات الكتاتيب «المطوع»، أو من حظي برعاية أبوية خالصة تابعت دراسته لديهم، فحَمَتُهُ من سطوة الزمان اللاهثة وراء البراعم الصغار، حيث تجلدهم حثيثاً - كالعادة - بسياط الفقر والحاجة، فلا تدعه حتى تسلمه إلى عتبة أحد الحرفيين، أو الكسبة لينتهي به الحال إلى أمي جاهل بالقراءة والكتابة، كبقية أفراد جنسه ليصبح حدادا، أو نجارا، أو صفارا، أو بناء، أو صائفا، أو حائكا، أو خياطا، أو فلاحا، إلى غيرها من المهن والحرف.

وعادة ما تنتهي حدود معرفة الملتحقين بالكتاتيب، أن يقرأ القرآن ويتعلم الحساب والكتابة فقط، بعدها هو الآخر عليه أن يدخل معترك الحياة الحرفية والكسبية وهو حال الغالبية العظمى منهم.

أما الذين تميزوا بعلم، ومعرفة في بعض فروع المعرفة الإنسانية، فهم أولئك الذين اختاروا دراسة العلوم الشرعية؛ ليصبحوا علماء دين وعدد أولئك قليل جدا، لأنهم خلاصة تلاميذ الكتاتيب، أو من أراده أهله أن يكون كذلك، أو لعل بعضهم اختار طريقه في هذا المسلك، فبعد أن تعلم القراءة والكتابة، اتجه كل فرد منهم إلى أحد المدارس الدينية أو الأربطة أو أحد بيوت العلماء، أو الحوزات العلمية ليدرس حتى إذا اشتد عوده، وقطع شوطا علميا في المقدمات^(١)، والسطوح^(٢)، وقوى على الاغتراب،

(١) - اصطلاح مستخدم في المدارس الدينية الشيعية، وهو يعني الكتب التي تقدم المبادئ الأولى في فروع المعرفة الدينية وكذا العلوم الداعمة لها في: العربية، والمنطق.

(٢) - اصطلاح مستخدم في المدارس الدينية الشيعية، وهو يعني الكتب التي تقدم الدروس المتقدمة في الفقه، وأصول الفقه، وعلم الرجال.

شد الرحال إلى المراكز العلمية؛ ليكمل دراسته هناك، وقليل أولئك الذين يكتفون بالدراسة في بلادهم.

هذان الصنفان هم الذين يمثلون الطبقة المتعلمة في الأحساء، ذلك قبل انفجار نور العلم والمعرفة الحديثة، ولكن بعد دخول التعليم الحديث، والمتمثل في افتتاح المدارس النظامية فقد انفتح باب النور والثقافة، وكان تفاعل الأحسائيين معها في بداية الأمر مشوباً بالحذر؛ خوفاً من الآثار السلبية على عقائد آبائهم، بل وظلت بعض البيوت متشددة في هذا الباب إلى وقت متأخر، وبالذات في مسألة تعليم البنات، لكن رويداً رويداً أصبح دخول المدارس أمراً بديهياً، وظاهرة صحية يوصم بالتخلف من يحاربها أو ينتقدها.

وكان على أثر استجابة الآباء للمدارس الحديثة، وتوالي الالتحاق بها جيلاً بعد جيل، تخرجت مواكب علمية أكاديمية، بعضهم اكتفى بقسط دراسي يؤهله لشق طريقه في بيئته التي تشترط العلم كسلاح حياة، والبعض الآخر أكمل مشواره الأكاديمي، ملتحقاً بالمؤسسات العلمية الجامعية في داخل البلاد وخارجها، والتي تمخضت معاناتهم تلك عن بلوغ مجتمع الهفوف بهم ذروة العلم وسنامه في تخصصات علمية حديثة في المجال الإنساني، والهندسي، والطبي، وغيرها من التخصصات المستجدة، حيث حصلوا على شهادات علمية متفرقة في درجاتها، ابتداءً بمرحلة البكالوريوس، ومروراً بالماجستير وانتهاءً بالدكتوراه: كأستاذ مساعد، ومشارك، وأستاذ. وقدموا خلال عطايتهم المتواصل جهوداً علمية كتابية على هيئة بحوث أكاديمية أو ابتكارات علمية مسجلة بأسمائهم. ولم يقتصر العلمي على الرجال فقط بل شاركهم جملة من الأكاديميات.

لكن كيف كانت الكتابات في مدينة الهفوف؟ وما هي أبرز المدارس الدينية فيها؟ وكيف كان واقع وبداية المدارس النظامية فيها؟ ومن أسهم في تشكيل خارطتها؟ هذه

الأسئلة وغيرها سيتم الإجابة عليها من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: الكتابيب في حاضرة الهفوف.

المبحث الثاني: المدارس الدينية في مدينة الهفوف.

المبحث الثالث: المدارس النظامية في حاضرة الهفوف.

المبحث الأول

الكتابيب في حاضرة الهفوف

في حاضرة الهفوف كانت الكتابيب المسماة بـ«المطوع»، هي مركز التعليم الأول، ومصدر المعرفة لبراعم المجتمع، إلا أنها لم تكن ميسورة للجميع، على الرغم من وفرتها آنذاك، لذا تجد الأمية مرتفعة في الحاضرة؛ للارتباط الوثيق بينها وبين الحالة الاقتصادية للعوائل بشكل عام، فالتعليم لم يكن ميسورا للجميع، وإنما لذوي القدرة المالية خاصة، إذ يتطلب من عائل الطفل أن يأتي به إلى المطوع، ويبدأ بمصاريف التعليم عليه في المطوع من أول يوم، حيث يدفع ريال، أو أقل للمطوع أو المطوعة وتسمى بـ«القعودة»، وبعد أن يختم جزء عم من القرآن الكريم، يدفع ريال وتسمى بـ«الفتح»، وفي نهاية المدة بعد ختم القرآن ينبغي عليه أن يدفع مبلغا أكبر كأجرة نظير تعليمه، هذا خلاف ما كان يأخذه الطفل خلال فترة تعليمه إلى بيت المطوع أو المطوعة من مواد غذائية من: رز، أو سكر، أو شاي، أو لبن، بل يصل الحال إلى أخذ بعض «الكرب» و«الصلاح» للطبخ وذلك في يوم «الحطوطة»، وهو يوم يتشارك فيه التلاميذ فيما بينهم للقيام برحلة داخلية في بيت المطوع أو المطوعة، وكانت تلك في زمانها من أهم وسائل تجذير عرى المحبة، والألفة بين المطوع وتلاميذه،

وكان الكتاب آنذاك ينقسمون إلى ثلاث مستويات سيتم عرضها من خلال المطالب التالية^(١):

المطلب الأول: كُتاتيب خاصة بتدريس القرآن الكريم وحفظه وتجويده.

المطلب الثاني: كُتاتيب خاصة بتدريس القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة.

المطلب الثالث: كُتاتيب خاصة بتدريس الحساب والقراءة والكتابة ومسك الدفاتر.

المطلب الأول

كُتاتيب خاصة بتدريس القرآن الكريم وحفظه وتجويده

نظرا لاهتمام سكان مدينة الهفوف بكتاب الله الكريم وتجويده فقد تخصص بعض الكُتّاب في هذا المجال، وهم كُتاتيب منتشرين في جميع أنحاء المدينة، ومن الجانبين النسائي والرجالي، وأسماء أصحاب الكتاب والأحياء التي كانت تعقد فيها الدروس القرآنية مدرجة في جدول رقم «١/٧» كما يلي:

جدول رقم «١/٧» ويشتمل على أسماء أصحاب الكُتاتيب المختصة بتدريس القرآن الكريم فقط ومقرها في أحياء مدينة الهفوف

الحي	اسم صاحب الكتاب
النعائل	ناصر العديل
النعائل	عبد اللطيف العديل
النعائل	راشد محمد السلوقي "السلولي"

(١) - عبد الله السبيعي، الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية ١٣٦٠ - ١٣٨٠ هـ "مكان الطبع: بدون، مطابع الشريف، ١٤٠٩ هـ"، ص ٢٢.

الحي	اسم صاحب الكتاب
النعائل	ثابت بن سعد الثابت
النعائل	أحمد بن خليفة
النعائل	محمد بن جلعود
النعائل	عبد الرحمن المسلم
النعائل	أحمد بن عبد الرحمن المسلم
النعائل	محمد بن جيبان
النعائل	محمد بن عبد العزيز المتين
النعائل	أحمد بن سليمان الصفران
الرفعة	محمد الخليفة
الرفعة	محمد عبد الرحمن الريش "الختلان"
الرفعة	علي العاشور
الرفعة	خالد عبد الله بن زيد
الرفعة	محمد بن شعلان
الرفعة	محمد العرج
الرفعة	محمد بن دحيم الدوسري
الكوت	عبد الرحمن بن مصطفى
الكوت	عبد العزيز بن مصطفى
الكوت	احمد عبد اللطيف العسوس
الكوت	سلطان اليماني
الكوت	محمد بن تميم
الكوت	محمد بن جندل
الرفعة	موسى إبراهيم السلیمان
الرفعة	فضة الحميدي

الحي	اسم صاحب الكتاب
الرفعة	الشيخ مبارك المبارك
الرفعة	ملا عبد الله بن صالح العامر
الرفعة	فضة بنت حسين العبد الباقي
	ملا طاهر بن محمد الموسى
	أمنة بنت أحمد
	محمد حسن الموسى

المصدر:

- عبد الله السبيعي، الحياة العلمية والفكرية والثقافية في المنطقة الشرقية، (الرياض: مطابع الشريف، ١٤٠٩هـ) الطبعة الثانية، ص ٣٢.

-مقابلة مع كل من حسب الترتيب الهجائي:

عبد الله بن محمد بن علي الخرس، و عبد رب الرسول محمد الشيخ إبراهيم الخرس، والأستاذ محمد جلال البحراني، و موسى بن محمد الشيخ إبراهيم الخرس.

المطلب الثاني

كتاتيب خاصة بتدريس القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة

نظرا لأهمية القراءة والكتابة فقد أضافت بعض حلقات تدريس القرآن الكريم في مدينة الهفوف دروسا خاصة بها، و كانت تمارس دورها قبل اكتشاف النفط وبعده، إلى ما قبل افتتاح المدارس النظامية فيها، ومن تلك الكتاتيب ما تم إدراجه في جدول

جدول رقم «٢/٧» ويشتمل على أسماء أصحاب الكتابات المختصة بتدريس القرآن الكريم وتجويده وتدريس القراءة والكتابة ومقرها في أحياء مدينة الهفوف

الحي	اسم صاحب الكتاب
النعائل	عبد العزيز بن جلعود
النعائل	محمد بن حمد النعيم
النعائل	عبد الرحمن بن سليمان المزروع
النعائل	إبراهيم بن عبد الله الحمد
النعائل	عبد الله بن فهد بن شبيب
الرفعة	صالح بن خلف
الرفعة	عبد الله المحارف
الرفعة	عبد الله بن زيد
الرفعة	عبد اللطيف بن عبد العزيز آل مبارك
الرفعة	عبد الرحمن بن عبد الله الربيع
الرقيقة	عبد الرحمن بن غيث الودعاني
الكوت	أحمد بن عبد العزيز بن قرين
الكوت	سعد بن محمد بن قرين
الكوت	عبد الصمد بن عبد العزيز بن قرين
الكوت	إبراهيم بن حماد
الكوت	محمد بن حماد
الكوت	علي اليماني
الكوت	عبد الله بن أحمد العبدالقادر
الرفعة	علي المرزوق
الرفعة	علي بوحمد

الحي	اسم صاحب الكتاب
الرفعة	الشيخ أحمد بوعلي
في الكوت	الملا محمد المرزوق
الكوت	محمد آل طه
الرفعة	ملا علي القطان
الرفعة	السيد أحمد الصالح

المصدر:

- عبد الله السبيعي، الحياة العلمية والفكرية والثقافية في المنطقة الشرقية، «الرياض: مطابع الشريف، ١٤٠٩هـ» الطبعة الثانية، ص ٣٣.

- مقابلة مع التالي ذكرهم حسب الترتب الهجائي: أحمد الحداد، وعبد رب الرسول بن محمد الخرس، و موسى بن محمد الخرس.

المطلب الثالث

كتاتيب خاصة بتدريس الحساب والقراءة والكتابة ومسك الدفاتر

هناك بعض الكتاب تقدم خدمات نوعية في مجال التعليم، وهدفها تخريج جيل لا يكتفي بمعرفة القراءة والكتابة بل يتخصص في مجال مسك الدفاتر وتنظيم الحسابات؛ ليكون داعماً لنشاط الأفراد، والشركات في مجال أعمالهم التجارية، و هي كتاتيب تستقبل من أكمل دراسته في حلقات القرآن الكريم وتجويده، ومبادئ القراءة والكتابة، ومن تلك الكتاتيب ما هو مدرج في القائمة رقم «٣/٧»:

جدول رقم «٣/٧» ويشتمل على أسماء أصحاب الكتاتيب المختصة في تدريس

الحساب و القراءة و الكتابة و مسك الدفاتر

اسم صاحب الكتاب	الحي
محمد بن عيطان	الرفعة
عمران بن حسن	الرفعة
محمد بن الشيخ حسين	الرفعة
الملا طاهر أبو خمسين	الرفعة
عبد اللطيف بن عبد العزيز آل مبارك	الرفعة

المصدر: عبد الله السبيعي، الحياة العلمية والفكرية والثقافية في المنطقة الشرقية، «الرياض: مطابع الشريف، ١٤٠٩هـ» الطبعة الثانية، ص ٣٤.

ولعل من الإنصاف أن يُستخلص نشاط الملا طاهر بوخمسين من قائمة الكتاب، وأن يوضع في مصاف المدارس العلمية، وإن لم تحض مدرسته بالصفة الرسمية، أو تصطبغ واقع آليتها بالحياة العلمية النظامية، ولكن كان نتاجها متميزاً، والإقبال عليها كبير بين أبناء الحاضرة، حيث كانت في الطليعة من قائمة مراكزها الإعدادية في تزويد واقع الحياة العلمية والوظيفية في الدولة آنذاك، وستُذكر قائمة بأسماء من تخرج فيها من رجال الدولة آنذاك، ضمن النبذة التعريفية بموقعها، ونشاطها، وبعض من طرق تدريسها، كما سيأتي ذلك عبر الفروع التالية:

الفرع الأول: تاريخ نشاط مدرسة الملا طاهر بوخمسين.

الملا طاهر بن عبد المحسن بن إبراهيم بوخمسين، ولد بالاحساء عام ١٣٠٢هـ في مدينة الهفوف، تُرجم له بأنه " تربي في بيت علم وتقوى في ضفاف مرجعية الشيخ محمد بن حسين بوخمسين المتوفى عام ١٣١٦هـ ونشأ في الحوزة العلمية، فأحب العلم وتعلق به، ولذا سرعان ما التحق بحوزة الشيخ موسى بن عبد الله بوخمسين

المتوفى عام ١٣٥٣هـ وهي في بدايتها، وكان ذكيا واعيا، فاهتم به الشيخ، وكان بدوره من المتعلقين به والملتفين حوله، وحضر عنده الدروس في الفقه والعربية التي أحبها وأجادها، حتى أجاد مهمة التدريس في القراءة والكتابة، فأصبح بأمر من الشيخ مدرسا للقراءة والكتابة، وبالذات في مجال القرآن الكريم، فشغل هذا المقام ردحا من الزمن، وقد أجاد الخط العربي، فكان ينسخ المصاحف وبعض المصنفات، كما كان يعلم الخط، وقد افتتح كتابا سرعان ما تحول إلى مدرسة على مستوى البلد... وقد عاش الحاج طاهر معظم وقته وحيدا إذ لم يعيش له أولاد... ومنذ أن توفيت زوجته أثر الوحدة والانقطاع إلى الله عز وجل حتى توفي في الهفوف عام ١٣٨١هـ"

ويلاحظ من الترجمة أن الملا طاهر بوخمسين مارس التدريس قبل وفاة الشيخ موسى بوخمسين المتوفى عام ١٣٥٣هـ، وبهذا فهو يعد ممن دعم النشاط التعليمي في الهفوف قبل عهد النفط في المملكة العربية السعودية المؤرخ بـ ١٣٥٢هـ.

الفرع الثاني: مقر مدرسة الملا طاهر بوخمسين.

تنقلت المدرسة في ثلاث أماكن، إلا أنها لم تخرج عن حي الرفعة الوسطى، ففي أول عهدها كانت في محلة الفوارس بالقرب من بيت الفقيه الشيخ موسى بن عبد الله بوخمسين، ثم انتقلت بعد ذلك إلى مقر آخر في نفس الحي وذلك بمحلة الفداغم، وواصلت حضورها العلمي في مراحلها الأخيرة في بيت بالقرب من مسجد آل الشواف في محلة الفوارس مرة أخرى.

الفرع الثالث: مرافق مدرسة الملا طاهر بوخمسين.

تتكون المدرسة من ثلاث غرف: واحدة منها وهي أكبرها يتم فيها عقد دروس الملا طاهر بوخمسين نفسه، وأخرى مستودع توضع فيه ألواح الكتابة والأقلام والمحابر التي يستخدمها الطلاب و الثالثة لأغراض خدمات المدرسة.

الفرع الرابع: نظام الدراسة في مدرسة الملا طاهر بوخمسين.

لم تكن المدرسة كالكتابيب المنتشرة في أحياء مدينة الهفوف، فهي تختص بتدريس الطلاب الكتابة ومبادئ الحساب، وعليه فإن مدخلاتها هم خريجي الكتابيب المنتشرة في أحياء المدينة في كل من الكوت، والنعاثل والرفعة، بعد أن يكملوا دروس قراءة القرآن؛ لتزودهم بمعارف متقدمة، يتمكنون من خلالها: نسخ الكتب، وكتابة الوصايا الشرعية، والخطابات الرسمية، و الرسائل الإخوانية، ومسك الدفاتر الحسابية من قيد المبيعات والديون وهكذا. وعادة ما يتدرج الطالب في رحلته الدراسية في سبيل تحقيق هذا الهدف، بكتابة الحروف العربية بخط النسخ، ثم يدرب على كتابة بيت من الشعر، مستخدماً قلم القصب ذو الخط العريض، بعدها يدرب على نسخ خطابات، ووصايا معدة سلفاً، وكذلك كتابة الوثائق، وهكذا يتدرج إلى أن يصل إلى مرحلة الاستقلالية في إنشاء الديباجة المناسبة لموضوع الرسالة ومن ديباجة كتابة الرسائل التي يتناولونها ما ذكره الأستاذ محمد جلال البحراني للباحث، حيث كان أحد طلابها ونصّها ما يلي:

«إن أبهى ما يرقم، وأفضل ما يترجم، من كلام ودعا، وحمد وثناء، يهدى ويحف، ويجلى ويزف، إلىفلان».

الفرع الخامس: الدوام الدراسي في مدرسة الملا طاهر بوخمسين.

تفتح المدرسة أبوابها للطلاب بعد أن ترسل الشمس خيوطها الذهبية على رؤوس جدران المدينة، وهو توقيت أغلب كادحي مجتمع الهفوف قديماً، حيث تبدأ جموع الطلاب بالتوافد عليها من جميع أنحاء أحياء المدينة كالرفعة والكوت والنعاثل، ويستمر حضورهم حتى الظهر.

الفرع السادس: المتخرجون من مدرسة الملا طاهر بوخمسين.

تخرج في هذه المدرسة من رجال الدولة وموظفيها كلا من:

١- إبراهيم بن عبد الله العرفج.

٢- الأمير عبد العزيز بن سعود بن جلوي.

٣- خليفة بن عبد الله الملحم.

٤- سعد المنقور.

٥- عبد الله بونهيبة.

٦- عبد الله الشعبي.

٧- إبراهيم الشعبي.

٨- خالد بن سعد القصيبي.

٩- خالد بن عبد العزيز البرك.

١٠- حسين حسن الحرز، والد الشيخ نجيب الحرز.

١١- محمد جلال البخراني.

١٢- إبراهيم المحيش.

١٣- ياسين الكويتي.

المبحث الثاني

المدارس الدينية في مدينة الهفوف

بما أن الدراسة ستتناول هذا الواقع بكل وضوح، وانفتاحية على المشارب الفكرية والاتجاهات المذهبية، ونظرا لما لحاضرة الهفوف من خصوصية في احتضانها لمن يتعبدون بفتاوى المذاهب الخمسة الإمامية، و الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، ويدرسون كتبهم الفقهية والعقائدية في مراكزهم العلمية، فإن من الضرورة بمكان أن نتعرف على المذهبية في أفق الثقافة الأحسائية، ماذا تعني بالنسبة لهم ؟ وما أثر تلك الاختلافات على واقعهم الحياتي في الإطار الخارجي لأفراد المذهب، وما دواعي ومسببات ذلك، وهو ما سيتم عرضه من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم المذهبية لدى سكان مدينة الهفوف.

المطلب الثاني: مظاهر الحضور المذهبي في مدينة الهفوف.

المطلب الأول

مفهوم المذهبية لدى سكان مدينة الهفوف.

سكان مدينة الهفوف يدينون الإسلام، ويتعبدون بأحكامه عبر اتجاهين إسلاميين لا ثالث لهما، الشيعة و السنة. حيث يتفرع من السنة أربعة مذاهب: الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، ومن الشيعة مذهب الإمامية فقط.

ومفهوم المذهب بينهم لا يعدو أكثر من كونه اتجاهًا إسلاميًا تتعبد بأحكامه الفقهية، وتدين بعقائده فئة دون أخرى. فهو لا يعبر عن حالة فكرية وسلوكية سلبية أبداً. فالسنة والشيعية يعيشون على أرضها إخوة كما أرادت بذلك خلفيتهم الحضارية بكل قيمها الإنسانية الفاضلة، ونواميس الدين السمحة التي دان بها إنسان هذه المدينة العريقة.

ولعل الحضارية في تناول مفهوم المذهبية بينهم تعود إلى عوامل سيتم عرضها عبر الفروع التالية:

الفرع الأول: خلفية المنطقة وانفتاحها فكرياً.

تستند حضرة الأحساء إلى خلفية حضارية عريقة، درج على أرضها العديد من أتباع الديانات والمذاهب، فقد عاش على أرضها المجوس، والأسبذ «عباد الخيل»، واليهود، والنصارى، وربما جمعت في إحدى أزمنتها عدة ديانات في آن واحد، وهذا ما يظهر من واقع الخطابات المتبادلة فيما بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والمنذر بن ساوى والي الفرس في هجر، عند دعوته لهم للدخول في الإسلام، فقد كانت المنطقة آنذاك على دين النصرانية، وتتمذهب بالمذهب النسطوري^(١)، و يعيش بينهم اليهود، والمجوس، كما ورد في نص المنذر ابن ساوى للنبي ﷺ حيث يقول فيه:

«إني قرأت كتابك على أهل هجر فممنهم من أحب الإسلام، وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وفي أرضي مجوس، ويهود، فأحدث إلي في ذلك أمرك»، فأجابه النبي «ص» بكتاب نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي، سلام

(١) - عبد الرحمن الملا، تاريخ الحركات الفكرية في شرق الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ٢٩.

اللَّهُ عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا الله، أما بعد: فمن استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا ومن لم يفعل فعليه دينار من قيمة المعافري، والسلام ورحمة الله يغفر الله لك».

إن هذا التعدد الديني في آن واحد، جعل إنسان الحاضرة قادرا على استيعاب التعدد المذهبي على أنها ظاهرة صحية في حياة المجتمعات، وأن التعايش السلمي بين أفرادها هو السلوك الإنساني الأمثل فيما بينهم، فهم يرون أنهم يتوحدون في الكتاب، والرسول ﷺ، والقبلة، هذا في مجال الاعتقاد، وفي مجال تشريعات الرسالة المحمدية من عبادات ومعاملات، يلتقون في أغلبها أكثر مما يختلفون، وعليه فإن الأرضية المشتركة التي تجمع جميع ألوان الطيف المذهبي كافية لأن تمدهم بحسن العيش المشترك، القائم على المحبة والتآخي، هذا هو فهم أبناء هذه المدينة لمفهوم المذهبية.

الفرع الثاني: تدين أبناء المدينة.

حيث التدين كضابط اجتماعي إيجابي لسلوك الأفراد، واقع ملموس في حياة أفراد سكان مدينة الهفوف، وذلك يعود إلى كثرة بيوتها العلمية -على مستوى المذهبين- وكثرة مراكزهم ومؤسساتهم الدينية، حيث أنها تُفعل بالأنشطة الإرشادية والإصلاحية، من منظور إسلامي ما من شأنه جعل علماءها موضع احترام وتقدير من قبل أبناء جلدتهم، ومصدر رئيسي لضبط سلوكهم وفقا للشريعة الإسلامية السمحة.

الفرع الثالث: توحدهم أمام الأطماع الخارجية.

إذ قبل دخول الملك عبد العزيز حاضرة الأحساء، كانت مدينة الهفوف تحرق بها المخاطر من أعراب البادية الذين يتربصون بهم الدوائر، ويتوجسون الأخبار، ويكثرون بهم الفتك والسرقة، والنزال، حتى صارت مخازنهم التجارية، ومزارعهم

الغنية بالثمار، وبيوت الميسورين منهم طعمة لهم في كثير من الأحيان، وقد أدى هذا الانفلات الأمني آنذاك إلى جعل أبناء المدينة لحممة واحدة، ونسيج اجتماعي متراس أمام المخاطر المحدقة بهم.

إن هذه العوامل مجتمعة جعلت منهم يتعايشون فيما بينهم حياة كريمة خيرة.

وقد رصد هذه الظاهرة العلاوي حيث جعل اهتمام الأحسائيين بزراعة أرضهم، عنصرا مهما نبذوا بسببه العنف والتحزب المذهبي فيما بينهم، ملحقا إياه بعاملين رئيسيين هما العامل الديني الذي يلغي الفوارق الشكلية من لغة ولون، وكذا عامل الخطر المحدق بهم والمتمثل في الهجمات البدوية^(١).

ولعل من مظاهر ذلك التعايش الحاضري فيما بينهم مايلي:

١- نبذهم لحالات التصادم التي قد تنتج عن التعدد المذهبي، بكل ما أوتوا من قوة، والسعي من أجل القضاء على أي حالة في مهدها، فالتاريخ لم يسجل سابقة واحدة مخلة بحالة الأمن بين أبناء المدينة.

ومن أمثلة سيطرتهم على بوادر الخلاف ما اطلع عليه الباحث في وثيقة تاريخية^(٢) أرخت لنقطة مضيئة في سجل الوطنية، راصدة ما حدث في عام ١٣١٢هـ من قيام طبيب الطابور القبول قابي المدعو إلياس منصور أفندي وهو رجل مسيحي، بمحاولة بغیضة أراد منها إشعال نار فتنة فيما بين الشيعة والسنة، مما أدى إلى تدمير ورفض الأهالي لهذه المحاولة، وشكوا حاله إلى متصرفية اللواء وقد تمكن متصرف اللواء إبراهيم فوزي باشا و عساكر الشاهنه أحمد فضلي بك برده المذكور، ومنعاه من الدخول على الأهالي، وتخليدا لهذا المسعى السلمي الذي قام به الأهالي ما كان من

IBRAHIM S. AL-ABDULLAH AL-ELAWY. THE INFLUENCE OF UPON SETTLEMENT IN AL-HASA OASIS. - (١)
p205.

(٢) يمكن الاطلاع على سورة مصغرة للوثيقة في آخر صفحات كتاب: «موسى الهادي، في محراب الشيخ محمد بو خمسين».

أبناء طائفة الشيعة إلا أن تجمع أعيانهم من شتى أرجاء واحة الأحساء من علماء دين وعمد قرى وفرقان، وتجار بلغ عددهم ٩٣ فرد، ورفعوا خطابا إلى السلطان عبد الحميد في استانبول، شكروا فيه حسن القيادة ومساها إلى بسط راية العدل والاستقرار في البلاد، كما أثنوا فيه على حسن تصرف وقدرة متصرف اللواء والقيادة العسكرية على وأد الفتنة وإخمادها في مهدها، وكان رائدهم في هذا التوجه الفقيه الشيخ محمد بن حسين بوخمسين المتوفي عام ١٢١٦هـ، كما كان كاتب الوثيقة السيد هاشم بن السيد خليفة النحوي، بإملاء الشيخ أبوخمسين المذكور، وتم إرسال الخطاب في شهر جمادى الأولى من عام ١٣١٢هـ.

٢- تواصلهم الاجتماعي حيث يمتاز سكان مدينة الهفوف به، استجابة منهم إلى التعاليم الدينية السليمة في مجال العلاقات الإنسانية، وتأصيلا لطباعهم العربية العريقة. فمجالس وجهاء المدينة، وأعيانها، وكبار السن لدى الكثير من العوائل تفتح كل صباح مع اشراق الشمس تارة، وتارة أخرى بعد صلاة العشاء بشكل يومي، وفيها يلتقي أبناء العمومة والأصحاب، وأبناء المحلة الواحدة على تعدد مشاربهم الفكرية.

ويؤكد الدكتور محمد الملحم في كتابه الراوية الثانية عبد الله بوشبيب على وجود هذه الظاهرة من خلال حديثه عن مجلس سلمان بن غنيم رجل الأعمال المعروف في المدينة وأحد وجهاء الأحساء، حيث أشار بأن مجلسه ملتقا نموذجيا في حي النعائل لكل أبناء المدينة بشتى مشاربهم المذهبية.

كما يجد الباحث في مجلس ياسين الغدير «توفي في ١٩٩٩/٩/٨م» وأيضا هو أحد رجال الأعمال ووجهاء الأحساء، مثالا آخر لتجمع صحبة خيرة، تضم تنوعا من شتى ألوان الطيف المذهبي في مجلسه من مختلف أحياء المدينة، وهو يقع في حي الفاضلية.

أما مناسبات الزواج والعزاء، فهي من حيث الحضور الاجتماعي فيما بينهم فحدث ولا حرج.

٣- تجاورهم في الأحياء السكنية يعد مظهراً آخراً لحالات نبذ التحزب والتفرق، حيث لم يسبق لكاتب عن مدينة الهفوف أن ذكر بأن سكان مدينة الهفوف يتقاسمون أحياء المدينة على أساس مذهبي بنسبة مطلقة، حيث أن تجاورهم ظاهرة بديهية وطبيعية غير مستكره وعلى سبيل المثال في محلة الرفاعة من حي الرفعة، كان يسكنها كلا من العمدة عبد الله بن عزاز وأبناء عائلة المخايطة، وإذا واصلنا السير إلى محلة الشهارنة الكائنة إلى الجنوب الشرقي من محلة الرفاعة هناك تقع مدرسة الشهارنة المالكية^(١)، وبالقرب منها بيوت لعوائل شيعية ك: البوجبارة، والبقشي، والحمد، والخليفة، والخرس، والدين، والعبد الباقي، والمسلم، كما تدل عليها الصكوك المرفقة، أما من الناحية الغربية لمحلة الرفاعة وبالتحديد بعد شارع السوق الفاصل بين حي الرفعة والنعائل بالقرب من المدرسة الأميرية هناك آل بوعنقة وهم من عوائل السنة، ومن حوله بيوت لعوائل من الشيعة، كالبراهيم، والبقشي، والخرس، والموسى، والمروض، والنجدي.

الفرع الرابع: تبادلهم مشاعر المودة والمحبة:

حيث في الوقت الحاضر تعدت العلاقات الأخوية بينهم طابع التقارب السكني، بعد أن تباعد مساكنهم في الأحياء الجديدة، فهي إن فرقتهم جغرافياً بشكل ظاهري إلا أن طابع الود والمحبة لا يزال تطفح به قلوبهم الطيبة، بل ترجموه حساً أدبياً صادقاً، تنبض به قصائد اخوانية بين شعراء الفريقين، منها على سبيل المثال لا الحصر

(١) - كانت محلة الشهارنة في الماضي تشتمل على الرفاعة الكائنة في حي الرفعة الوسطى كما ورد ذلك في صكوك صادرة من قضاء الأحساء في العهد العثماني في القرن الثالث عشر الهجري، أما في الوقت الراهن فيطلق حي الشهارنة على الحي الكائن في الجنوب الشرقي من الرفاعة.

ما جادت به قريحة كل من الشاعر الشيخ عبدالله الرومي، والشاعر الأستاذ ناجي الحرز في هذا المضمار، وقد زود الشاعرُ ناجي الحرز الباحثَ بتلك الاخوانيات في رسالة فصل فيها مراسلاتهما، الأمر الذي يلاحظ منها مقدار الشفافية في العلاقة، وأريحية التفاعل بينهما، وهي كما يلي:

فمن قصيدة بعنوان: «مرحى»، أهداها له الشيخ عبدالله بن محمد الرومي بعدما قرأ إحدى قصائده في جريدة اليوم، ولم يكن بينهم أي لقاء قبل ذلك، وجاء لزيارته في مكتبه بإدارة الأوقاف وكانت تلك البداية لصداقة حميمة معه حيث قال في تلك القصيدة:

مَرَّحَى..

أيا (ناجي) نجوت من الرّزايا ولا غالتك غائلة المنايا
ودمت (لهجرنا) شرفاً وفخراً به تسمو (الحساء) على القرايا
لأنك بالقصيد رفعت شأناً لها ولأهلها بين البرايا
فشعرك كالكؤوس مشعشات بها صرف المدام لنا تهايا
روائع ضمنت سحرا حلالاً به تغدو القلوب له سبايا

* * *

فمرحى يا بن هذي الأرض يا من غدا منها لنا خير الهدايا
ودمت لنا بهذا الشعر توحى لنا حسن الخلائق والسجايا
تعلمنا التآلف والتآخي بظاهرة التزاور والتحايا

وتسمعنا من الأشعار لحنا سماويا ملاكي النوايا
 يزيل الحقد والأضغان حتى يقول السني: الشيعي أخايا
 تعالج كل مشكلة لدينا بأشعار بها حلُّ القضايا
 تؤلف بين إخوانٍ وتمحو ضغائنَ شرّها حطم الحنايا

وعصمتنا وملجانا جميعا هو الرحمن علامُ الخفايا
 محمد والكتاب وبيت ربي ودين الله يجمعنا سوايا
 كذاك شهادتان همانجاتي وآل محمد خير البرايا
 بهم وبجدهم نرجو خلاصا وأمنافي المعاد من البلايا

١٤٠٥/٩/٢هـ

عندها اجابه الشاعر ناجي بقصيدة في تاريخ ١٤٠٥/٩/٢هـ قال فيها:

يانفسٍ إليه قد بلغت مُناكِ هذا كتاب الشيخ منه أتاكِ
 شعرٌ بروحي قد تفتّق روضةً فيحاء زاهيةً وريحُ أراكِ
 ياليت شعري أيما شرفٍ وقد حزتيه يا نفسي فتمّ رضاكِ
 شرفٌ له كل الرؤس تطاولت هذا الذي من فضله أهداكِ
 فيضُ ترادفٍ من يمينٍ سمحةٍ مرحى يمين الشيخ دام نذاكِ

يا شيخ عبدالله إني عاجزٌ وعلاك أهل للثناء الزاكي
أنى بشكركَ لي ؟ وأنت ملكتي يجزيك عنّي سائقُ الأفلاكِ
ياشيخ إنك إن ذكرت قصائدي فالشعر منك مُوثَّقُ الأسلاكِ
أنت المهيمن والخبير بفنّه ربُّ القوافي مبدعا أو حاكي
سجدت قوافيه لكم فدعوتهُا إني وربك قد سجدتُ وراك
سلسٌ بأيدي صانعٍ حَذِقٍ فإن تدعوه لبّاهاً وبادر: هاك
إن رمته مدحاً تهلّل ضاحكاً أو شئتَه نَدْباً تَأوّهَ باكِ
أو شئتَه غزلاً تدفّق كالتي تسبي العقول سريعة الإدراك

يا شيخ إني لن أزال بشعركم ولعاً و زادي من بيانك شاكِ
سأسير بين العالمين مفاخرأ بك، أنت إنسانٌ بروح ملاكِ
أمّا الضغائن . لا ندمت . فإنما هي في الحقيقة كذبة الأفاكِ
إبليس تلك أرادها فأتى وقد نصب اللعين بها أشرّ شباكِ
فهدمت آماله وأطارها منّا الثباتُ على أذى الأشواكِ
لنظل في الأحساء نسكن جنّةً يا هجر يا وطني جُعلتُ فداكِ

وإليها يا ابن الأكارم عادةً وتقدمي يا غادُ نحو فتاكِ
واقبل سلاماً من فؤادٍ مخلصٍ في حبّه لم يُرمَ بالإمساكِ

ثم أجابه الشيخ عبدالله الرومي بهذه القصيدة التي ابتدأها بذكر أهل الأحساء

إلى أن قال:

يا شيعمة الآل يا أبناء أوطاني لكم ولأبي في سري وإعلاني
 منحتموا ودكم آل الرسول كما بذلك الله قد وصى بقرآن
 فليهنكم يا بني الأوطان حبكموا آل النبي بإخلاص و عرفان
 لأنهم عروة وثقى لمعتصم بها إلى الله رب العرش ذي الشأن
 لذاك أمنحكم ودي و أشكر ما لكم على الآل من عطفٍ و تحنان

* * *

وَلِيَهَنَكُمَّ شَاعِرٌ مِنْكُمْ وَمَا وَهَبَتْ لَهُ الْبَلَاغَةَ مِنْ شِعْرِ وَأُوزَانِ
 أعني الأديب الفتي وشاعرنا ومبدع الشعر في غيدٍ وغزلانٍ
 فإنه بأناشيد له ملكت مشاعري وأحاسيسي ووجداني
 وإنه بأناشيد له ملكت عقلي وروحي وأفكاري وأذاني
 ألقى عليّ رداء الشعرِ مُبتلجاً كالتاج كُـلُّ من دُرٍّ ومرجانٍ
 خرائداً من بنات الفكر حبرها وصاغها صوغ رسامٍ وفنانٍ
 خمائلاً هي أو خلتُ الجداول في ارض الحساء جرت في كل ميدانٍ
 تحكي نشيد (أبي ماضي) وشيعته في مهجر الصيد من شامٍ ولبنانٍ
 فياله من أديبٍ شاعرٍ شرفت به الحساء و باهت كل بلدانٍ
 بالله يا شاعر الأحسا مسمعا روائع الشعر ضاهت شعر حسانٍ

بالله يا شاعر الأحسا ومتحفنا
 أهدي إليك تحياتي ومعدرتي
 لكي أقدم شكري للقريض أتى
 أطريتني وأنا لا أستحقُّ لما
 أهديته لي من بحر القريض كما
 فالله يبقيك يازين الشباب ويا
 واسلم أخوا الشعر يا ناجي سموتُ علماً
 للشعر للحب للإخلاص ما بزغتُ
 وما تغنى هزار الروح من طرب
 فسحَّ دمعي على الخدين منسكباً
 حتى إذا لم يدع لي فقهه أملاً
 وعفتُ أنسى ولذاتي لفرقتي

بخير شعر كصهبا بأدنان
 عن نيل شأوك في شعرٍ وتبيان
 لي منك يا شاعري بل خير خلاني
 ضمّنته فيه من مدحٍ كتيجان
 يُهدى شرابٌ على شوقٍ لظمان
 رمز الولا والوفا للوالد الحاني
 ودمت ذخرًا برغم المبغض الشاني
 شمسٌ وما تليت آيات قرآن
 وما بكى الورق من وجدٍ فأشجاني
 حُزناً على فقد من أهوى ويهواني
 في جمع شملي به أعلنت خسراي
 وصرتُ حلف أناشيدي وأحزاني

ومرة أخرى أجاب الشيخ عبدالله الرومي بقصيدة مختلفة وزنا وقافية:

برح الخفاء ومزقت أستاره
 والعين أسبلت الدموع فليتها
 يامن تعلقك الغرام ملاحقاً
 رفقا بحالك من تباريح الجوى
 وانزل بساحة عاشقٍ نزلت به

والقلب أعلن سره إصراره
 يوم الرحيل أفادها إمطاره
 ورماك من جور الهوى إضراره
 فالشوق تكثُر إن يطل أخطاره
 بلوى الهيام وهذه أشعاره

يأتِ الذي يهوى ولا أخبَارُهُ
من حالٍ صَبَّ ما بقي معشارهُ

قد لاح ما بين الحروف مرارهُ
فرأيتُ قلبك والصفاءُ شعارهُ
وعلمتُ أنك للمعانِدِ كارهُ
يلقى السعادة من يصحَّ قرارهُ

شعراً أشيدَ إلى الفؤادِ مساره
أيقنتُ أنك للقريضِ نهاره
حتى استفادك فاستتم فخاره
فلقد أميط عن ارتقاك ستاره
أنى لمثلي أن يقلِّ عثارهُ
وسلامٍ مشتاقٍ رضاك خيارهُ

١٤٠٥/١١/٢٠

تبكي له في كل ناحيةٍ ولم
فعساك أن تسلو ولو لهنيهةٍ

إني رأيتُ الحزن يابن محمد
وقرأتُ أبياتاً أتت وأعدتها
ورأيتُ حبك للنبي وآله
أبشراً فقد نلت السعادة إنما

ياشيخ إني مذ أتاني فيضكم
ورأيتُ في يدك اللواءَ مرفرفاً
ياشيخ إن الشعر قبلك ناقص
فكفاك يا شيخ القريض تواضعا
وكفاك تقديماً لشعري مُنعماً
وختامها مني إليك تحية

ثم أجابه الشيخ عبدالله الرومي في تاريخ ١٤٠٥/١٢/٢٠ هـ بهذه القصيدة التي

كانت مسك ختام هذا الحوار الدافئ:

حُبَا كَسَاهُمْ رَفْعَةٌ وَجَلَالًا
عَزَّتْ عَلَى بَعْضِ الْأَنْامِ مَنَالًا
بَدَرَ الدَّجَى أَوْ كَوَكَبًا يَتَلَالًا
أَرْجَاؤُنَا مِنْهَا بَهَى وَجَمَالًا
شِيَبَتْ نَمِيرًا صَافِيَا وَزَلَالًا
وَيَلْفِظُهَا سِحْرًا أَجَلُّ حَلَالًا
(الأحسا) الفتى السامي علماً وخصالا
(ناجي) يناجي بالقريض خيالاً
يحكي بأفق الشعارين هلالاً
هي لبوةٌ ولها فكن ربباً
حتى تسامى في القرى وتعالى

بالشعر داءً في الفؤاد عضالا
تأبى على رغم الوداد وصالا
يجرى القريض بفكره سلسالا
نظّم القريض خرائداً فأطالا
فتناول الأجيال والأجيالا

جاءتكَ من قومٍ أَحَبُّوا الْآلَا
وَحَبَاهُمُوا عِنْدَ الْإِلَهِ مَكَانَةً
عِذْرَاءُ سَافِرَةٌ يَحَاكِي وَجْهَهَا
فَتَضَوَّاتٌ آفَاقُنَا وَتَضَوَّعَتْ
فَحَسِبْتَنِي أَنِي احْتَسَيْتُ مُدَامَةً
وَحَسِبْتَنِي أَنِي سُحِرْتُ بِلِحْظِهَا
لَمْ لَا ؟ وَرَائِدُهَا أَمِيرُ الشَّعْرِ فِي
نَجْلٍ (لِدَاوُدِ ابْنِ حَرَزٍ) إِسْمُهُ
لَا زَالَ طَالَعَ سَعْدِهِ مُتَأَلِّقًا
فَالْتَفَخِرِ (الْأَحْسَاءُ) إِذْ كُنْتَ ابْنَهَا
بِالشَّعْرِ تَنْظُمَهُ فَتَرْفَعُ قَدْرَهَا

لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ نِطَاسِي شَفَى
مِنْ حُبِّ خُودٍ فَاتِنٍ بِجَمَالِهَا
لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ بَلِيغِ شَاعِرٍ
لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ أَدِيبٍ مَاهِرٍ
تَزْهَوُ بِهِ الْأَحْسَاءُ وَيَعْلُو شَأْنَهَا

ماذا أقول؟ وإنني لأقلّ من
لكنني أقفوه فيما قاله
فإله يُعلي شأنه ويُدِمْهُ
عليائه إن قلتُ أو هو قال
وأراه أسمى فكرةً و مجالا
للشعر رمزًا . للوفاء مثالا

ومن قصيدة أهداها بتاريخ ١٤١٢/٣/٦هـ إلى صديقه الشاعر مبارك بن ابراهيم
بوشيت بمناسبة فوز ديوانه: «بطاقتي الشخصية» بجائزة نادي أبها الأدبي لعام
١٤١٢هـ قال فيها:

ليس بدّعاء..

ليس بدّعاء إن قلدوك الثرّيّا
أو تألقت في عنان السماء
نحن من قبلهم لمسناك فتحّا
ولمحنك هالة من بهاء
وعشقتناك أيها المنهل العذب
وجئناك مَـوردًا للصّفاء
وسكبنا قلوبنا ألف معنيّ
يتشهاك موسمًا للثناء
فالزم الراية التي بك تاهت
وتقدّم وقل: هلمّوا ورائي
وخذ النجم في سراك نديمًا
واسقه أنت من كؤوس الضياء
لم يزل موكبُ الخلود يغني
لهواديهِ من بني الأحساء

كما قدم في تاريخ ٢٢/٣/١٤١٤هـ تحية للشيخ عبد الله بونهيبة مدير تعليم المنطقة الشرقية السابق حيث جمعت بالشاعر مع الشيخ زمالة في «مجلس الأوقاف الفرعي بالأحساء» قال فيها:

لَفَطٌ ..

شيخ عبد الله مهلاً ليس في الأمر شَطَطٌ
أنت من قومٍ كرامٍ أمنوا خَسَفَ الخُطَطُ
جمعت فيهم صفات الفضل من كل نَمَطُ

وإذا شئت وحاشاك وحاشاك الغَلَطُ
فمباح لك مني دون شكوى أو سَخَطُ
ليس للمولى سوى التسليم والشكر فقط

سترى قلمي قد استركت رثيراً واغتبطُ
فسيكفيني فخراً حين يشهد الغَطُ
أن اسمي باسم شهرٍ مثلك اليوم ارتبطُ

وبقصيدة بعنوان: «في رحاب المودة» قدم تحية للسيد أحمد بن ابراهيم الهاشم بمناسبة توليه منصب مدير الأوقاف والمساجد والدعوة والأرشاد بالأحساء قال فيها بتاريخ ٢٢/١٠/١٤١٤هـ مايلي:

في رحاب المودة ..

وارتاح من طول اغترابه
الحق عاد إلى نصابه
وبأحمد ختم الهدى
درب السلام كما ابتداءه
فأتيت تحمل لورى
قبس الهداية من شهابه

فلست أول من أتى به
فإذا أتيتك بالثناء
كل المعالم في رحابه
حب الكرام قد احتوى
قلبي فأسرع في انجذابه
لا غرو إن أغرى الهوى
فالله حض على مودة (آل هاشم) في كتابه

كما شارك في الحفل الذي اقامه نادي المنطقة الشرقية الأدبي في تاريخ ٤/١١/١٤١٥هـ برعاية أمير الأحساء آنذاك محمد بن فهد بن جلوي لتكريم الشاعر يوسف بوسعد، بقصيدة ترجم فيها مشاعر صادقة كان ينتظر فرصة للتعبير له عنها بحسب افادته في رسالته التي بعث بها، حيث قال في قصيدته:

إلى بحثري الأحساء ..

يا شعرياً ظلّ الخلود
في هذه الأرض الولود
كنت الكريم ولم تنزل
تعطي بكل سخا وجود

حتى بلغنا من هباتك هامة الشرف التليد
كم شاعرٍ من واحة الأحساء طوّفَ بالمشيدِ
ملاً الدنيا عطرا وطوّقَ بالدراري كل جيدِ
يمشي فتنبتُ في خطاهُ إذا مشى بيض الورودِ
ويظلُّ من أنفاسه عبقُّ بكل مدى جديدِ

يا شعرياهبة العباقرة الجهابذ من جدودي
الحافظين عهد عشقك طيلة الأمد البعيدِ
بالأمس إن ظفروا عهد هواك عيداً إثر عيدِ
أنبيك والإحساس تخنقه يدا زمنٍ عنيدِ
ما زال من أبنائهم باقٍ على تلك العهدِ
هذا (أبوسعد) يسير براية النظم الفريدِ
يصطاد من فلك السماء كقبسة الفجر الوليدِ
ويشفّ من أسرارها ما دق من معنى جديدِ
في فاجيء الذوق الرفيع بكل فاتنة صيودِ

لما صحت في جانحيه شكاية القلب العميدِ
دهدى (زفير الناي) أنداءً على جمر الصدودِ

ومضى على درب الشجى مُتَحَسِّباً حُرَقَ الكِبُودِ
 لـ (شِوَاطِيَّ الحَرَمَانِ) يحشد كل أبراج السعودِ
 يُسَلِّي شِغَافَ العَاشِقِينَ بكل قافيةٍ شَرُودِ
 يَغْفُوفٌ وَاذْ مُؤَلِّهِ فيها على وعيدٍ أَكِيدِ
 أو تَسْتَبِيهِ بِحِكمَةٍ غراء أو رأيٍ سَدِيدِ
 * * * * * *

يا (بُحْتَرِيَّ) عَنَادِلِ الأَحْسَاءِ فِي العَهْدِ الجَدِيدِ
 بوركنت في دنيا شموخ الشعير من صرحٍ مشيدِ
 هبطت عليه ملائكُ الإبداعِ بالنغمِ الحميدِ
 فهضى إلى ساحته النوراءِ زُوادِ القصيدِ
 يترشفون صفاء شيطانٍ سَجَّتْ للمستزيدِ
 حتى إذا نادى مُنَادٍ فِي القَرِيبِ وَفِي البَعِيدِ
 وزهت مشاعل ليلة التكريم للجهد الجهدِ
 جئناك نشكر ما وهبت لساحة الفكر الرشيدِ
 فاهناً ببيعة كل من حياك من هذي الحشودِ
 واهناً بسكناك القلوب وحبذلك من رصيدِ
 واهناً بأبومة عدك المعظم

وقد أجاهه الشاعر يوسف بوسعده على تحيته السابقة بقصيدة وذلك في عام

١٤١٦هـ بما يلي:

ترانيم على درب الوفاء ..

رفرفَ على روضِ القصيدِ واقطفُ أضاميمَ الورودِ
واصدحَ على وترِ (النشيجِ) مرحباً همسَ (النشيدِ)
وانسجَ على نغمِ (البواكيرِ) المراحِ وشاحِ عبدِ
يابلبلاً أنغامُهُ هبة السمالصدي الصعيدِ
شفتُ كما الصبحِ الفتونَ فحركتُ أوتار عودي
وحوّتُ معاني لا مستتَ قلبَ المدلهِ والعميدِ
أبستها إبريزفَنكُ فازدهتُ بسنناً جديدِ
وصبغتُها بمشاعِرِ أزهى من الفجرِ الوليدِ
فبدا بها الأمل الضحوكِ يموج رفّافَ البنودِ
وتضوّع الشعر النديّ تضوّع الأرجِ الفريدِ
فرشفتُ منها نخبها وانساب يجري في وريدي
هدأتُ جراح القلب مُذ جادت بها شفة الورودِ
فطفقتُ أذكرواحة الأحساء أسيرة الوجودِ
من تيمت قلب الأديب كحلوة اللفتات رُودِ
فأثار نبع الحب في خلجاته غرر القصيدِ
وتألقت أحلى القصائد كالجواهر في العقودِ

عافت نحور الفيد أجمعها وزانت خير جيد
 وتالأت في صدرها فبدت كفاتنة صيود
 أغرت نحور الفيد لفتتها وكل رشا حسود
 أعلمت كيف تموت في غلوائها أحلام غيد؟

يامن سكبت الحن منهم رأيمجر كالرعود
 أوري (زفيرالنأي) حين
 و(شواطئ الحرمان) في
 أغضاضة إن مال قلبي
 وملامة إن لجاج نبض
 ورأى ا لجمال فهاجهُ
 فهفا يشق إلى الضفاف
 من لم يحب فعيشهُ
 ذكرته جزل الوقود
 قلبي مجامر من كمودي
 وانتحى شطر (الخدود)؟
 قد تشبث بالعهود
 ألق الرؤى بعد الصدود؟
 دروبه بخطا السعيد؟
 في الناس لم يك بالحميد

تفجري كرمًا وجودي
 تنهيدة النبع البرود
 المعمود يستجديك زيدي
 للحجى أحنى مهود
 حسناء يا أمل الحبيب
 يامنهل الأحلام يا
 زيدي الكئوس فخافقي
 إن كان في كهف الصبابة

فترفقي وخذني الحجي
مُدي ربيعك في الغدو
وذريه يمرح في رباك
أعطيه زهرك مرغبي
لهواك زلفي من عميد
ودفاء حضانك في الهجود
مُغزلا شفق الورد
شفتيه في نهم عنيد
تسموبه الأحلام باسمه
على ثبج النجود
في لجة النسومات يسري
طيف زورقه الوثيد
تحدوه شادية المني
جذلي وسانحة الجدود
أحني الجناح على وليد
عنت السنين وكاديودي
لولا الحنان لهده

ناجيت يا (ناجي) الكبود
بقصيدة عصماء نمم
وأحاطها (ابن الحرز)
ينفتُ منه في المستجيد
يشوي الشواظ إذا تلا
فكانها من عبقر
رقّت فخلتُ حروفها
في صدرها ألم الوعيد
وتزاحم الفكر المجنح
فحبذا نجوى الكبود
وشبهها حذق المجيد
نبراتهما قلب المرید
نُقشت على قشب البرود
نغمًا على شفتي (وحيد)
وعجزها أمل الوعود
في تضاعيف الخلود

أعددت روضتك الرحيبة
 وصدحت بالنغم الطروب
 لـحفاوة بالوفود
 صدى وبالكلم المفيد
 على رؤى نسقٍ نضيد
 تترك زيادة مستزيد
 فتتابع التصفيق وابتسمت أسرار الحشود
 خلعوا العذار فما هنالك من حواجز أو قيود
 حتى الكئوس توثبت
 ونشوى كـورّدات الخدود
 وترنحت أعطاف هجر
 عند ذكرك للجدود
 للفن هذا العرس يعزف لحنه ميسر القدود

مُهَج القلوب تراقصت
 ومضت على متن الخيال
 سكرى على ثبج النشيد
 وخيلها وسط الوصيد
 تطوي العصور الغابرات
 وتحط قرب الشاطئ الشريقي من كذب الصعيد
 تستنطق التاريخ عن
 وقساوة الطاغى على
 زمير الضعاف لعبيد
 قصص الوديع مع الشديد
 فيطل (يعرب) من زوايا اللحد من خلل السدود
 فيسوقه سيف الحفيد
 وغمده صدر الحفيد

لكأن (طرفة) في الهزيع
تحسبوا الأسى عيناه غارقتين في بحر الشرود
يشكو الظلّامة من قريب
ألقى السهام إلى الشغاف
فأمضتْهُ ظلم القريب
يا صفحة التاريخ لا
رحل الجمود وأوصدت
وبدا النهوض وعزمه
أيدينا حرق مهب
حق الأديب حفاوة
خلعت على (ابن العبد)
لوشامته قبس الوفاء
ولذل شأنه الذي
ولبات ينصفه زمان
ولنال من أيدي السخاء
إن فاته زهر الشباب

هذا زمان النور بدد وهجته خدر الجليل

هذا زمان النور فارتقبوا الهدى ثمن الصمود
 هذا أوان البيع فاستبقوا إلى ثمر الجهود
 فالشوق أضحى هالة سُفحت على درر الحصيدِ
 والمجد لا يُعطى لمن ألفوا الرقاد مع الرقودِ
 بشراكموه هذا زمان الدر لا الحجر الزهيدِ
 سيضيء فن النابغين (ابن المقرب) و (الوليد)
 ويعيد مجد الشعرفي ردهات هارون الرشيدِ
 ويقيم للفكر الأصيل دعائم الصرح المشيدِ
 ويبث من جنباته عبق الغطارفة الأسودِ
 ويصد سهامند من كف الطريف إلى التليدِ
 ويزيح عن أرباضنا خلا من الحلك المديدِ
 زيتُ الأصالة في الفتيلِ أبى الركون إلى الركودِ
 يستأهّم الإيمان يغمره فيصوبو للمزيدِ
 هذا الضياء الغمر أقبل من جنى رحمٍ ولودِ
 أملُّ صحافأضياء في الأحلام قنديل السعودِ
 غرست فسائل حقله همم العقول مع الزنودِ
 فزهت وفي آثارها عرس تبلج إثر عيدِ
 يدنو فيضحك في سناه الصبح مخضل الورودِ

كما له تحية للشيخ محمد بن عبد الرحمن آل إسماعيل بمناسبة تعيينه مديراً لفرع وزارة الشؤون الإسلامية بالأحساء بتاريخ ٢٠/١/١٤١٧هـ قال فيها:

عَمِيَّتْ عَيْنُ الْحَسُودِ..

جَفَّ يَنْبُوعُ النَّشِيدِ وَهَوَى الصَّرْحَ الْمَشِيدَ
عِنْدَمَا رُمِّمْتُ مَدِيحًا لَكَ أَعْيَانِي النَّشِيدَ
وَعَلِيَّ ارْتَدَّ حَرْفِي عَاجِزًا عَمَّا أُرِيدُ
وَتَحْيِرْتُ طَوِيلًا يَا (أَبَا عَبْدِ الْمَجِيدِ)

أَهْنِيكَ ابْتِدَاءً ؟ بِنَجَاحٍ وَصَعُودٍ ؟
أَمْ بِأَخْلَاقِكَ يَا ذَا الْخَلْقِ السَّامِيِّ أَشِيدُ ؟

لَمْ يُضَفْ شَيْئًا جَدِيدًا كُلُّ كَرَسِيَّتِكَ الْجَدِيدِ
فَمَقَامٌ لَكَ عَالٍ طَوَّارِفُ فَيْكِ تَلِيدِ
وَرِثَتُهُ لَكَ أَبَاءٌ كَرَامٌ وَجَدُودٌ
فَتَلَقَى الشَّرْفَ الْمَمُورُوثَ بِالْفِعْلِ الْحَمِيدِ
فَإِذَا أَنْتَ مَنَارٌ لِذَوِي الْفِكْرِ السَّيِّدِ
وَبِأَهْلِ الْعَالَمِ نَبْعٌ لِذِي شَيْءِ الْوَرُودِ

فهنيئاً . أيها الشيخ . لنا هذي السمود
وهنيئاً لبيوت الله تجديد الجهود
وعلى اسم الله فلا ينتظم العقد الفريد
وبه عنكم و عننا عميت عين الحسود

هذه المشاعر الطافحة بالحب والإخاء، وتقاسم العيش المشترك على أرض
الهِفوف، ليس وقفاً عليها، أو من مختصاتنا دون واحة الأحساء، كلا.. فهي سمة
ثقافية يشترك فيها الأحسائيون كافة، وفي هذا السياق يطيب للباحث أن يقدم
نموذجاً آخر لهذا الحس، وهو من جانب الشاعر جاسم الصحيح، فقد تحين العديد
من الفرص، للبوح بمشاعر الأخوة والمحبة لأصدقاء، أو من لهم فضل في تقديم
خدمات جليلة لأهالي الأحساء من عوائل سنية، في أنحاء متفرقة من الواحة، منها
قصية مهداة إلى الشاعر الدكتور غازي القصيبي إثر عودته إلى أرض الوطن عام
١٤٢٣هـ قال فيها:

لولا انتظارك هذا النخل ما وقفنا
واخلع سنينك فالأحساء ما برحت
ماجازاً عمّر الضحى يوم ارتحلت به
دون البلوغ.. وسرُّ الحب في دمه..
فاسكب حنانك في الجذع الذي انعطفاً
أماً تفتش عن طفل بك التحفاً
إذ لم يزل يتهجى الماء والسعفاً
لم يبلغ الحلم إلا حينما اعترفاً لا
كلفتة يحرث الدنيا، وحين شكاً
هددت شكواه بالمجد الذي اقتطفاً

* * *

جُنَّ الفَتَى بالهوى واشتاقَ منبتهُ
وراحَ ينسجُ من أشواقِهِ تُحَفَا
ومالَ في حضرةِ النجوى على وترٍ
تَنهَّدَ الوجدُ في أحشاهُ وارتجفا
سالتَ بهِ القافياتُ النازفاتُ هوى
فامتدَّ في عنفوانِ السيلِ وأنجرفا

* * *

و دارَ في خاطرِ العُشاقِ أغنيةً
صحا الجمالُ على أهدابِها، وغفا
هل يا ترى كَبُرَ الطفلُ الغريبُ، وقد
أطعمتهُ الزهو من كفيكَ، والترفا؟
هياتَ يكبرُ.. فالأطفالُ في (هَجِرِ)
لا يكبرونَ إذا لم يعلكوا الحشفا!!!

* * *

يا آخرَ الصبرِ في المرساةِ.. هل بقيتَ
لألىُّ تستحقُّ الجهدَ والكلفا؟
وهل تَمخَّضَ أوهاماً سَواسيةً
ما شَعَّ من قَمَرِ النُعمى وما انخسفا؟
قد جَرَعَتِكَ الليالي أبجديتها
وامتدَّ عُمُرُكَ في أهوالِها (ألفا)
واستدرجَتِكَ إلى أعتى مُنازلةٍ
فَكُنْتَ أصلبَ من أكتافِها كَتفا
حتى إذا نَصَبَتْ عبرَ الهوى شَرَكاً
ألوى بِداخلك الخيالَ فانعطفا
وقَعْتَ قلباً متى طافَ الجمالُ بهِ
شَقَّ الضلوعَ وَمِنْ أعماقِها أنذرفا
فَكَمْ تَنازَلتَ عن ضلَعينِ ذاتِ هوى
وما تَنازَلتَ عَمَّا فيهما شَرِفا!

* * *

يا آخرَ الصبرِ.. لا خانتِكَ قافيةُ
تبني الحروفَ بِجَناتِ المُنَى عُرفا

ما زال في جرحك المفتوح متسع للحب كي يستضيف الوجد والشغفا
يقال: ضيع نهر الشوق وجهته يوماً، ولكنه ما ضيع الهدفا
و عاد للنبع.. لم تحمل حقايبه من رحلة العمر إلا العز والأنفا
وبسمة لم تزل تغشى ملامحه منهوكة اللون مما خولطت أسفا !!!

ومن قصائده الاخوانية قصيدة بعنوان: «تلمست في نجواكم (ليلة القدر)»
أهداها في شهر ربيع الأول من عام ١٤٢٨هـ للأستاذ عبدالعزيز بن حمد الجبر
وأخويه محمد وعبد اللطيف وجميع أسرة آل الجبر: عرفانا وامتنانا منه لخدماتهم
الجليلة التي يقدمونها للأحساء وأهاليها في العديد من المجالات ومنها المجال
الطبي، قال فيها:

«تَلَمَّسْتُ فِي نَجْوَاكُمْ (لَيْلَةَ الْقَدْرِ)»

سَلُوا اللَّهَ.. هَلْ جَادَتْ يَدَاهُ عَلَى (هَجْرٍ) بِأَكْرَمَ مِنْ أَهْلِ النَّدَى: (أَسْرَةَ الْجَبْرِ)؟
فَهَمَّ فِي عَيُونِ الْمَاءِ إِكْسِيرُ مَائِهَا وَهُمْ فِي حَقُولِ التَّمْرِ مَا هِيَ التَّمْرِ
بَنُو (حَمَدٍ) مَنْ شَدَّهُمْ فِي مَحَبَّةٍ كَمَا شَدَّتِ الْأَضْلَاعُ فِي قَفْصِ الصَّدْرِ
وَعَلَّمَهُمْ مَا عَلَّمَتْهُ سِلَالَةٌ مِنْ الْجَوْدِ كَانَتْ فِي شَرَايِينِهِ تَجْرِي
مَشَوْا فِي ثَرَى (الْأَحْسَاءِ) نَهْرًا مِنَ النَّدَى مِنْ النُّطْفَةِ الْأُولَى إِلَى آخِرِ النَّهْرِ
وَشَعَّ لَهُمْ فِي كُلِّ حَبَّةٍ رَمْلَةٌ شَهَابٌ سَمَاوِيٌّ مِنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ

(أبا خالد) .. يا سيِّدَ الهالةِ التي
حناناً.. حناناً بالدِّلاءِ تكاثرتُ
تَجَلَّتْ علينا في كواكبِها الزُّهْرِ
عليكمَّ.. فما يُغري الدِّلاءَ سوى البثْرِ!
وَأَطْفَأْتُمْ في صدرِها سَعْلَةَ الجمرِ
غَسَلْتُمْ كِلاها) من حصى الهمِّ والأذى
كأنَّ المسجى من ربيعِ حياتِها
صحا في أياديكمَّ على جَنَّةِ الحَشْرِ!

* * *

سَهَرْتُمْ لها كالأُمَّهاتِ فلم تجدْ
وأسَهَرْتُمُونِي مُدْجِجاً في مديحكُمَّ
بأعماقِكُمْ إلاَّ ثباتاً على الصِّبرِ
بمقدارِ ما أَنْتُمْ سَهَرْتُمْ على (هَجْرِ)
لأسمائِكُمْ من عِزَّةٍ نَوَّرَتْ حِبري
تداعى إليَّ النجمُ من فرطِ ما رأى

وقامَ يَراعي للصلاةِ كأنَّهُ
فما زال يَجري الوحيُّ ملءَ قصيدتي
تَلَمَّسَ في نجواكُمَّ (ليلةَ القَدْرِ)
إلى أنْ تلاشى الليلُ في غمرةِ الفجرِ
وظافتُ حدودُ البحرِ عن موجةِ الشُّعْرِ
طفًا (بحري الشُّعْرِيُّ) من فيضِ وحيكُمَّ
أرى الأرضَ كلَّ الأرضِ تمشي على إثري
وجئتُ أرى عبرَ القصيدةِ ما أرى:
كأنَّ جميعَ الخلقِ في نَفْسٍ لهفتي
إلى رؤيةِ الأقطابِ من (أسرةِ الجَبْرِ)!

وقال مهنيا لصديقه الشاعر مبارك بوشيت في إحدى مناسبات تكريمه هذه القصيدة بعنوان «طائر الموال» ما يلي:

«طائر الموال»

في شباكِ الرؤيا وفخِّ الخيالِ
جئتُ أصطاد طائرَ الموالِ

وأغني حتى أصوغ من اللحن
 أم يا وردة الغناء بحلقي
 إن في الحلق جرّة من تناهيد
 تشظّت على صخور انفعالي
 ما عزائي على بقائي إلا
 أن روعي موهوبة بالخبال
 ما أنا بالذي يقيم على الحال
 وإن كان توأم السعد، حالي
 أنا واد من التهور والطيش..
 أنا واد من التهور والطيش..
 تائه في مجاهل الظن.. أسري
 أنا واد من التهور والطيش..
 لم أجد ما يوحد الأرض إلا
 في زمان الثقوب.. والنأي يذوي..
 صار يشدو الزمان بالغربال

* * *

يا زماناً كانت به الخيل خيلاً
 واقتبس من (أبي رياض) مثلاً
 ها هنا أربعون عاماً من البوح
 كيف لي أن أفضّ ختم البساتين
 كان لي منك ما يشد العناقيد
 واتحدنا كما الخير مع الماء
 شاعر الحب.. لم تزل تكسب الحب
 لم تزل تحمل المودة نبراساً
 عد إلى الأرض بالرجال/ الرجال
 تتجلى به معاني المثال
 أطلت كثيفة الأدغال
 وأجني أسرارها في سلالتي
 إلى كل نبضة في الدوالي
 وصفنا طبيعة الشلال
 شعاعاً على ضمير الليالي
 يذف الحياة للأجيال

تقلع الصخرة التي تخنق القلب
وعلى حرفك اخضراراً الينابيع
فينساب بالغرام الزلال
يفغني في مهرجان الرمال

كلما طاف لحنه بالأعاصير
يا مجيل الحروف في ملعب الشعر
سقاها مشاعراً الأصل
خيولاً.. بوركت من خيال
زغرد الشوط لانتصارك واختالت
رحاب المضمار أي اختيال
وانتشت كل فكرة تنجر الجهل
بسيف البيان يوم النضال
فتألق إشراقة تترك الليل
صريعاً على جبين المعالي
شاعر الحب.. ما تجليت إلا
عن كيان مخصن بالجمال
رؤني بالحياة.. إن مواويلي
نعوش تحضنت آمالي
أين أمضي ؟ وكل باب يناديني
توافيه لعنة الأقفال
أين أمضي ؟ ما زال عمري حُلماً
ساجياً في ضريح هذا السؤال
هذه الأرض في دمي لم تنزل تحمل -
في صمتها رؤى زلال

* * *

المطلب الثاني

مظاهر الحضور المذهبي في مدينة الهوف.

طبعت المدينة بظاهرة التعدد المذهبي، ليس على نحو التبعية والتقليد فقط، بل ضمت جنبات أحيائها المكتظة بالسكان العديد من الفقهاء، والأدباء الذين طبعوا الحياة الاجتماعية فيها بأنفاس العلم والفضيلة، وقلما تجد تجمعاً علمائياً في بقاع العالم على غرارها من حيث التعدد المذهبي، المدعوم بكثرة العلماء والأدباء. فهي من النوادر بين الحواضر الإسلامية، ومن مظاهر ندرة نسيج سكان المدينة وأنشطتهم المذهبية أن تجد الصلاة تقام فيها على فتاوى جميع المذاهب، كما أنهم يعقدون مجالس علمية دراسية تبدأ من المقدمات العلمية حتى أرقى الدروس الدينية على فتاوى، وطريقة استنباط جميع المذاهب، وهذه سمة نادرة قلما تجدها في مدينة أخرى إلا أن تشابه مدينة الهوف عراقاً، وتديناً، وأصالة.

ولعل في كثرة المدارس والحوزات والأربطة والحسينيات، دلالة كبيرة على الحضور الديني العلمي في الحاضرة، وسيتم عرض بعض مدارس الوعظ، والإرشاد، والعلم فيها، من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: المذهب الإمامي.

وهو أحد المذاهب الإسلامية البارزة في مدينة الهوف، وقد عرف طلاب العلم الشرعي في هذا المذهب بتواصلهم مع حواضر العلم والمعرفة الشيعية الواقعة خارج واحة الأحساء، حيثما كان مقرها الرئيسي على طول خط تاريخها، فقد كان لها سبق إلى تلك الحواضر للتملذة والتعليم على حد سواء، ومن تلك المدن التي قصدوها بغرض طلب العلم الشرعي على سبيل المثال: النجف وكربلاء في العراق، ومدينة قم، وشيراز، في إيران، غير أن بعض الطلاب يكتفون بالدراسة في الأحساء، تبعاً لعدة

متغيرات منها: ظروفه الخاصة، ووفرة المدرسين، ومن العوائل التي فتحت اذرعها لطلاب العلم وشيدوا مدارس وحوزات ما يلي:

أولاً: مدرسة آل خميس. تأسست قبل عام ١٢٠١هـ، على يد الشيخ إبراهيم بن محمد آل خميس الرويلي الفدغمي «توفي عام ١٢٠١هـ» الذي ينسب لعائلته محلة «الFDAغم» قرب محلة الشريفة من حي الرفعة الجنوبية وفيها مسجدهم وكذلك العين التي تنسب إليهم^(١). فهي تقع في محلة الفوارس من حي الرفعة الوسطى، وقد درس فيها العديد من العلماء في مقدمتهم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي.

ثانياً: حوزة بوخمسين. تأسست على يد الشيخ محمد بن حسين بوخمسين مرجع الإمامية في الأحساء والخليج في زمانه والمتوفى عام ١٣١٦هـ حيث قام الأخير بإدخال مدرسة آل خميس في مسجد الفوارس عند قيامه بتوسعته، وبذا اتسعت حدود المدرسة بعد أن اشتمل عليها المسجد، وفي عهده شارك بالتدريس في هذه الحوزة الشيخ أحمد بن الحاج أحمد بن مال الله الصفار، أحد أساتذة السيد هاشم الأحسائي مرجع التقليد ومؤسس الحوزة العلمية الإمامية في مدينة المبرز «توفي عام ١٣٠٩هـ»^(٢). وجاء من بعده الشيخ موسى بن عبد الله بوخمسين مرجع الإمامية في الهفوف والخليج في زمانه المتوفى عام ١٣٥٣هـ، ثم خلفه فيها الميرزا علي بن ميرزا موسى الحائري أحد مراجع الإمامية في الأحساء، والكويت، والبصرة، وسوق الشيوخ، وأذربيجان، ومشهد في زمانه و المتوفى عام ١٣٨٦هـ، وقد تخرج فيها خلال فترات نشاطها العديد من العلماء من أبرزهم ما يلي:

(١) - جواد بن حسين الرضمان، مطلع البدرين في تراجم علماء الأحساء والقطيف والبحرين، مصدر سابق، ج ١، ص ٧١.

(٢) - هاشم الشخص، أعلام هجر، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢٧.

تلامذة الشيخ محمد بن حسين بوخمسين:

- ١- الشيخ محمد بن علي البغلي.
- ٢- الشيخ جعفر بن حسين آل ناجم.
- ٣- الشيخ حسين بن علي الصالح الحدب.
- ٤- الشيخ حسين بن محمد الممتن.
- ٥- الشيخ سلطان العباد العلي.
- ٦- الشيخ سلمان بن محمد الشايب.
- ٧- الشيخ طاهر آل أبي خضر.
- ٨- الشيخ عبداللطيف الملا.
- ٩- الشيخ عبدالله بن علي الوايل.
- ١٠- الشيخ محمد بن علي الرمضان.
- ١١- الشيخ عمران بن حسن السليم آل علي الفضلي.
- ١٢- الشيخ محمد بن الشيخ حسين الصحاف.
- ١٣- الشيخ محمد بن حسين آل مبارك.

تلامذة الشيخ موسى بن الشيخ عبدالله بوخمسين: (١)

- ١- الشيخ إبراهيم بن عبدالمحسن بن حسين الخرس.
- ٢- الشيخ أحمد بن إبراهيم بن علي البوعلي.
- ٣- الشيخ أحمد بن علي بن علي الوايل.
- ٤- الشيخ أحمد بن محمد البغلي.
- ٥- الشيخ أحمد بن علي الموسى الرمضان.
- ٦- الشيخ أحمد بن صالح بن أحمد الطويل.
- ٧- السيد أحمد بن السيد هاشم بن السيد خليفة النحوي.

(١) موسى الهادي، أضاء على حياة الشيخ موسى بن الحاج الشيخ عبدالله آل أبي خمسين، مصدر سابق، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

- ٨- السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد أحمد آل السويج.
- ٩- الشيخ حسن بن أحمد بن محمد البغلي.
- ١٠- الشيخ حسن بن جاسم المتممي.
- ١١- الشيخ حسين بن إبراهيم الهلال.
- ١٢- الشيخ حسين بن خليفة بن حسين المسلم.
- ١٣- الشيخ حسين بن محمد العبد الوهاب العوض.
- ١٤- الشيخ حسين بن الشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن ناصر الصحاف.
- ١٥- الشيخ حسين بن عبدالله بن الشيخ عيسى الشواف.
- ١٦- الشيخ سلمان بن محمد العبد اللطيف الغريري.
- ١٧- السيد صالح بن السيد علي السويج.
- ١٨- الشيخ عبد الكريم بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد الممتن.
- ١٩- السيد عبد المحسن بن السيد علي بن السيد أحمد السويج.
- ٢٠- الشيخ عبد الوهاب بن سعود الغريري.
- ٢١- الشيخ عبدالله بن علي بن عبدالله الغريري.
- ٢٢- الشيخ عبدالله بن علي بن عبدالله الدويل.
- ٢٣- الشيخ عبدالله بن عبد الوهاب بن الشيخ عبدالله الوصيبي.
- ٢٤- الشيخ علي بن أحمد بن علي بن يوسف الشبيث.
- ٢٥- الشيخ عيسى بن عيسى الحصار.
- ٢٦- الشيخ كاظم بن الشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن الشيخ ناصر الصحاف.
- ٢٧- الشيخ كاظم بن محمد صالح المطر.
- ٢٨- الشيخ محمد بن علي آل سليمان البقشي.
- ٢٩- الشيخ ناصر بن الحاج محمد بن يوسف بوخضر.

٣٠- الملا ناصر بن نمر.

٣١- الشيخ ياسين بن علي بن عبدالله بن الشيخ علي بن الشيخ محمد الكبير
بوخمسين.

٣٢- الشيخ ياسين بن أحمد بن علي الياسين بوخمسين.

تلامذة الميرزا علي الحائري:

١- الشيخ محمد البقشي.

٢- الشيخ أحمد بوعلي.

٣- الشيخ كاظم الصحاف.

٤- الشيخ علي بن شبيث.

٥- الشيخ محمد بن سلمان الهاجري، قاضي محكمة الإمامية للأوقاف
والمواريث.

٦- الشيخ عبد الوهاب الغريري.

وقد درس فيها من كتب الفقه اللمعة الدمشقية، والرياض، ومن كتب العربية المطول
في البلاغة، وفي مجال العقائد العرشية، وشرح المشاعر في الفلسفة الإلهية^(١).

ثالثاً: مدرسة الشيخ إبراهيم الخرس«توفي عام ١٣٥٢هـ»: ومقرها في منزله في محلة
الرفاعة بحي الرفعة، وكان ضليعا في الحكمة والعربية وقد درس على يديه كلا من:

١- الشيخ محمد بن سلمان الهاجري «المقدمات في العربية»

٢- الشيخ أحمد بن حسن الوائل.

٣- السيد أحمد بن السيد هاشم النحوي.

٤- السيد صالح بن السيد علي السويج.

(١) - صالح باقر السليمي، مقدمة كتاب عقيدة الشيعة للميرزا علي الحائري، ص ٢٢.

٥- الملا عبد الله بن حسن بن إبراهيم.

٦- الشيخ محمد البقشي.

٧- الشيخ أحمد الطويل.

رابعاً: مدرسة الشيخ احمد بن إبراهيم بوعلي «توفي عام ١٣٩٥هـ»: ومقرها في منزله بحي الرفعة، وقد درس على يديه عدد من طلاب العلم منهم:

١- الشيخ محمد بن سلمان الهاجري.

٢- الشيخ علي بن يوسف بن شبيث.

٣- الشيخ حسين بن علي بن شبيث^(١).

خامساً: مدرسة الشيخ حسين بن عبد الله بن عيسى الشواف «توفي عام ١٤٠٣هـ»: ومقرها في بيت الشيخ عبد الله الدويل في حي الرفعة، وقد جعل من مقر درسه في بيت المذكور بعد وفاته لقرابة نسب بينهما، وكان يحضر عنده عدداً من الخطباء وطلاب العلم منهم:

١- السيد حسن الشخص.

٢- السيد عبد الله الصفوي.

سادساً: حوزة الشيخ محمد بن سلمان الهاجري «ولد ١٣٤٠هـ __ توفي ١٤٢٥هـ»: ومقرها في منزله بحي الفاضلية، حيث بدأ التدريس بها لما عاد من مدينة كربلاء بالعراق عام ١٣٨٨هـ. وقد ألقى الشيخ دروسه في جميع المستويات الدراسية، فعلى مستوى المقدمات درس كتاب «شرائع الإسلام للحلي» في مجال الفقه، أما على مستوى السطوح، ويراد بالسطوح: الدروس العليا المتقدمة، وفي هذا المستوى درس كتاب اللمعة الدمشقية للشهيد الأول والثاني، وكتاب المكاسب للشيخ الأنصاري وهذين

(١) - جواد بن حسين الرمضان، مطلع البدرين في تراجم علماء الأحساء والقطيف والبحرين، مصدر سابق، ص ٩٨.

الكتابين في مجال الفقه أيضا، أما في علم أصول الفقه فقد درس كتاب الكفاية للآخوند الخراساني، والرسائل للشيخ الأنصاري. كما ألقى بحثه الخارج في مجال الفقه، و يراد بالبحث الخارج، أن المدرس يلقي درسه خارج الكتب العلمية، مناقشا لنظريات ومسائل لدى علماء آخرين طارحا رأيه العلمي فيها، وتلميذه الحق في ابداء وجهة نظره تجاه رأي العالم بشرط أن يكون رأيه مدعما بالحجة والبرهان الشرعي والعقلي، وكلما ارتفع مستوى الدرس إلى هذا المستوى من التفاعل زادت المنفعة وتمرن ذهن الطالب على بناء وجهات نظره العلمية الخاصة به تمهيدا لمرحلة الاجتهاد، وذلك باستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، كما كانت تعقد بعض الحلقات في الغرف المجاورة لمجلسه درس فيها السيد هاشم الحسن النحو من كتاب قطر الندى وبل الصدى، وكذا الشيخ يوسف الشقاق شرائع الإسلام، هذا وقد تنقلت مدرسة الشيخ بتنقله في مساكنه، فكان في السابق درس في حي التعاون ومن ثم انتقل إلى حي الفيصلية عام ١٤٠٥هـ. وقد حضر دروسه لفيفا من رجال العلم والأدباء منهم:

- ١- الشيخ عبد الوهاب الغريري.
- ٢- السيد عبد الأمير بن السيد محسن السلطان.
- ٣- الشيخ حجي السلطان.
- ٤- الشيخ عبد الأمير بن علي الخرس.
- ٥- الشيخ أحمد بن عبد الوهاب الخرس.
- ٦- الشيخ حبيب بن ابراهيم الهدبي.
- ٧- الشيخ حسين الشرجي.
- ٨- الشيخ حسين بن عبد الهادي بن الشيخ موسى بوخمسين.
- ٩- الشيخ مسلم بن عبد الله الحرز.
- ١٠- الشيخ يوسف الشقاق.
- ١١- الشيخ محمد بن صادق الشهاب.

١٢- الشيخ حسين بن الشيخ علي بن شبيث.

١٣- والشيخ عقيل الشبعان.

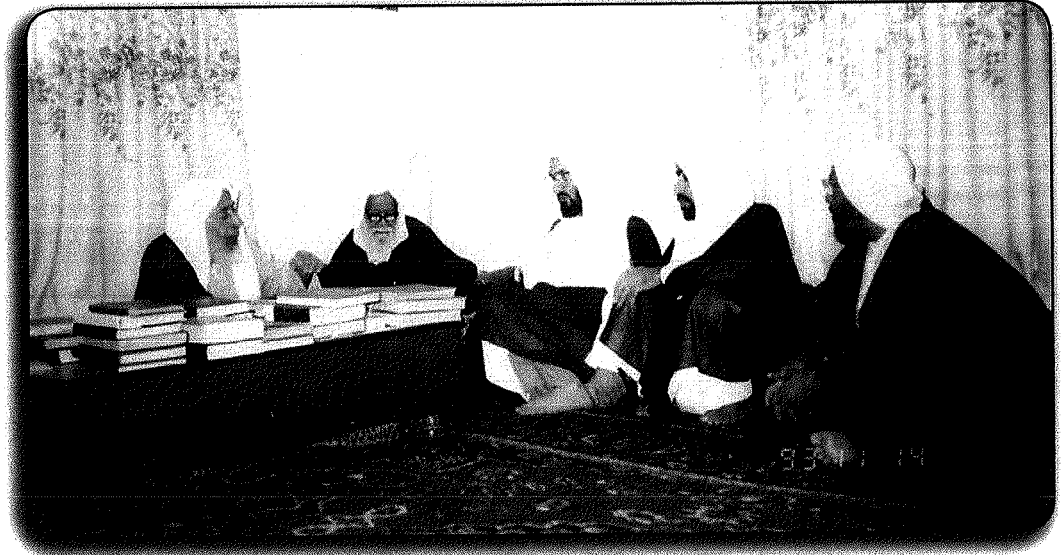
وفي الزمن الحاضر تواصل مدينة الهفوف حضورها العلمي تحت مظلة الشيخ محمد بن سلمان الهاجري باسم حوزة تحمل اسمه بعد وفاته، ويدرس فيها كلا من: الشيخ علي بن علي الدهنين، والشيخ علي الجزيري وكلاهما يقدمان الدروس العليا في البحث الخارج: فقها وأصولاً، كما يدرس فيها السيد عبد الأمير بن السيد محسن السلطان، والشيخ عبد الأمير بن علي الخرس، والشيخ محمد بن صادق الشهاب، والشيخ محمد المرهون، والشيخ حيدر السندي، والشيخ عبدالكريم الدهنية، والشيخ أمين الفردان، والشيخ عبدالله السعد، والشيخ عبدالمعطي الحدب، ويصل عدد طلابها ما يقارب من ٦٠ طالباً، ومستوى الدروس فيها: البحث الخارج، وبداية السطوح، والمقدمات^(١).

(١) - الشيخ حيدر السندي.



القاضي الشيخ محمد بن سلمان الهاجري و هو يشرح أحد متون الكتب الشرعية
في منزله بحي الفيصلية

(عدسة: الباحث)



الشيخ و هو يلقي محاضراته خارج متون الكتب الشرعية



الشيخ في مطالعته



تصوير © عبدالعزيز اليقيني

رباط آل الملا، بمحلة الرويضة، في حي الكوت، بمدينة الهفوف،
أحد أهم المعامل العلمية في الفقه وفق المذهب الحنفي
كما تدرس فيه بقية العلوم الشرعية تأسس في القرن الثالث عشر هجرية.

الفرع الثاني: المذهب الحنفي.

المذهب الحنفي من أبرز المذاهب الإسلامية في مدينة الهفوف، متمثلاً ذلك
في عدد المدارس الدينية، والأربطة العلمية المتخصصة، في تدريس الفقه الحنفي،
بالإضافة إلى بقية العلوم الإسلامية الأخرى كتفسير القرآن، والحديث، واللغة العربية،
و من العوائل العلمية لهذا المذهب بالأحساء عائلة الملا، الشهيرة بكثرة علمائها،
وفي طليعتهم الشيخ أبو بكر الملا الشهير بكثرة مؤلفاته ورسائله.

وللمذهب الحنفي عدة مدارس علمية يقصدها طلاب العلم من أنحاء الجزيرة
العربية وهي:

أولاً: مدرسة القبة. تأسست عام ١٠١٩هـ، على يد علي باشا، وعين الشيخ محمد
بن الملا على الواعظ الحنفي مدرسا فيها كما أوقف عليه وعلى ذريته أوقافها وكان

ذلك في أوائل شهر شعبان، كما أوقف على تلك المدرسة أملاكه الزراعية التالية: شطيب الدرب، وصباح ناشرة، والعميرة، وشطيبات أم شعيب، والجبيلة، والبدع، وضاحية أبوفهد، وضريخم، وصريمة، وأبوريشه، وصبيخة الناظلة، والحريث الكائن موقعها جميعا بطرف قرية القارة، وكذلك مجموع العقار الزراعية المسمى بالخشيبية الكائن بطرف الراغب، والعقار الزراعي المسمى بالذوادية، والعبيلة الكائنين بطرف الجبرين، وكان يدرس في المدرسة المذكورة: الهداية، والكنز، والمجمع، والنحو، والمعاني، والبيان في مجال اللغة العربية، و التوحيد المعروف بعلم العقائد^(١). واستمرت المدرسة تؤدي رسالتها مدة أربعة قرون، وكان آخر علمائها الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن الملا المتوفى ١٣٣٩هـ وفي عهد ابنه الشيخ احمد بن الشيخ عبد اللطيف الملا المتوفى في ١٤٠٢/٧/١هـ تحولت المدرسة إلى مدرسة حديث ووعظ فقطل^(٢).

(١) - الدكتور عبد الله السبيعي، القضاء والأوقاف في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ - ١٣٣١هـ: دراسة وثائقية "الرياض: مطابع الجمعة، ١٤٢٠هـ" الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ص ٢١٥.

(٢) - الأستاذ عبد اللطيف بن عثمان الملا، لمحات من الحياة التعليمية في الأحساء من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر الهجري، بيانات النشر "بدون"، ص ٢٤-٢٥.



صورة: عبدالعزيم الفقي

مدرسة القبة بحي الكوت في مدينة الهفوف، تأسست عام ١٠١٩هـ، على يد علي باشا، وهي أسبق المدارس الدينية حضوراً وفق المذهب الحنفي.

ثانياً: مدرسة الشلهوبية. تأسست عام ١١٨٣هـ، وتقع في محلة الرويضة في وسط حي الكوت، وقد أوقفها الشيخ أبو بكر بن أحمد الملا عبد الله على تدريس الفقه وما تيسر من العلوم الشرعية^(١). وجاءت تسميتها بالشلهوبية، نسبة لأول مدرس قام بالتدريس فيها الشيخ أحمد بن محمد بن شلهوب^(٢).

ثالثاً: الرباط. تم تأسيسه في القرن الثالث عشر هجرية، ويقع في محلة الرويضة بحي الكوت، وهو من أكبر المدارس العلمية في الأحساء، ويعود تأسيسه إلى كثرة طلاب العلم الوافدين للدراسة في مدينة الهفوف من نجد، واليمن، وقطر، والبحرين، والكويت، حيث كان لا بد من مركزاً علمياً يوفر لهم مكاناً للدرس، و مأوى للسكن فتم تأسيس هذا الرباط من قبل الشيخ عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمر الملا

(١) - الأستاذ عبد اللطيف بن عثمان الملا، لمحات من الحياة التعليمية في الأحساء من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر الهجري، المصدر السابق، ص٢٦.

(٢) - الدكتور عبد الله السبيعي، القضاء والأوقاف في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ - ١٣٣١هـ: دراسة وثائقية، مصدر سابق، ص١٩٨.

«توفي ١٣٠٩هـ» وبدعم مالي من كل من الحاج عبد الله، والحاج سليمان بن حمد بن عيسى، وقد تولى شان الرباط من بعده ابنه الشيخ محمد «توفي ١٣٩٥هـ» المتخرج من المدرسة الصولتية بمكة المكرمة، وقد تخرج من هذا الرباط العديد من المشايخ ورجال العلم التالي ذكرهم:

١- الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري مدير الشؤون الدينية بدولة قطر.

٢- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الملا «صاحب مكتبة التعاون الثقافية بالهفوف» وذلك قبل سفره للدراسة بالجامعة الإسلامية بالهند.

٣- الشيخ أحمد بن حجر «قاضي بدولة قطر».

٤- الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ أحمد بن مهزغ من البحرين.

٥- الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن مهزغ من البحرين.

٦- الشيخ قاسم بن عيسى بن نصر الله «موظف في محكمة الكويت».

٧- الشيخ عبد الله بوشبيب.

٨- الشيخ عبد العزيز بن مصطفى.

٩- الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجعفري.

١٠- الشيخ عبد الله الهاشم.

١١- الشيخ علي بن إبراهيم الخوفي.

١٢- الشيخ عبد اللطيف النعيم^(١).

(١) - عبد اللطيف بن عثمان الملا، لمحات من الحياة التعليمية في الأحساء من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر الهجري، مصدر سابق، ص ٣٧-٣٩.

رابعاً: المدرسة العمرية. تقع في الفريق الجنوبي من حي الكوت.

خامساً: المدرسة الجديدة. تأسست عام ١٢٩٢هـ، وتقع في محلة الرويضة بسكة آل الشيخ أبي بكر وقد تأسست عام ١٢٩٢هـ، مع مسجد الجديدة، وقد أوقفها الحاج علي بن دهنيم العماني وآخر من درس في هاتين المدرستين الشيخ محمد بن أبي بكر الملا «توفي ١٣٩٥هـ».

وقد تخرج من حلقات علمهم العديد من العلماء والأدباء يذكر على سبيل المثال تلامذة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن الملا المتوفى ١٣٣٩هـ، حيث يعد من أبرز من كان من أهل الأحساء ما يلي:

١- الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك المتوفى سنة ١٣٦٠هـ.

٢- الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي المتوفى سنة ١٣٦٢هـ.

٣- الشيخ عبد العزيز بن عمر العكاس المتوفى سنة ١٣٨٢هـ.

٤- الشيخ عبد الله بن محمد العرفج.

٥- الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف العمير.

٦- الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الخطيب.

٧- الشيخ أحمد بن محمد العلي العرفج.

٨- الشيخ أحمد بن محمد آل الشيخ مبارك المتوفى سنة ١٣٣٤هـ.

٩- الشيخ عبد الله بن أحمد آل عتيق.

١٠- الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم الجفيمان وأخويه الشيخ محمد والشيخ أحمد.

١١- الشيخ عبد اللطيف بن محمد آل حسين وابنه عبد الله.

١٢- الشيخ أحمد بن عبد العزيز العويصي.

١٣- الشيخ محمد بن عبد الرحمن الملا.

١٤- الشيخ محمد بن عبد اللطيف الملا المتوفى سنة ١٣٦٠هـ.

١٥- الشيخ ابوبكر بن عبد الله الملا المتوفى سنة ١٣٦٦هـ.

١٦- الشيخ عبد اللطيف بن محمد الجعفري المتوفى سنة ١٣٤٤هـ.

أما العلماء الذين تتلمذوا على يده من خارج الأحساء فمنهم مايلي:

١- الشيخ يوسف بن عيسى القناعي المتوفى سنة ١٣٩٣هـ. أحد أدباء الكويت، أول

مدير لمدرسة المباركية التي افتتحت عام ١٩١١هـ.

٢- الشيخ أحمد بن محمد الفارسي المتوفى سنة ١٣٥٢هـ، من بلاد فارس.

٣- الملا أحمد بن محمد القطان المتوفى سنة ١٣٢٧هـ من أهالي الكويت.

٤- الشيخ عبد الله الخلف أحد علماء الكويت المتوفى سنة ١٣٤٧هـ.

٥- الشيخ نوري ثابت رشيد المتوفى في بغداد سنة ١٣٥٤هـ، وكان يصدر صحيفة

في بغداد.

٦- الشيخ سالم بن عبد الله بن عبد المنذري قاضي عمان والمتوفى سنة

١٣٥٢هـ.

٧- الشيخ عبد اللطيف بن محمد المحمود القاضي بالمحكمة الشرعية بالبحرين

المتوفى سنة ١٣٨٥هـ.

٨- الشيخ عبد الرحمن المهزغ قاضي التمييز في البحرين سابقا عام ١٣١٤هـ.

٩- الشيخ محمد أمين الشنقيطي «مدير مدرسة النجاة بالزبير» المتوفى سنة ١٣٥٠هـ.^(١)

الفرع الثالث: المالكية.

وهو من المذاهب الإسلامية البارزة في مدينة الهفوف، وله العديد من المدارس الدينية التي تدرس فيها العلوم الإسلامية كتفسير القرآن، والحديث، واللغة العربية، والفقه على المذهب المالكي، وقد اشتهرت عائلة المبارك بكثرة علمائها المتخصصين في الفقه المالكي علما وتدريسا ووعظا وارشادا، ومدارسهم كما يلي:

أولا: مدرسة الشهارنة. تأسست عام ١٢٠٠هـ وهي أولى مدارس أسرة المبارك، والثالثة من حيث عراققتها في تاريخ تأسيس المدارس الدينية بالهفوف للمذاهب السنية، حيث الأولى مدرسة القبة لآل الملا عام ١٠١٩هـ، والثانية الشلهوبية ١١٨٣هـ.

أفاد الأستاذ عبداللطيف بن عثمان الملا في كتابه لمحات من الحياة التعليمية في الأحساء أن مدرسة الشهارنة تقع في محلة الشهارنة بحي الرفعة الوسطى، وقد أوقفها الحاج محمد بن خليفة الحملي عمدة الرفعة آنذاك، وذلك على جد أسرة آل مبارك الشيخ مبارك بن علي بن محمد بن قاسم بن حمد بن سلطان «توفي ١٢٣٠هـ» المنتهي نسبهم إلى بن تميم، وكان ينفق عليها من وقف مزروع بطرف الشقيق تدعى «العطشانة» وأخرى تدعى «المشرفية». وكان يدرس فيها تفسير القرآن، والحديث، والفقه، على المذهب المالكي واللغة العربية، وقد تولى النظارة والتدريس من بعده ابنه الشيخ عبد اللطيف بن مبارك «توفي ١٢٨٥هـ» كما اتخذ من هذه المدرسة مقرا للقضاء

(١) - معاذ بن عبدالله المبارك، شخصيات رائدة من بلادي، "الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ" الطبعة الأولى، ص ٩.

بين الناس بجانب التدريس. هذا وقد تولى النظارة من بعده أخوه الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف «توفي ١٣٥١هـ» ثم من بعده ابنائه منهم إبراهيم وآخرين من بني عمومتهم كالشيخ عبد العزيز بن حمد المبارك، والشيخ علي بن عبد الرحمن المبارك.

ثانيا: مدرسة النعائل. تعتبر من حيث عراققتها التاريخية ثاني مدرسة لآل المبارك بعد مدرسة الشهارنة، وآخر من درس فيها الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف المبارك إمام جامع فيصل.

ثالثا: مدرسة الشريفة. تأسست هذه المدرسة عام ١٣٠٥هـ في محلة الشريفة بحي الرفعة وقد أوقفها كلا من الحاج عبد الله بن سليمان بن دهنيم العماني «موقف المدرسة الجديدة لآل الملا» والحاج راشد بن محمد القاسمي، وذلك على يد الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف المبارك، وقد توالى على خدمتها والتدريس فيها آل المبارك، وممن توالى نظارتها الشيخ محمد بن إبراهيم المبارك «المتوفى عام ١٤٠٤هـ» غير أنها تعرضت فيما بعد إلى نزاع ملكيتها لصالح مواقف سيارات، ومرافق سوق السوق، ونقلت وقفيتها، إلى حي التليثية غرب شارع جامعة الملك فيصل.

رابعا: مدرسة الصالحية. تأسست عام ١٣٢٨هـ بحي الصالحية، وقد أوقفها الشيخ ناصر بن لوتاه أحد أثرياء مدينة دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، كما أوقف عليها نخلا يدعى «الريحانية» بطرف الشراع بالأحساء، وكان أول ناظر عليها الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف المبارك، ثم من بعده جملة من مشايخ آل مبارك كالشيخ أحمد بن إبراهيم المبارك، ثم الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد المبارك، غير أن محصول الوقف المجمعول للإنفاق على نشاط المدرسة قد انقطع وعليه تحولت لمدرسة كتاب يدرس فيها القرآن الكريم والخط والإملاء^(١).

(١) - عبد اللطيف بن عثمان الملا، لمحات من الحياة التعليمية في الأحساء من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر الهجري، مصدر سابق، ص ٥٤-٥٥.

وممن تخرج في مدارس آل مبارك على سبيل المثال، تلامذة الشيخ محمد بن إبراهيم آل مبارك منهم مايلي:

١- الشيخ عبد اللطيف بن محمد النعيم إمام مسجد البقشة، توفي سنة ١٤١٨هـ.

٢- الأديب الشيخ عبد الله بن فهد بوشبيب المتوفى سنة ١٤٠٦هـ.

٣- الشيخ عبد الله بن محمد الرومي إمام مسجد الحبيشية.

٤- الشيخ الدكتور عبد الحميد بن مبارك المبارك، أستاذ مساعد بجامعة الملك فيصل.

٥- الشيخ الدكتور السيد عبد الرحيم بن السيد إبراهيم الهاشم استاذ مساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

أما من خارج الأحساء فمنهم:

١- الشيخ عثمان بن عبد الغفور الزباني من أهالي البحرين.

٢- الشيخ عبد الله فضالة أحد قضاة البحرين. توفي سنة ١٤٠١هـ^(١).

ومن علماء الأحساء الذين دفعوا بالحركة العلمية في مجال الفقه المالكي آل علجي منهم الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي، وكان تدرسه في مسجده الكائن بحزم الرفعة، وقد تخرج على يده العديد من العلماء منهم:

١- الشيخ عبد الله بن عبد العزيز المبارك مميّز القضاء الشرعي بدولة الكويت.

٢- الشيخ أحمد بن عبد العزيز آل مبارك رئيس القضاء الشرعي بدولة الإمارات.

(١) - معاذ بن عبد الله المبارك، شخصيات رائدة من بلادي، مصدر سابق، ص ٧٩.

٣- الشيخ محمد بن سلمان الجراح أحد أبرز علماء دولة الكويت توفي سنة ١٤١٧هـ.

٤- الشيخ أحمد بن عبد الله الدوغان العالم الفرضي المعروف «معاصر».

٥- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الملا، صاحب مكتبة التعاون الثقافية بالأحساء.

٦- الدكتور عبد الله بن علي المبارك^(١).

الفرع الرابع: الشافعية.

من المذاهب الإسلامية البارزة في محافظة الأحساء، ولها عدة مدارس دينية في مدينة الهفوف، ساهمت في دفع الحركة العلمية آنذاك، وذلك بتدريس العلوم الشرعية، كالتفسير، والحديث، والفقه على المذهب الشافعي، واللغة العربية، وكان لأسرة العبد اللطيف، والنعيم، والدوغان، والعبد القادر، وآل عمير، والعرفج، والعدساني، والعثمان، الريادة في هذا المجال، وذلك عبر عدة مدارس، ومساجد. فعلى سبيل المثال منها مايلي:

أولاً: مدرسة آل العبد اللطيف. تأسست عام ١٢٦٢هـ، حيث أوقفها الحاج عبد الرحمن بن راشد على يد مبارك بن خليفة الفاضل، على أن يختار لها ناظراً من رجال العلم فاختر لها الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله العبد اللطيف الملقب «بنور البيت»، وهو من أسرة علمية عريقة في المذهب الشافعي كما يشير إلى ذلك لقب جده الشيخ عبد الله بـ «الشافعي الصغير»^(٢)، أستاذ إمام الدعوة الشيخ

(١) - معاذ بن عبد الله المبارك، شخصيات رائدة من بلادي، مصدر سابق، ص ٢٤.

(٢) - عبد اللطيف بن عثمان الملا، لمحات من الحياة التعليمية في الأحساء من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر الهجري، مصدر سابق، ص ٤١.

محمد بن عبد الوهاب حين قدم الأحساء في صدر القرن الثاني عشر^(١)، والمدرسة تقع في حي الكوت على ناحية شارع الكوت العام والفتح.

ثانياً: مدارس آل عمير. وقد تحدث عنها من تعرض للمدارس العلمية في الأحساء بأن لها مدرستين أحدهما في حي النعائل وأخرى في السويج للشيخ عبد الله العمير.

ثالثاً: مدرسة آل النعيم. وتقع في حي النعائل، وقد درس فيها الشيخ عبد العزيز بن صالح النعيم ثم الشيخ محمد بن صالح النعيم^(٢).

رابعاً: مدرسة آل العثمان. وهي تقع في براحة الكوت وقد تخرج منها العديد من العلماء من أبرزهم الشيخ أحمد بن محمد العلي آل عرفج^(٣).

أما عائلة العرفج فقد تخرج فيها العديد من علماء المذهب الشافعي منهم الشيخ محمد بن حسين العرفج، حيث جلس للتدريس في مسجد المرابدة بالكوت، وممن درس على يديه من مشايخ الأحساء كلا من:

- ١- الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف العمير المتوفى سنة ١٣٧٧هـ.
- ٢- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الدوغان، المتوفى سنة ١٣٨٠هـ.
- ٤- الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن عثمان المتوفى سنة ١٣٨٦هـ.
- ٥- الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد بن عثمان المتوفى سنة ١٤٠٩هـ.
- ٦- الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة ١٣٩٧هـ.

(١) - محمد بن عبد الله العبدالقادر، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، " الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٢) - عبد اللطيف بن عثمان الملا، لمحات من الحياة التعليمية في الأحساء من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر الهجري، مصدر سابق، ص ٥٩.

(٣) - معاذ بن عبد الله المبارك، شخصيات رائدة من بلاد، مصدر سابق، ص ٢٠.

- ٧- الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن أحمد بن عثمان، المتوفى سنة ١٣٧٢هـ.
 - ٨- الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الدوغان المتوفى سن ١٤٠٩هـ.
 - ٩- الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد اللطيف الجعفري.
 - ١٠- الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الخطيب.
 - ١١- الشيخ محمد بن أحمد آل عبد اللطيف.
 - ١٢- الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن المصطفى المتوفى سنة ١٣٩٧هـ.
 - ١٣- الشيخ عبد العزيز بن حمد العبيد الله المتوفى سنة ١٤٠٥هـ.
 - ١٤- الشيخ عبد اللطيف بن عبد الله العبد اللطيف.
 - ١٥- الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش قاضي الأحساء المتوفى سنة ١٤٠٩هـ في مكة المكرمة.
 - ١٦- الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن أحمد العمير، توفي سنة ١٤١٦هـ.
 - ١٧- الشيخ أحمد بن عبد الله الدوغان، «معاصر».
 - ١٨- الشيخ محمد بن عبد الرحمن الخطيب قاضي محكمة الجفر بالهفوف، «معاصر»
 - ١٩- الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله العبد اللطيف، «معاصر»
- أما من خارج الأحساء فهناك العديد من المشايخ منهم:
- ١- الشيخ عبد الرحمن بن حسين التركيت توفي سنة ١٣٩٦هـ كان قاضي مدينة الأحمدية في وطنه الكويت.
 - ٢- الشيخ عبد الله بن احمد الكجوئي أحد علماء البحرين توفي سنة ١٣٨٨هـ.

٣- الشيخ محمد بن أحمد الخلف من أهالي الكويت وعمل مفتيا بمدينة الفاو العراقية كما تولى الخطابة في مسجد العوضي بالكويت، وتوفي سنة ١٤٠٧هـ.

٤- الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن زهيران تولى الإمام والخطابة في أحد مساجد مدينة الجبيل وتوفي سنة ١٣٥٨هـ.

٥- الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي قاضي في دولة قطر سابقا^(١).

٦- الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله العبد اللطيف..«معاصر»

الفرع الخامس: المذهب الحنبلي.

وهو أحد المذاهب الإسلامية البارزة في محافظة الأحساء، وقد برز قديما منهم الشيخ أحمد بن حسين بن رشيد بن عفالق الحنبلي «توفي عام ١٢٥٧هـ^(٢)» وهو من أساتذة مدارس آل عفالق بمحلة القديمات بحي العيوني بالمبرز، ومنهم أيضا الشيخ محمد بن عبد الرحمن العفالق الحنبلي المتوفى سنة ١١٦٤هـ وكان ضليعا في الفقه الحنبلي وعلم الفلك^(٣) ويعد المذهب الحنبلي حاليا الأوسع انتشارا في مراكزه العلمية متمثلا في المدارس النظامية بكل مراحلها، حيث المواد الدينية تمثل شطرا كبيرا من مقدار الدروس التي يتلقاها الطلاب والطالبات في صفوفهم الدراسية وجميعها تدرس وفق المذهب الحنبلي، سواء منها الابتدائية والمتوسطة والثانوية، أما في مرحلة التخصص الديني فهناك المعهد العلمي، وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فهي تخرج المختصين في العلوم الشرعية، والفقه منها على المذهب الحنبلي.

(١) - معاذ بن عبد الله المبارك، شخصيات رائدة من بلاد، مصدر سابق، ص ٤١.

(٢) - عبد اللطيف بن عثمان الملا، لمحات من الحياة التعليمية في الأحساء من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر الهجري، مصدر سابق، ص ٦٢.

(٣) - جواد بن حسين الرمضان، مطلع البدرين في تراجم علماء الأحساء والقطيف والبحرين، مصدر سابق، ص ١١٨.

المبحث الثالث

المدارس النظامية في حاضرة الهفوف

إن دخول التعليم النظامي في حاضرة الهفوف، ظاهرة طبيعية في مسارها العلمي، لانفتاحها الاجتماعي، و للقابلية والاستعداد الذهني لأبنائها، وقد شهدت الحاضرة أول بوادر التعليم النظامي في العهد العثماني، حيث أسسوا مدرسة عرفت بالمدرسة الرشدية عام ١٣١٩هـ، وكان مقرها في وسط حي الكوت، وقد جهزت من حيث الموقع، والساحة المحيطة بها، والمواد المدرسة فيها، بشكل يؤهلها لأن تأخذ حظها من التطوير، والنمو يتناسب مع حاجة الحاضرة لها، غير أنها لم تحظى بعناية الأهالي لدوافع بغیضة، أدركها الأهالي في أسلوبها التعليمي حيث فرض التعليم فيها باللغة التركية، وهذا أدى إلى عزوف الأهالي عنها خشية من تترك أبنائهم، ولما دخل الملك عبد العزيز الأحساء سنة ١٣٣١هـ أقفلت المدرسة أبوابها.

وفي عام ١٣٤٣هـ بادر الشيخ حمد بن محمد النعيم إلى تأسيس مدرسة نظامية عرفت بمدرسة النجاح وكان مقرها في حي النعائل، وكان غرضه منها تعليم أبناء أسرته وجيرانه، غير أن شدة الإقبال عليها حملته على التماس المساعدة على تطويرها لتعم فائدتها على أبناء مجتمعه، فبادر الشيخ عبد الله بن إبراهيم القصيبي إلى التبرع بمنزله لصالح المدرسة في حي القرن، ومتكفلاً بجميع مستلزمات الدراسة، إلا أن هذه النواة التعليمية الجادة لم يكتب لها النمو والتكامل بسبب وفاة مؤسسها عام ١٣٥١هـ.

وفي عام ١٣٥٦هـ تم افتتاح أول مدرسة حكومية نظامية عرفت بالمدرسة الأميرية وكان مقرها في مبنى الحميدية بجوار القيصرية في سوق الهفوف وكان قوامها من التلاميذ ٤٠ طالباً في بداية الافتتاح، ولم يزل العدد في التنامي حتى بلغ ١٦٠ طالباً، غير أن مبنى المدرسة تم إخلائه في شهر شوال من عام ١٣٥٨هـ ليتحول إلى مركز شرطة، وعليه دخلت المدرسة في أزمة البحث عن مقر لها، فما كان من الشيخ محمد

بن حمد النعيم إلا أن أدخل منزله، وتبرع به لصالح المدرسة، واستأجره له منزلاً آخر، وفي خضم هذه الولادة المتعسرة للمدرسة الأولى بالهفوف، تولد حماس جاد للأهالي للتعليم النظامي، تمخض عن مساهمة البلدية بشراء بستان الشعبي، وخصصت منه مساحة للمدرسة نظير أربع مائة ريال، وتسابق الأهالي بتقديم التبرعات العينية والنقدية لتأسيسها، وعلى سبيل المثال تبرع الشيخ إبراهيم السبيعي بالأخشاب وآخرون بمبالغ نقدية بلغت ثلاثة آلاف ومائتين ريال، وهكذا تحقق حلم الأهالي بالمدرسة في حاضرتهم وسميت بعد ذلك بمدرسة الهفوف الأولى.

ومن الجدير بالذكر أن مدرسة الهفوف الأولى توقفت الدراسة فيها بشكل نهائي لقدم مبانيها وتصدعها، وذلك في أواخر القرن الرابع عشر الهجري، غير أنها حظيت برعاية خاصة من هيئة الآثار والسياحة، فأعيد ترميمها بإشراف المهندس عبد الله الشايب.

ونظراً لرواج التعليم النظامي في مدينة الهفوف، وإقبال سكان المدينة عليه، صارت الأمية نقصاً يستشعره الكثيرون، إلا أنه في الوقت ذاته هناك فئة لم تستطع أن تسلم زمام الأمر وترسل أبنائها إلى تلك المدارس؛ لكون الابن يمثل بالنسبة لأصحاب الحرف رأس مال بشري من الصعب التفريط فيه، مضافاً إلى أنه يرى بأن المدرسة ستضيف عليه عبئاً مالياً كبيراً جراء إرساله إلى المدرسة؛ من مصاريف للدفاتر، والأقلام، والعديد من الأدوات القرطاسية الأخرى، لذا أثر البعض بقاء ابنه معه في الفلاحة، والنجارة، والحدادة، وورش إصلاح السيارات وغيرها من الحرف عن أن يرسله للتعليم، بل كانت ثقافة البعض من أولئك أن المدرسة لا تخرج رجال، بل عائلة على عائلته، وينظر له على أنه حالة شاذة غير جديرة بالاحترام، ومما يعلق في ذاكرة الباحث عن واحد عاش في تلك البيئة، من أهالي الرفعة الوسطى بجوار "الرقيات" كان يدرس معه في المرحلة الثانوية، كما كان متفوق دراسياً بشكل ملحوظ، خصوصاً في المسائل الرياضية، والمواد العلمية: كالفيزياء، والكيمياء، وعند سؤاله إياه، مقابل إعجابه بمستواه الدراسي، فجاه

بأنه لا يوجد له وقت للمذاكرة غير على العربة "القاري" التي يجرها الحمار، في ذهابه إلى حيازة والده الزراعية عصرا بعد تناول وجبة الغداء، وفي العودة قبل الغروب أيضا على "القاري"، أما إذا خيم الليل عليه في الحيازة الزراعية فاتته فرصة المطالعة على القاري، وليس له فرصة إلا في الليل، هذا إذا جاء غير منهك من عمله المسائي، في مثل هذه البيئة عاش أفراد نابهون يرغبون في التعليم لكن ظروف معيشة آبائهم، و عوامل ثقافية عدة حالت دون رغبتهم الدراسية، ولكن هناك في المقابل بين ظهرانيهم من يستطيع الجمع بين العمل الصباحي والدراسة بهدف محو الأمية، وومن تلمس هذه الرغبة، والحاجة عند البعض في سكان الرفعة الوسطى من جهة "الجحافة"، و "الرقيات"، ثلاثة أخوة من عائلة القضيبي، وهم منصور القضيبي، ومحمد (توفي عام ١٤٠٨هـ)، وحسين (توفي عام ١٤١٥هـ) حيث بدأوا مشروع التدريس لهذه الفئة عام ١٣٨٠هـ وكان أغلب الطلاب من الفلاحين، واستمرت مدرستهم لمدة ثلاث سنوات، بلغ عدد الطلاب فيها ثلاثين طالبا في بعض الأحيان، حيث لا يوجد التزام بالحضور، وكانوا يدرسون فيها القرآن، والمطالعة، والحساب، بحسب مسميات الدروس آنذاك، و المناهج الدراسية لديهم هي نفس مناهج الدراسة في المدارس النظامية، وقد عانت هذه المحاولة في الوسط الفلاحي، الكثير الكثير، حيث دفع أجرة الدراسة فيها كانت صعبة، على الرغم من أنها لم تتجاوز الخمسة ريالات شهريا، وكان في المقابل على الأخوة الثلاثة دفع أجور للمكان، وتوفير قلال الماء "مصاخن"، و كيروسين كوقود للإنارة التقليدية عبر "الأتاريك"، وعليه تسبب هذا الوضع في انتقال مقر الدراسة خلال تلك الثلاث سنوات إلى ما يقارب من أربع أماكن، كان بدايتها في سكة النجاجير الواقعة جهة الجنوب الغربي من مسجد الرقيات، ثم في مكان وراء مسجد الرقيات من جهة الشرق، وأخيرا اضطروا للاستعانة بدعم الأهالي، عندها تقدم لهم أحد عائلة بوحليقة بمنزل له في الرفعة الوسطى من جهة شارع الفوارس، وقريب من مسجد الرقيات، ثم تحولت المدرسة إلى حسينية الجبران، وهي تقع في شمال شارع الفوارس وقريبة من "الرقيات"، لكل من طاهر وأخوه عبد الله الجبران، وكانت في بداية أمرها

عبارة عن بناء يدعى بـ "المربعة" نظرا لتساوي أضلاعها كمكان سكني، وهو من اللهجة الأحسائية الدارجة، وخلال تواجد هذه المدرسة انخفضت تكاليف التدريس ليس فقط من ناحية أجرة المكان بل وحتى مصاخن الماء وعددها أربع، وأتريك الإنارة، حيث كان يؤتى به من قبل البوحليقة، والجبران في المكانين المذكورين على الترتيب، وممن درس فيها آنذاك كلا من:

يونس الحسن، ومحمد عبدالله البوسعيد، وطاهر جعفر الحسن، ومحمد علي الغواص، وطاهر محمد الراشد، ويوسف أحمد الحسين، والسيد علي المسلم، ويوسف محمد العلي، وسالم علي المرهون، وحسين موسى العشوان .

إلا أن هذه التجربة التعليمية لم تصمد كثيرا، وأغلقت المدرسة أبوابها في عام ١٣٨٢هـ، ربما أيضا لظروف دفع أجرة الدراسة فيها، حيث كان البعض يماطل في الدفع، ولكن هناك من له الرغبة في الدراسة، بينما لا يوجد من يسد ذلك الفراغ، غير أن البعض وجد في حسن بن أحمد بن صالح بن محمد القاضي المولود عام ١٣٥٦هـ ضالته، لما يتمتع به من ذكاء، وفطنة، وأريحية، وذاتقة أدبية، حيث هو ممن يقرض الشعر الشعبي، وقد اطلع الباحث على بعض من شعره، كما أنه معروف في الأوساط الشعبية، ويستضاف في مناسبات الزواج؛ للمشاركة في إشاعة جو من البهجة، من خلال قراءة بعضا من شعره، وأشعار تناسب مناسبات الأفراح تدعى بـ "الجلوات"، ولكونه أيضا ممن عاصر تجربة مدرسة "القضيب"، حيث هو من سكان الرفعة الوسطى، وبعد إلحاح عليه استجاب لهم، فهو ليس متفرغا لمثل هذا الدور، بل كان يعمل في النهار في استخراج حصى الكنكري، لأعمال البناء، على طريق الرياض، شمال حي "محاسن" بالقرب من الحرس الوطني في منطقة يقال لها "ضلع عنبر" وقد أمضى في هذه المهنة وقتا طويلا، يعمل لديه ما يقارب من خمسين عاملا، وصلوا خلال عملهم وحفرهم في تلك الأرض إلى هجرة "الجويه" بالقرب من مدينة ابيق، أي ما يقارب من ٨٠كم، عملوا على استخراج الحصى عبر الصخين، والزيبيل، و غرايبيل، لفصل

التراب عن الحصى، ولم يتوقفوا عن إنتاجهم إلا بعد مشاريع الكسارات التي بدأتها مؤسسة ياسين الغدير المتوفي عام ١٩٩٩م، فهو لم يكن متفرغا لهذا العمل، ولكن حسه التعليمي، ورغبته في نشر المعرفة، ولتأهيله لمحو الأمية في بيئته، حيث أنهى شهادة الابتدائية من مدرسة الإمام علي بن أبي طالب المسماة بـ "الخباز"، وتدعى بذلك لقربها من بوابة الخباز عند السور القديم الذي يلف مدينة الهفوف سابقا، وعليه أقدم على هذا المشروع في عام ١٣٨٣هـ، يعمل في النهار في جمع حصى الكنكري، وفي الليل مدرسا، ودرس عليه ما يقارب من أربعين طالبا، منهم حسين بن موسى العشوان وهو مكانيكي سيارات، ومن الفلاحين: أحمد سلمان الشبيب، ويوسف بن محمد المنحاش، وعلي بن يوسف محمد العلي، وحسن بن ناصر الخويصة، ومحمد بن أحمد السليم، وحسين بن جعفر البلادي، وجميعهم من الرقيات، ومن المساكن المحيطة بها في كل من محلة "القصير"، و"اللوحة"، و"الجحافة"، و"النجاجير" المسماة بـ "الجبل"، و"الحوش"، وجميعها تقع في الرفعة الوسطى، وكان مقر الدراسة في الرفعة الوسطى أيضا، إلى الشمال من الحسينية العباسية، بالقرب من الصفارين، وقد استأجر المنزل من علي البصري في محلة "الجحافة"، وهو يتكون من غرفتين فقط، وكانت أوقات دوام المدرسة في الشتاء تبدأ من الساعة السابعة إلى الثامنة والنصف أو التاسعة مساء، وفي الصيف من الثامنة إلى العاشرة مساء، كما كان هذا التوقيت هو المتبع في مدرسة القضيب^(١). هذا وقد تتابعت بعدها بناء المدارس وانتشر التعليم، وتعددت مراحلها مع مرور الزمن، وانتهى الحال بقيام العديد من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وافتتحت جامعة الملك فيصل، وكليات إعداد المعلمين وكلية للشريعة والدراسات الإسلامية، كفرع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكلية تقنية، ومعهد عالي تقني للبنات ومعاهد فنية، وعدد من المعاهد، والمراكز العلمية، هذا وقد أسهم القطاع الخاص في المرحلة الراهنة بالعديد من المشروعات العلمية لعل من أبرزها فرع للجامعة العربية المفتوحة، وأكاديميات ومعاهد لتدريس اللغة

(١) من مقابلة مع حسن بن أحمد بن صالح القاضي.

الإنجليزية والحاسب الآلي، وإدارة المكاتب.



مدرسة الهفوف الأولى، تم الانتقال إليها بعد إغلاق المدرسة الأميرية المؤسسة عام ١٣٥٦هـ بجوار مبنى الحميدية، وتحويلها إلى مركز شرطة عام ١٣٥٨هـ وقد أسهم الأهالي في تأسيس هذه المدرسة الظاهرة في الصورة الملتقطة عام ١٣٦٩هـ



أحد الفصول الدراسية لمدرسة الهفوف الأولى في عام ١٣٦٩هـ.



جامعة الملك فيصل بالأحساء، تقع في جنوب مدينة الهفوف في حي المثلث، تأسست عام ١٣٩٥هـ، على مساحة ٤٨٠ هكتار، وتضم حالياً ١٤٠٠٠ طالب و طالبة يدرسون في العديد من التخصصات في ١٢ كلية هي : العلوم الزراعية والأغذية، الطب، والصيدلة، والتربية، والعلوم الإدارية والتخطيط، والطب البيطري والثروة الحيوانية، والعلوم، والدراسات التطبيقية، و خدمة المجتمع، و علوم الحاسب الآلي وتقنية المعلومات، والهندسة، كلية التربية للبنات، و الآداب.

الخاتمة والنتائج

لعل أبرز النتائج التي خرجت بها الدراسة المعنونة بـ:

"مدينة الهفوف"

مدخل حضاري دراسة لمظاهر الحياة في مدينة الهفوف بمحافظة الأحساء في
المملكة العربية السعودية

قبل اكتشاف النفط وبعد اكتشافه، وفي عهد الطفرة الاقتصادية

ما يلي:

١- تداعيات اكتشاف النفط وتأثيراته على مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية
والعلمية على مدينة الهفوف لم تقتصر على اكتشاف النفط فيها، بل واصل
النفط تأثيره عليها، بفعل ارتفاع اسعاره في أسواق النفط العالمية، وما أدى
ذلك من ارتفاع الإيرادات النفطية في اقتصاديات المملكة العربية السعودية،
فأحدث موجات من التأثير لا تقل أثرا عن موجاته الأولى التي تمت بعد اكتشافه،
كما رصدها ثلاثة باحثون هم: الدكتور فيدال في كتابه واحة الأحساء، الدكتور
إبراهيم العلاوي، و الدكتور عبدالله بن ناصر السبيعي.

٢- الأحساء بما لها من ثقل اقتصادي، وعمق تراثي اجتماعي، وقابلية في استيعاب
مختلف العلوم والتوجهات في شتى ميادينها: العلمية، والأدبية، ولقدرة إنسانها
على التعااطي مع مفردات البيئة المحيطة، استطاعت -الأحساء- أن تلتفت
انتباه الباحثين، والكتاب، للاهتمام بمظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية
والعلمية فيها، فكتبوا عنها وأرخوا لواقعها، وخرجت دراسات، وقد حصرت

الدراسة بعض تلك الكتب حسب إمكانيات الباحث ولم تشمل في عرضها ما تم إصداره في الجامعات والمراكز البحثية المتخصصة، أو ما قامت بنشره بعض الدوريات المتخصصة في تراث وثقافة الخليج العربي مثل مجلة الواحة ومجلة الساحل، وقد تم التعريف بها في حدود معلومات الباحث فقط.

٣- استطاعت الدراسة أن ترصد العديد من مظاهر تفاعل الإنسان الأحسائي على أرضه، وتعاطيه مع مفردات بيئته، والسيطرة عليها، وتوجيهها لصالحه، منتزعة تلك المظاهر من إرثها الاجتماعي والحرفي والزراعي الضارب في عمق التاريخ، وقد سعت الدراسة أن تحقق ذلك الرصد في ظل منهجين علميين مقررین لدى الاختصاصيين في مجال علم الاجتماع، والجغرافيا الحضارية.

٤- قدمت الدراسة نماذجاً من مظاهر حضارة الإنسان الأحسائي، وكيفية تعاطيه مع مفردات البيئة المحيطة به، وسعيه للسيطرة عليها وتوجيهها لصالحه كما تم ذكره سابقاً، في عدة مجالات منها:

* في المجال الزراعي.

- زراعة محاصيل زراعة حوض البحر المتوسط في واحة الأحساء.

- حجز الرمال، وإيقاف زحفها على الحيازات الزراعية والقرى المجاورة للصحراء.

- رفع درجة خصوبة أراضي الواحة عبر ما يسمى لديهم بـ «الطينة» وهو ما أدى إلى تفتيت التربة والتقليل من سرعة نبات الحشائش.

- الاستفادة من مخلفات الحيازات الزراعية في أغراضهم المعيشية.

* في مجال البناء.

- حماية المدينة من هجمات البدو والغزاة.
- البناء بمواد مقاومة للحرارة وللصوص.
- حفظ خصوصيات المنازل، وزيادة التكيف مع الظروف المناخية.

* في المجال الصناعي.

- تحقيق الاكتفاء الذاتي من المنتجات التي تهتم معاشهم، وتصدير ما يمكن تصديره إلى خارج الواحة.

* في مجال النقل.

- تطويرهم لفصيل من حيوانات النقل، بما يكفي للقيام بخدمات الواحة في المجال التجاري، والزراعي، والصناعي، ولقوة أدائه آنذاك صدرت منه الأحساء إلى الدول المجاورة بل وصل حتى إلى الدول الأفريقية ومنها مصر العربية.

٥- قدمت الدراسة في الواقع الاجتماعي عرضاً للخصائص العامة لتكوين أحياء مدينة الهفوف، ودواعي تكوين نسيجها السكاني، حيث أوضحت بأن من تلك العوامل كان على أساس مذهبي، وآخر على أساس قبلي، وحرفي. كما قدمت تفاصيل للواقع الاجتماعي لملامح الحياة فيها قبل النفط وبعده، ومنحت الدراسة لنفسها فرصة إبراز آثار الطفرة الاقتصادية على الواقع الاجتماعي لمدينة الهفوف، كما سعت إلى رصد ما تغير منه، وما تم الحفاظ عليه، طيلة تلك الفترة، وخلصت الدراسة أن هناك العديد من المظاهر التي تغيرت، منها:

* على صعيد المساكن:

-زيادة عدد الأحياء السكنية خارج المدينة بعدما كانت لا تتجاوز حي الكوت والرفعة: الشمالية والوسطى والجنوبية، والنعائل، حيث أصبحت أضعاف عدد هذه الأحياء من حيث العدد والمساحات.

-تطور مستويات الخدمات المنزلية من مصادر مياه، وتكييف، وأساليب حفظ عن السابق.

-أوضحت الدراسة النقلة النوعية في ألعاب الأطفال بعد عهد النفط وكيف قام الأطفال بتوظيف مخلفات التقنية عليهم في ابتكار ألعاب جديدة منها: الدراجة، والدربابة، وطوب اللستك، وطوب البوجي، ودراجة الرومان بيلي، وغيرها من الألعاب، كما أشارت إلى التطور النوعي في ألعاب الأطفال الالكترونية بعد التطور الكبير الحادث في عالم الحاسبات الآلية.

-أبرزت الدراسة واقع اللهجات المحلية لمدينة الهفوف حسب أحيائها، كما عرضت لواحدة منها لا تزال مستخدمة عند البعض في سوق الصاغة بحي الرفاعة تدعى بـ "الترجلية"، وهي عبارة عن استخدام مفردات مهجورة في قواميس اللغة العربية وابتكار بعض المفردات المستوحاة من وصف بعض الأشياء لديهم.

٦-قدمت الدراسة في الواقع الصناعي عرضاً للواقع الصناعي فيها، في العديد مما اشتهرت به مدينة الهفوف، وحاولت أن تقدم عرضها ضمن مدخل استراتيجي يتلمس عناصر الضعف والقوة في البيئة الداخلية، والفرص والتحديات في البيئة الخارجية، وفي ظل هذا المدخل تمكنت الدراسة من رصد الصناعات التي تمكنت من مواصلة حضورها في أسواق مدينة الهفوف، وأي منها اختفى عن مسرح العمليات؟ وما هي الأسباب في كل ذلك؟ وذلك في ظل المعلومات المتاحة لدى الباحث ومن تلك النتائج التي خرجت بها مايلي:

-انفراط عقد البشت الأحسائي من خصوصيته الأحسائية حيث صارت بعض العمالة الأجنبية تمارس نفس المهنة من سوريين وهنود، غير أن في المقابل حافظ البشت الأحسائي على حضوره المتجدد مع معطيات التقنية، بدور أحسائي عبر عائلة بوحليقة تحديدا في كل من سوريا، وأبوظبي، وسعيهم لتطوير عروضه الإنتاجية عبر تقنية الحاسب الآلي وهو آخر ما توصلوا له، كما أوضحت الدراسة مساعي عائلة المهدي في رفع درجة مستوى التسويق للبشت الأحسائي في مراكز تجارية متقدمة في العديد من مناطق ومحافظات المملكة العربية السعودية، بما يليق مع المستوى الفني الذي توصل له البشت الأحسائي في مراحل إعداده.

-عرض لواقع صياغة الذهب في مدينة الهفوف، كيف كان؟ وماهو واقعها الحالي على صعيد إنتاجه و المصوغات المعروضة في أسواقها؟ حيث خلصت الدراسة إلى أن هناك مبادرات أحسائية في مواصلة الحضور في مجال هذه الصناعة، إذ لم تعد تسوق ما تنتجه كما سبق من مصوغاتها في سكة الصاغة بفريج الرفاعة في حي الرفعة الوسطى من مدينة الهفوف، بل تسايرت مع موجات الواردات من الذهب من كل من سنغافورة ودبي، وآخر من مصنع لازوردي في جدة، و بادرت بإنشاء مصانع في الدمام على أيدي أحسائيين أغلبهم من مدينة المبرز ويسكنون مدينة الدمام حاليا، وذلك ممثلا في مصنع غسان النمر، ومصنع الجزيرة لعبد الغني بن عبدالله المهنا، وأخوه سامي ومصنع شمس لعبدالله المحمد علي، ومصنع الناши لأحمد الناши وإخوانه وجميعها في الدمام، كما أن هناك عددا من أبناء فريج الصاغة المذكور، وهم كلٌّ من: شيخ الصاغة جمعة أحمد الباذر له مشغل «نسرين»، وحسين باذر الباذر له مشغل «الإحسان»، وعبدالمجيد بن محمد بوجبارة له مشغل «الفاتنة» وجميع هذه المشاغل تسوق إنتاجها في الأحساء.

-حافظت العديد من المهن في مجال الإنتاج السلعي على حضورها بشكل محدود

مثل: القطانة، والحدادة، والنجارة، وخرج من مسرح العمليات بسبب المنافسة الخارجية من السلع البديلة مثل: الخزافة، والقفاصة، والخواصة، والحيافة.

-تطور مستوى العديد من الخدمات مثل: خدمات الحج والعمرة إلى عمل مؤسساتي بدلا من العمل الفردي، كما تطور العمل المصرفي إلى بنوك متخصصة وطنية وأخرى مسعودة، كما تطور الطب بشكل كبير عن الحالة السابقة التي تعيشها ثقافة مدينة الهفوف في مجال الصحة ونوعية الدواء، كما تطورت خدمات التصوير، والصيانة.

٧-قدمت الدراسة في الواقع العلمي، جولة في ربوع وميادين العلم والمعرفة، عن التطور الذي حدث في مدينة الهفوف بعد أن كانت الكتاتيب وسيلتها الأولى في التعلم، حيث افتتحت الجامعات والمعاهد والمراكز العلمية والتدريبية فيها، وفي هذا الإطار حاولت الدراسة أن تستدرك ما فات على الباحثين في الشأن التعليمي قبل دخول الدراسة النظامية فيها، خاصة لدور الملا طاهر بوخمسين كأحد المعلمين الذي كان يقوم بدور تخصصي في تلك الفترة من الأجدار أن لا يصنف ضمن الكتاب العاديين فقد كان يقدم خدمة تدريس الحساب والقراءة والكتابة ومسك الدفاتر حتى لقد تخرج عليه العديد من الرعيل الأول الذين خدموا في السلك الحكومي آنذاك، كما استطرقت الدراسة في جوانب معاقل العلم والمعرفة الشرعي في مدينة الهفوف، وأسماء الحوزات والأربطة العلمية، وأبرز التلامذة الذين تخرجوا فيها، وقد فتحت الدراسة عينها في هذا الجانب على كافة ألوان الطيف المذهبي الذي تتحلى وتزدان به حاضرة الهفوف، ودونت ما استطاعت في حدود ما توفر من معلومات، كما كشفت النقاب عن واقع المذهبية في ثقافة سكان مدينة الهفوف، حيث أوضحت أنه لا يعدو عندهم أكثر من كونه طريقا تعبديا نحو الحكم الشرعي ضمن مذهب من المذاهب، بل أمعنت الدراسة في تأكيد هذا الأفق

في ثقافة سكانها وذلك من خلال إيراد بعض النتاج الأدبي لمن هم أكثر شفافية في القدرة على الكشف عن هذه المضامين المضيئة في نفوس سكان الحاضرة، فأوردت بعض النتاج الأدبي لشاعرين بارزين منها: الشاعر الشيخ عبد الله الرومي، والشاعر الاستاذ ناجي الحرز، تضمن شعر كل منهما أدبا اخوانيا، جديراً بالنشر والتعريف، كمؤشر للمعنى الذي تتحلى به ثقافة المدينة، كما حرصت الدراسة أن تؤكد على أن هذه الثقافة في الفهم المذهبي ليس من مختصات واقع مدينة الهفوف فقط، بل تشاركها الواحة بأسرها في ذلك، الأمر الذي استدعى إيراد للعديد من أخوانيات الشاعر جاسم الصحيح، أحد شعراء الواحة وأبرزهم، حيث كشفت اخوانياته عن مبادراته المتكررة في الاستفادة من فرص التلاقي مع كامل ألوان الطيف المذهبي في العديد من المناسبات الاجتماعية.

وفي ختام هذه النتائج التي توصل إليها الباحث، يرى أن الدراسة حاولت في مجملها أن تنقل واقع رصد أثر النفط على واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية من موجاته الأولى، إلى موجاته الأخرى الناتجة من أثر الطفرة الاقتصادية وما أدت من ارتفاع أسعار النفط، وبالتالي زيادة إيرادات الدولة، وقد أكتفت الدراسة بالإشارة إلى بعض منها دون الخوض في التفاصيل، لكثرة تشعباتها، وحاجة كل مظهر منها إلى دراسة متخصصة في كل واقع منها سواء في البعد الاجتماعي، والاقتصادي، أو العلمي، لكن هذا العرض المقتضب في هذه الدراسة سيفتح المجال لباحثين آخرين يمكنهم التوسع في إيراد التفاصيل، مادامت الذاكرة حية بمفردات الحياة قبل أن تسحقها عربة الأيام، ويضطر باحثون قادمون بعد هذه المرحلة إلى التخمين، والحدس، ولعل أي دراسة في هذا المجال ستكون على المدى البعيد مادة خصبة لدراسات أخرى، وهكذا تستمر ظاهرة الرصد للتغيرات مع مرور الأجيال.

مصادر البحث^(١)

مصادر عربية :

* ابن منظور

-لسان العرب المحيط

بيروت. دار لسان العرب.

* أبو عليه: الدكتور عبد الفتاح حسن

-دراسات في الجزيرة العربية

الرياض. دار المريخ. ١٤٠٦هـ.

* أني: الدكتور ابراهيم -في اللهجات العربية، القاهرة. بيروت ١٩٦٥م.

* الأمين: السيد حسن

-دائرة المعارف الشيعية. مادة الأحساء. للشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي.

بيروت. دار الثقافة للمطبوعات. ١٤٠٦هـ. الطبعة الثالثة.

* المبارك: الدكتور عبد الرحيم بن يوسف

-قبيلة بني عبد القيس منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي

(١) - أدرج الباحث من بيانات النشر للمصادر، حسب ما توفر لديه.

رسالة ماجستير. جامعة الملك سعود. ١٤١٥هـ. الطبعة الأولى.

-بيروت. دار العلم للملايين.

* الجوهري: الدكتور يسري

-الجغرافيا الحضارية

الإسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة. ١٩٨٧م.

* عبد التواب: الدكتور رمضان -فصول في فقه اللغة

القاهرة. مطبعة الخانجي ١٩٨٣م.

* الحسيني: الاستاذ عبد العزيز حسن. الحميدي: الاستاذ صالح ناصر. الملحم:

الاستاذ عبد العزيز محمد

-الأساسيات التاريخية الفطرية والزراعية التي اشتملت عليها واتصفت بها بيئة

محافظة الأحساء. وزارة الزراعة والمياه

١٤١٣هـ. الطبعة الأولى.

*الخرس: الدكتور محمد بن جواد

عائلة الخرس: حالة دراسية لمجتمع الاحساء في المملكة العربية السعودية،

الكويت. الشركة العصرية للطباعة. ١٤٢٧هـ. الطبعة الأولى.

* زكار: الدكتور سهيل

-أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن

دار الإحسان. ١٤٠٢هـ.

* زريق: قسطنطين

- في معركة الحضارة: دراسة في ماهية الحضارة وأحوالها وفي الواقع الحضاري

* السبيعي: الدكتور عبدالله بن ناصر

- اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية

الرياض. مطابع الشريف. ١٤٠٩هـ. الطبعة الثانية.

- الأمن الداخلي في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ -

١٣٣١هـ: دراسة وثائقية

الرياض. مطابع الجمعة. ١٤٢٠هـ. الطبعة الأولى

- الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية ١٣٦٠ - ١٣٨٠هـ

الرياض. مطابع الشريف. ١٤٠٩هـ.

- القضاء والأوقاف في الأحساء و القطيف أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨ -

١٣٣١هـ: دراسة وثائقية. ١٤٢٠هـ. الطبعة الأولى.

* السليمي: الشيخ صالح باقر

- مقدمة كتاب عقيدة الشيعة للميرزا علي الحائري.

* سليم: الدكتور شاكر مصطفى

- قاموس الإنثربولوجيا

الكويت. جامعة الكويت. ١٩٨١ م. الطبعة الأولى.

* الشباط: الأستاذ عبد الله

-صفحات من تاريخ الأحساء.

* الشخص: السيد هاشم

-أعلام هجر

بيروت. مؤسسة البلاغ. ١٤١٠ هـ.

* الشيخلي: محمد رؤوف السيد طه

-مراحل الحياة المظلمة وما بعدها

البصرة. مطبعة البصرة. ١٣٩٢ هـ.

* الرمضان: الشيخ جواد بن حسين

-مطلع البدرين في تراجم علماء الأحساء و القطيف والبحرين

١٤١٩ هـ.

* العبدالقادر: الشيخ محمد بن عبد الله

- تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد

١٣٧٩ هـ. الطبعة الأولى.

* العياف: عبد العزيز خالد. - المنطقة الشرقية: ذاكرة مصورة الخبر، وكالة

النافذة الاعلامية ١٩٩٥ م.

*العيدان: الدكتور صالح علي. العرفج: المهندس عبدالله محمد. الخرس:
المهندس سعيد عبدالله

-الأحساء في مئوية التوحيد والبناء

الأحساء. بلدية الأحساء. ١٤١٩هـ الطبعة الأولى.

* المبارك: الاستاذ معاذ بن عبدالله

- شخصيات رائدة من بلادي

الخبر. الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع. ١٤٢٠هـ. الطبعة الأولى.

* المغربي: عبدالرحمن بن خلدون

-مقدمة ابن خلدون

بيروت. دار إحياء التراث العربي. الطبعة الرابعة.

*محسن: الدكتور محمد سالم -المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية القاهرة.

مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٦م

* المطلق: الاستاذ عبدالله بن حمد

-البوابة الجنوبية للأحساء: الطرف في ماضيها وحاضرها «الأحساء:

الرياض. شركة مطابع نجد التجارية. ١٤١٣هـ.

* الملا: الاستاذ عبد اللطيف بن عثمان

- لمحات من الحياة التعليمية في الأحساء من القرن الحادي عشر إلى القرن

الخامس عشر الهجري

* الملا: الشيخ عبدالرحمن

-تاريخ الحركات الفكرية في شرق الجزيرة العربية وعمان

الأحساء. مطابع الجواد. ١٤١٤هـ.

-تاريخ هجر

الأحساء. مطابع الجواد. ١٤١٠هـ.

مصادر أجنبية مترجمة إلى اللغة العربية:

* فيدال: الدكتور فيديريكو شميد

-واحة الأحساء

الرياض. جامعة الملك سعود. ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. ترجمة: الدكتور عبدالله بن

ناصر السبيعي.

مطبوعات حكومية:

* المملكة العربية السعودية

-المخطط العمراني المحلي لمدينتي الهفوف والمبرز

الأحساء. بلدية محافظة الأحساء. ١٤١٨هـ. التقرير الثالث.

* المملكة العربية السعودية.

-منجزات خطط التنمية حقائق وأرقام

الرياض. وزارة الاقتصاد والتخطيط. ١٤٢٦هـ. الإصدار الثاني والعشرون.

مصادر أجنبية :

* AL-ELAWY : D. IBRAHIM S.

-THE INFLUENCE OF OIL UPON SETTLEMENT IN AL-HASA OASIS.

UNIVERSITY OF DURHAM. 1976.

* AL-JABR: MOHAMMAD A

.- AGICULTURE IN AL-HASS OASIS SAUDE ARABIA AREVEWO OF DEVELOPMENT 1984.

مقابلات شخصية :

-الأستاذ علي موسى الفداغم.

-السيد أحمد الحداد.

-الشيخ جواد بن حسين الرمضان.

-الشيخ حيدر السندي.

-المهندس سعيد بن عبد الله الخرس.

- السيد عبد الكريم بن عبد الله حسين الخرس.

-السيد عبد الرسول محمد الخرس.

-السيد عبد الله بن محمد بن علي الخرس.

- الأستاذ علي جواد الخررس.
- الأستاذ محمد جلال البحراني.
- السيد موسى محمد الخررس.
- الأستاذ محمد بن عبد الله الغزال.
- السيد محمد بن حسين بن علي القطان.
- الأستاذ أمين بن إدريس الخواجة.
- السيد حسن بن محمد البقشي.
- السيد محمد بن أحمد بن عبدالمحسن بوجبارة.
- السيد باذر بن ناصر الباذر.
- السيد حسن بن أحمد بن صالح بن محمد القاضي.
- الأستاذ عبدالمجيد بن أحمد الحسن بن إبراهيم.
- الأستاذ جعفر بن محمد علي العبد الباقي.
- السيد علي بن حسن بن عبدالمحسن العبد الباقي.
- السيد باسل بن حسن بن محمد البقشي.
- السيد راضي بن جمعة بن حسن الخليفة.
- السيد صالح بن محمد السماعيل.
- السيد صالح بن حسن العمر.

- السيد أحمد بن محمد بن عبدالمحسن بوحليقة.

- السيد توفيق بن جمعة الخليفة.

- د. عبد العزيز بن محمد أحمد البقشي

تصوير:

- استديو الخليفة (محمد جمعة الخليفة، نويل، توفيق بن جمعة الخليفة).

- عادل القضيب.

- د. عبد العزيز بن محمد أحمد البقشي.

- محمد آل شبيب.

- الباحث.

فهارس الدراسة

فهرس الجداول

رقم الصفحة	الجداول
٧٦	جدول رقم (٣/١): نتائج تقديرات عدد سكان مدينة الهفوف في عدة دراسات متفرقة.
١١٩	جدول رقم (١/٣): الحرف التي مارسها أبناء بعض القبائل العربية الذين سكنوا مدينة الهفوف.
١٨٢	جدول رقم "٥/٣": قائمة بمفردات لغوية مستخدمة من قبل العاملين في مجال صياغة الذهب في محلة الرفاعة بالرفعة الوسطى بمدينة الهفوف، لم ترد في معاجم اللغة العربية:
١٨٦	جدول رقم (٤/٣): قائمة بمفردات لم ترد في قواميس اللغة العربية والمعاني المقصود منها وضعها سكان محلة الرفاعة بالرفعة الوسطى بمدينة الهفوف، لتسهيل عملية التفاهم فيما بينهم في الحالات الخاصة.
١٩٩	جدول رقم (٥/١): إيرادات العثمانيين من لواء الأحساء "الأحساء، والقطيف، وقطر"، في السنوات الأولى من تواجدهم وذلك بالقرش العثماني.
٢٠٠	جدول رقم (٥/٢): أنماط الضرائب والرسوم العثمانية المجبأة من لواء الأحساء "الأحساء، والقطيف، وقطر"، ومبالغ الإيرادات بالقرش العثماني.
٢٠٢	جدول رقم (٥/٣): العملات المتداولة في اسواق مدينة الهفوف قبل عهد النفط.

رقم الصفحة	الجدول
٢٠٤	جدول رقم (٥/٤): الأوزان والمقاييس في أسواق مدينة الهفوف قبل عهد النفط نص مطبوع رقم (٢٧) مقابلة مع حسن بن أحمد بن صالح القاضي.
٢١٨	جدول رقم "٥/٥": البضائع التي يتم تسويقها في قيصرية الهفوف وتصنيف لبعض أسماء العوائل التي كانت تمارس مهنة التجارة فيها
٢٤٠	جدول رقم (٥/٦): توزيع المؤسسات التجارية لمبيعات الجملة والمفرق في مدينتي الهفوف والمبرز خلال عام ١٩٧١م.
٢٤٦	جدول رقم (٥/٧): الموقع والوصف المناخي وأنواع المزارع في أراضي الأطراف والدواخل بواحة الأحساء.
٣١٠	جدول رقم (٦/١): أسماء أصحاب الكتاتيب المختصة بتدريس القرآن الكريم فقط ومقرها في أحياء مدينة الهفوف.
٣١٣	جدول رقم (٦/٢): أسماء اصحاب الكتاتيب المختصة بتدريس القرآن الكريم وتجويده وتدريب القراءة والكتابة ومقرها في أحياء مدينة الهفوف.
٣١٥	جدول رقم (٦/٣): أسماء أصحاب الكتاتيب المختصة في تدريس الحساب والقراءة والكتابة ومسك الدفاتر.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٣	شكر و تقدير
٥	الفصل الأول: الإطار العام للدراسة
٧	مشكلة الدراسة
٩	هدف الدراسة
١٢	أهمية الدراسة
١٤	حدود الدراسة
١٤	منهجية الدراسة
١٦	بيانات الدراسة
١٦	فصول الدراسة
١٩	الفصل الثاني: مصطلحات الدراسة، وكتب رصدت مظاهر محافظة الأحساء
٢١	تمهيد:
٢٢	المبحث الأول: مصطلحات الدراسة
٣١	المبحث الثاني: الدراسات والكتب التي رصدت مظاهر الحاضرة في الأحساء.
٣٣	المطلب الأول: أبحاث باللغة العربية
٣٣	الفرع الأول: في مجال التاريخ

رقم الصفحة	الموضوع
٤٠	الفرع الثاني: في مجال الجغرافيا
٤٤	الفرع الثالث: في مجال الأسواق، والنقود، والتنمية الاقتصادية، وصناعة السياحة، والخدمات
٤٦	الفرع الرابع: في مجال الزراعة
٤٧	الفرع الخامس: في مجال التعليم
٤٩	الفرع السادس: في مجال الاجتماع
٥٠	الفرع السابع: في مجال الفكر والأدب
٥٢	الفرع الثامن: في مجالات ثقافية متنوعة
٥٤	المطلب الثاني: أبحاث أجنبية مترجمة
٥٦	المطلب الثالث: أبحاث بلغة أجنبية
٥٧	المطلب الرابع: تراجم لشخصيات أحسائية
٥٩	المطلب الخامس: أبحاث عن حياة العلماء والأدباء
٦٣	الفصل الثالث: المظاهر الحضارية في مدينة الهفوف
٦٤	المبحث الأول: جغرافيا محافظة الأحساء
٦٩	المبحث الثاني: تاريخ تأسيس مدينة الهفوف في محافظة الأحساء
٧٣	المبحث الثالث: أحياء مدينة الهفوف
٨٧	المبحث الرابع: مظاهر التفاعل الحضاري في واحة الأحساء، وتحليلها من وجهة نظر الاختصاصيين في مجال الجغرافيا الحضارية

رقم الصفحة	الموضوع
٨٧	تمهيد
٨٧	المطلب الأول: تعريف بمصطلح الحضارة.
٩٣	المطلب الثاني: تطويع الأحسائي لإمكانيات البيئة المحيطة به لاحتياجاته في مجال الزراعة
٩٥	الفرع الأول: زراعة محاصيل حوض البحر المتوسط في واحة الأحساء
٩٦	الفرع الثاني: حجز الرمال عن طمر الحيازات الزراعية والقرى المجاورة للصحراء
٩٨	الفرع الثالث: تفتيت التربة والتقليل من سرعة نبات الحشائش
٩٨	الفرع الرابع: الاستفادة من منتجات النخيل في أغراض الحياة اليومية
١٠٠	المطلب الثالث: تطويع الأحسائي لإمكانيات البيئة المحيطة به لاحتياجاته في مجال البناء
١٠٠	الفرع الأول: الحماية ضد هجمات البدو
١٠٢	الفرع الثاني: البناء مواد مقاومة للحرارة وللصوص
١٠٣	الفرع الثالث: الجص الخكري ومقاومة الرطوبة
١٠٥	المطلب الرابع: تطويع الأحسائي لإمكانيات البيئة المحيطة به لاحتياجاته في مجال الحرف والصناعات
١٠٦	المطلب الخامس: تطويع الأحسائي لإمكانيات البيئة المحيطة به لاحتياجاته في مجال النقل
١٠٩	الفصل الرابع: ملامح الحياة الاجتماعية لسكان مدينة الهفوف

رقم الصفحة	الموضوع
١١١	تمهيد
١١٦	المبحث الأول: الخصائص العامة لأحياء مدينة الهفوف القديمة
١١٧	المطلب الأول: الطابع المهني كعامل في تكوين بعض أحياء مدينة الهفوف
١٢١	المطلب الثاني: الطابع القبلي كعامل في تكوين بعض أحياء مدينة الهفوف
١٢٢	المطلب الثالث: الطابع المذهبي كعامل في تكوين بعض أحياء مدينة الهفوف
١٢٨	المبحث الثاني: مفردات البيئة المنزلية لسكان مدينة الهفوف "المساكن، ومصادر المياه، والتكييف، والمستودعات"
١٢٩	المطلب الأول: كيفية حصولهم على مياه الشرب
١٣٠	المطلب الثاني: طريقتهم في تبريد الماء والفاكهة والألبان في فصل الصيف
١٣١	المطلب الثالث: طريقتهم في تخزين موادهم الغذائية
١٣٣	المطلب الرابع: تصميم المساكن وتعدد مسمياته حسب موقعها في داخل البيت
١٣٥	المطلب الخامس: مكونات أثاثهم المنزلي
١٣٩	المطلب السادس: مكونات المطبخ
١٤٠	المطلب السابع: أدوات الإنارة

رقم الصفحة	الموضوع
١٤١	المطلب الثامن: طريقة تكييف مرافقهم المنزلية في أيام الصيف
١٤٥	المطلب التاسع: تصميم دورات المياه
١٤٥	المطلب العاشر: حضائر الحيوانات
١٤٦	المطلب الحادي عشر: الملابس
١٤٦	الفرع الأول: الملابس الرجالية
١٤٨	الفرع الثاني: الملابس النسائية
١٥١	المطلب الثاني عشر: طريقة ومواد تنظيف الملابس
١٥٢	المبحث الثالث: العادات والتقاليد" تقاليد مناسبة الزواج، وتقاليد العزاء، وتقاليد مناسبات الضيافة، وتقاليد الأسواق والشراء"
١٥٢	المطلب الأول: تقاليد مناسبة الزواج
١٥٧	المطلب الثاني: تقاليد مناسبة الأعياد
١٥٧	المطلب الثالث: تقاليد مناسبة الوفيات
١٦٠	المطلب الرابع: تقاليد الضيافة
١٦٢	المطلب الخامس: تقاليد الأسواق والشراء
١٦٤	المبحث الثالث: أفراح الأطفال وألعابهم
١٦٤	المطلب الأول: أفراح الأطفال الدورية
١٦٤	الفرع الأول: الناصفة "حجومدينة"
١٦٥	الفرع الثاني: القرقيعان

رقم الصفحة	الموضوع
١٦٧	المطلب الثاني: الألعاب التي يمارسها الآباء والأمهات للأطفال في البيت
١٦٧	الفرع الأول: لعبة قرصة القروس والامهفة العروس
١٦٨	الفرع الثاني: لعبة يكاكسي ينايتي
١٦٩	المطلب الثالث: العاب الاطفال خارج البيت
١٦٩	الفرع الأول: هدو سليس
١٧٠	الفرع الثاني: السكونة
١٧١	الفرع الثالث: اللقصة
١٧٢	المطلب الرابع: الألعاب الشعبية التي دخلت على أثر التقنية الحديثة
١٧٢	الفرع الأول: الدراجة
١٧٣	الفرع الثاني: الدربابة
١٧٣	الفرع الثالث: دراجة الرمان بيبي
١٧٤	الفرع الرابع: طوب اللستك
١٧٤	الفرع الخامس: طوب البوجي
١٧٤	الفرع السادس: النبالة
١٧٥	الفرع السابع: الصقعة وصقعة وشبر
١٧٦	المبحث الخامس: لغة ولهجات سكان مدينة الهفوف

رقم الصفحة	الموضوع
١٧٧	المطلب الأول: لهجات سكان مدينة الهفوف المشهورة عند علماء فقه اللغة العربية القدامى
١٧٧	الفرع الأول: الكشكشة
١٧٩	الفرع الثاني: العججة
١٧٩	الفرع الثالث: الكسكسة
١٨٠	الفرع الرابع: لهجات عربية متفرقة في مدينة الهفوف
١٨١	المطلب الثاني: لهجات سكان مدينة الهفوف غير العربية عند علماء فقه اللغة العربية القدامى
١٨٩	الفصل الخامس: ملامح الحياة الاقتصادية لسكان مدينة الهفوف
١٩١	تمهيد
١٩٣	المبحث الأول: واقع النشاط التجاري "الأسواق، والعملات، والأوزان المقاييس في أسواقها"
١٩٤	المطلب الأول: التجارة في حاضرة الهفوف
٢٠٢	المطلب الثاني: العملات المتداولة في الأحساء قبل عهد النفط
٢٠٤	المطلب الثالث: المقاييس المستخدمة في أسواق مدينة الهفوف قبل عهد النفط
٢٠٩	المطلب الرابع: أسواق مدينة الهفوف
٢٠٩	الفرع الأول: أسواق الهفوف المتحركة "سوق الخميس"
٢١٢	الفرع الثاني: أسواق الهفوف الثابتة

رقم الصفحة	الموضوع
٢١٢	أولا- سوق القيصرية
٢٢٨	ثانيا- سوق دروازة الخميس
٢٢٨	ثالثا- سوق شارع البلدية
٢٢٨	رابعا- سوق عمارة السبيعي
٢٢٩	خامسا- سوق السويج
٢٣٠	سادسا- سوق الصاغة والمجوهرات
٢٣١	سابعا- سوق المزار
٢٣١	ثامنا- سوق المنتجات الخشبية
٢٣١	تاسعا- سوق الحراج
٢٣٧	المطلب الخامس: السلع في أسواق حاضرة الهفوف، والآثار الايجابية والسلبية لاكتشاف النفط عليها
٢٤٠	الفرع الأول: الآثار الايجابية لاكتشاف النفط على أسواق حاضرة الهفوف
٢٤١	الفرع الثاني: الآثار السلبية لاكتشاف النفط على أسواق حاضرة الهفوف
٢٤٥	المبحث الثاني: واقع النشاط الزراعي "تقسيم الحيازات الزراعية، وأعمالها، ومعدات الفلاحة فيها"
٢٤٥	المطلب الأول: ملامح الواقع الزراعي في محافظة الأحساء
٢٥١	الفرع الأول: تقسيم الحيازات الزراعية

رقم الصفحة	الموضوع
٢٥٣	الفرع الثاني: مرافق الخدمات في الحيازات الزراعية
٢٥٥	الفرع الثالث: أعمال الحيازات الزراعية
٢٥٩	الفرع الرابع: معدات الفلاحة
٢٦٠	المطلب الثاني: عوامل نجاح الزراعة في محافظة الأحساء
٢٦٣	المبحث الثالث: واقع النشاط الصناعي
٢٦٤	المطلب الأول: "الصناعات السلعية: البشوت، والذهب، والفضة، والأثاث، والمعدات الخفيفة"
٢٦٤	الفرع الأول: صناعة البشوت
٢٧٤	الفرع الثاني: صياغة الذهب والفضة
٢٧٦	الفرع الثالث: صناعة الأثاث، والأواني، والأدوات الخفيفة
٢٧٦	أولاً: الخزافة
٢٧٧	ثانياً: الحدادة
٢٧٨	ثالثاً: النحاسية
٢٧٨	رابعاً: الخرازة
٢٧٩	خامساً: القطانة
٢٧٩	سادساً: القفاصة
٢٨٠	سابعاً: النجارة

رقم الصفحة	الموضوع
٢٨٢	المطلب الثاني: "الصناعات الخدمية: الحج، والبنوك، والصحة، والنقل، والتصوير، والصيانة"
٢٨٢	الفرع الأول: تقوية الحج والمعتمرين إلى الديار المقدسة
٢٨٤	الفرع الثاني: الصرافة والبنوك
٢٨٤	الفرع الثالث: الصحة
٢٩٤	الفرع الرابع: النقل
٢٩٧	الفرع الخامس: الصفارة
٢٩٨	الفرع السادس: الحلاقة
٢٩٨	الفرع السابع: التصوير
٣٠٠	الفرع الثامن: الصيانة
٣٠١	الفرع التاسع: البناء
٣٠٣	الفرع العاشر: أنماط حديثة في صناعة الخدمات
٣٠٥	الفصل السادس: ملامح الحياة العلمية لسكان مدينة الهفوف
٣٠٧	تمهيد
٣٠٩	المبحث الأول: الكتابات في حاضرة الهفوف
٣١٠	المطلب الأول: كتابات خاصة بتدريس القرآن الكريم وحفظه وتجويده
٣١٢	المطلب الثاني: كتابات خاصة بتدريس القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة

رقم الصفحة	الموضوع
٣١٤	المطلب الثالث: كتابتیب خاصة بتدريس الحساب والقراءة والكتابة ومسك الدفاتر
٣١٥	الفرع الأول: تاریخ نشاط مدرسة ملا طاهر بوخمسين
٣١٦	الفرع الثاني: مقر مدرسة الملا طاهر بوخمسين
٣١٦	الفرع الثالث: مرافق مدرسة الملا طاهر بوخمسين.
٣١٧	الفرع الرابع: نظام الدراسة في مدرسة الملا طاهر بوخمسين
٣١٩	المبحث الثاني: المدارس الدينية في مدينة الهفوف
٣١٩	المطلب الأول: مفهوم المذهبية لدى سكان مدينة الهفوف
٣٢٠	الفرع الأول: خلفية المنطقة وانفتاحيتها فكريا
٣٢١	الفرع الثاني: تدين أبناء المدينة
٣٢١	الفرع الثالث: توحدهم أمام الأطماع الخارجية
٣٢٤	الفرع الرابع: تبادلهم مشاعر الود والمحبة أدبيا " إخوانيات الشعاعرين عبد الله الرومي، وناجي الحرز "
٣٥٠	المطلب الثاني: مظاهر الحضور المذهبي في مدينة الهفوف
٣٥٠	الفرع الأول: المذهب الإمامي
٣٥١	أولا: مدرسة آل خميس
٣٥١	ثانيا: حوزة أبوخمسين
٣٥٤	ثالثا: مدرسة الشيخ إبراهيم الخرس

رقم الصفحة	الموضوع
٣٥٥	رابعاً: مدرسة الشيخ أحمد بوعلي
٣٥٥	خامساً: مدرسة الشيخ حسين بن عبد الله الشواف
٣٥٥	سادساً: حوزة الشيخ محمد بن سلمان الهاجري
٣٦٠	الفرع الثاني: المذهب الحنفي
٣٦٠	أولاً: مدرسة القبة
٣٦٢	ثانياً: مدرسة الشلهوبية
٣٦٢	ثالثاً: الرباط
٣٦٤	رابعاً: المدرسة العمرية
٣٦٤	خامساً: المدرسة الجديدة
٣٦٦	الفرع الثاني: المالكية
٣٦٦	أولاً: مدرسة الشهارنة
٣٦٧	ثانياً: مدرسة النعائل
٣٦٧	ثالثاً: مدرسة الشريفة
٣٦٧	رابعاً: مدرسة الصالحية
٣٦٩	الفرع الرابع: الشافعية
٣٦٩	أولاً: مدرسة آل عبد اللطيف
٣٧٠	ثانياً: مدرسة آل عمير

رقم الصفحة	الموضوع
٣٧٠	ثالثا: مدرسة آل النعيم
٣٧٠	رابعا: مدرسة آل عثمان
٣٧٢	الفرع الخامس: المذهب المالكي
٣٧٣	المبحث الثالث: المدارس النظامية في حاضرة الهفوف
٣٨١	الخاتمة والنتائج
٣٨٩	مصادر البحث
٣٩٩	فهرس الجداول
٤٠١	فهرس الموضوعات

